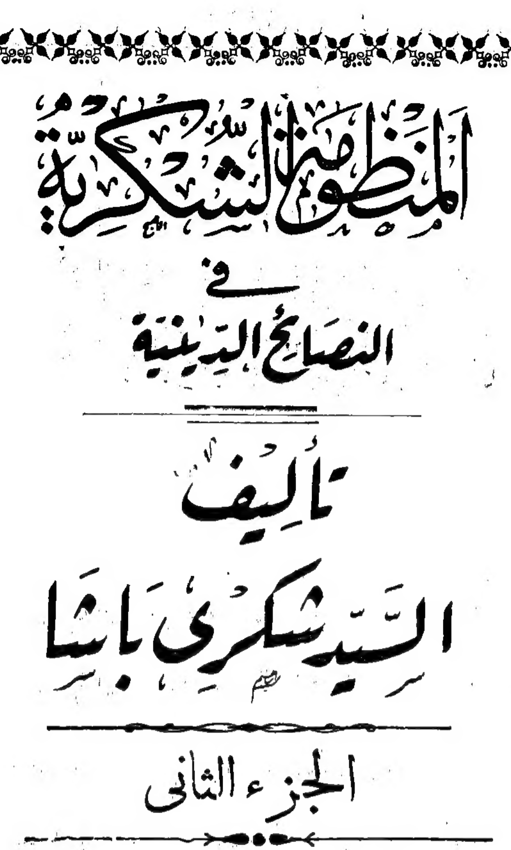


المنظومة الشكرية

في

النصائح الدينية

تأليف

السيد شكري باشا

الجزء الثانى

(ياقارئاً منظومتى نصحى استمع * ذا جزؤها الثانى ففز بتلاوته)
(واعلم بأن العلم نور للهدى * يزداد بالتقوى وحسن دراسته)
(فاعمل لدينك ان اردت سعادة * فالسعد فى تقوى الاله وطاعته)

تنبيه

جعلنا شرح الآيات والأحاديث فى ذيل الصفحة مفصولا بجدول

﴿ طبعت هذه المنظومة على نفقة المطبعة باذن من مؤلفها ﴾

﴿ الطبعة الأولى ﴾

مطبعة التضامن الأخوى لصاحبها « حافظ محمد داود » بسيدنا الحسين بشارع كفر الزغاري عطفة الشماع نمرة ٨ بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على أشرف المرسلين * سيدنا محمد النبي الأمين * وعلى اخوانه النبيين * وآله وصحبه والتابعين * والداعين الى الصراط المستقيم الى يوم الدين *

﴿أما بعد﴾ فلما تم الجزء الأول من منظومتنا وحاز رضاء الاخوان * أصلح الله لى ولهم الشان * شجعنا ذلك على الشروع فى الجزء الثانى فنسأل الله تعالى أن يعيننا على اتمامه كما أعاننا على إتمام سابقه وان ينفع بالأول كما نسأله ان ينفع بلاحقه إنه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير *

﴿ ملاحظتان ﴾

(١) وقع فى الجزء الأول أخطاء غير التي أحصيناها ومن ذلك كلمة اسحق المذكورة فى صفحة ٩٢ بالسطر الخامس وصوابها يعقوب فنلفت الأنظار اليها وإلى أمثالها مما لا يخفى على ذكاء القارئين وفقنا الله وإياهم للصواب والسداد * وهدانا جميعاً طريق الرشاد آمين *

(٢) سقطت الأبيات الآتية من نظم النهضة الكاملية صفحة « ٢١٤ » من الجزء الأول وموضعها قبل البيت الأخير والمرجو إصلاح ذلك في الطبعة الثانية إن شاء الله وها هي الأبيات *

وعليٌّ فهمي كاملٌ أخُ مصطفى * ووكيله باق على وطنيته
كم مرة نشر القضية في الورى * بجراءة وشهامة وخطابته
ورث الخطابة عن أخيه وإنه * ذو قدرة بذكائه وفصاحته
هم إخوة لحسين باشا واصفٍ * أعني المهندس والشهير بفطنته
إني خبير بالحسين ووصفه * وله مقام عندنا بمكانته
أستغفر الله العظيم مخافة * من ربنا وحسابه وعقوبته

وسيرى القارئ فى هذا الجزء مايشرح الله به صدره من آيات الهدى والارشاد قال الله تعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشرحْ صدرَه للاسلام ومَن يُرِدْ أنْ يُضلَّه يجعلْ صدرَه ضيِّقاً حرَجاً كأنما يَصَّعَّدُ فى السماء كذلك يجعلُ اللهُ الرجسَ على الذين لا يؤمنون وهذا صراطُ ربِّك مستقيماً قد فصَّلْنا الآياتِ لقوم يذَّكَّرون)

الوصل الثاني عشر في بدء خلق الانسان

﴿ وبيان تكريمه وفضله وسبق القضاء بتحديد رزقه وأجله وعمله ﴾

(١) قال الله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) سورة البقرة آيات ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣

﴿ شرح الآيات والأحاديث ﴾

(١) قال الله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) الخ

يقول الله اذكر يا محمد (إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) وهي نعمة يمتن الله بها علينا كما أمتن بنعمه السابقة فى قوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع

(٢) وقال الله تعالى (ولقد كرَّمنا بنى آدمَ وحملناهم في البرّ والبحرِ ورزقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً) سورة الاسراء آية ٧٠

(٣) وقال الله تعالى (ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طينٍ * ثمَّ جعلناهُ نطفةً فى قرارٍ مكينٍ * ثمَّ خلقنا النطفةَ علقةً فخلقنا العلقةَ مضغةً فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثمَّ أنشأناهُ خلقاً آخرَ فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقينَ) سورة المؤمنون آيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤

(٤) وقال الله تعالى (وفى السَّماءِ رزقكم وما توعدونَ * فوربِّ السَّماءِ والأرضِ إنَّهُ لحقٌّ مثلَ ما أنكم تنطقون) سورة الذاريات آيتا ٢٢ ، ٢٣

سموات وهو بكل شيء عليم) وإنما كان ذلك نعمة علينا لأن تكريم آدم نعمة عليه ونعمة الآباء نعمة على الابناء والتعبير بالرب للتذكير بالربوبية والملائكة أجسام نورانية وسيأتى وصل خاص بها *

واعلم أن الله أسكن الجن فى الأرض قبل آدم فافسدوا فيها وقتل بعضهم بعضا وانما قال الله للملائكة ذلك إما لتعليم العباد المشاورة لأنه غنى عنها أو لأجل أن تسأل الملائكة السؤال الآتى فيجابوا بما أجابهم به والله عليم بحقيقة الأمر والخليفة خليفة الله فى الحكم من خلقه لقوله تعالي (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق) والمراد بالخليفة آدم وأولاده وقول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء) ليس اعتراضا منهم على الله

﴿ وفي الحديث الشريف ﴾

(١) عن أَبي عبدِ الرحمن عبدِ الله بنِ مسعود رضي الله عنه قال حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ (إنَّ أَحَدَكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أُمِّهِ أَرْبعينَ يوماً نُطْفَةً ثم يكونُ علقةً مِثْلَ ذلك ثم يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك ثم يُرْسَلُ اليه الملَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ ويُؤْمَرُ بأَربعِ كلماتٍ بِكَتْبِ رزقِهِ وأَجلِهِ وعملِهِ وشقيٌّ أَو سعيدٌ فوالله الذي لا إِله غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعملِ أَهلِ الجنَّةِ حتَّى ما يكونُ بينَهُ وبينَها إِلاَّ ذراعٌ فيَسْبِقُ عليه الكتابُ فَيَعمَلُ بعملِ أَهلِ النارِ فيَدْخُلُها وإِنَّ أَحَدَكُمْ ليَعْمَلُ بعملِ اهْلِ النارِ حتى ما يكونُ بينَهُ وبينَها إِلاَّ ذراعٌ فيَسْبِقُ عليه الكتابُ فيعمَلُ بعملِ أَهلِ الجنَّةِ فيَدْخُلُها) رواه البخاري ومسلم

في فعله وإنما هو استفهام تعجب كأنهم يقولون إن إعطاءك النعم من يفسد ويسفك لا تفعله إلا لسر غامض فما أبلغ حكمتك وليس غيبة لبني آدم بل للاستعلام عن الحكمة وذكر معصية العاصي للاستعلام عن حكم أو حكمة ليس غيبة وإنما قالوا هذا القول قياساً على مافعله الجن من قبل. وأيضاً ليس قولهم (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) مدحا لأنفسهم بل مرادهم أنك أهل للتقديس والتسبيح لا للعصيان والمخالفة وعلى فرض أنه للمدح فلا حظر فيه إذ هو من باب التحدث بنعمة الله وقد قال الله (وأما بنعمة ربك فحدث) والتسبيح التنزيه وقوله (بحمدك) معناه نقول سبحان الله وبحمده والتقديس كذلك والفرق بين التسبيح والتقديس أن التسبيح تنزيه ذاته

﴿ قال الراجي عفو ربه ﴾

خلق الخلائق ربنا ثم اصطفى * في البدء آدم وحده لخلافته

إذ قال للأملاك إني جاعل * في الأرض ذاك خليفة لمكانته

قالوا أتجعل مفسداً يطغى بها * بغياً ونحن من اصطفيت لطاعته

والله علم آدم الاسماء كي * يبدي لهم بالعلم فضل خليفته

لما أبان لهم معالم فضله * قال اسجدوا جمعاً لأجل تحيته

سجد الملائكة الكرام جميعهم * إلا الذي لعن الإله لشقوته

ابليس لم يسجد وقال خلقته * من طين صلصال بدا بمهانته

وأنا من النار السموم خلقتني * وأبى بكبر فاستحق للعنته

قد قالها كفراً فباء بطرده * من ساحة المولى الكريم ورحمته

عن صفات الأجسام والتقديس تنزيه أفعاله عن صفات الذم وقوله (لك) اللام إما صلة والمعنى نقدسك أو أصلية والمعنى نقدس لاجلك أو مخلصين لك وقد رد الله عليهم فقال (إني أعلم مالا تعلمون) والمعنى لا تعجبوا ولا تغتموا لأن فيهم من يفسد و يسفك فاني أعلم أن فيهم من لو أقسم على الله لأبره أو أعلم من المصالح في هذا العمل ماهو خفي عنكم وقد بين لهم بعضه في قوله (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) والمراد أنه علمه أسماء كل ماخلق من المحدثات وجميع اللغات ثم عرض على الملائكة صور المسميات (فقال أنبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أي في إعتقادكم أني ما أخلق خلقاً إلا كنتم خيراً منهم بعبادتكم والجمع في قوله عرضهم مراعي فيه تغليب العقلاء الذكور على غيرهم . ولما عجزوا (قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا

من حين ذا بدت العداوة بيننا * يسعى ليفسد حالنا بغوايته
وعن الصراط المستقيم يضلنا * باللهو عن ذكر الاله وخشيته
إذ قال أنظرني إلى أن يبعثوا * فلأغوِيَنَّ الكل قصد إساءته
إلا العباد المخلصين لربهم * فالله حافظهم بحصن عبادته
هذا هو الشيطان يوقع بينكم * حسداً وبغضاً فافطنوا لخديعته
إن ينزغنّك منه نزغ فاستعذ * بالله تنج من الرجيم ونزغته
ابليس يدعو حزبه لشقائه * والله يدعو حزبه لسعادته
ابليس يدعو المذنبين لناره * والله يدعو التائبين لجنته
لا تعبدوا الشيطان إذ هو خصمكم * وأن اعبدوني واحذروا من فتنته
قد قاله الرب الرءوف بخلقه * حفظاً لنا من شره وعداوته

إنك أنت العليم الحكيم) وهذا إقرار منهم بالعجز وفي هذا دليل على أنه لا سبيل الى معرفة المغيبات إلا بتعليم الله وأنه لا يمكن التوصل اليها بالكهانة وسيأتي كلام واسع في هذا الموضوع في هذا الوصل ولما عجزوا قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون) من قولكم – اتجعل فيها من يفسد فيها – (وما كنتم تكتمون) في نفوسكم وخصوصاً ابليس *

وبالعلم الذي علمه آدم فضله عليهم فدل هذا على فضل العلم وقد تقدم وصل مختص به . هذه خلاصة ما قاله المفسرون *

(٢) قال الله تعالى (ولقد كرمنا بني آدم) اي بعدة اشياء منها الكتابة بالقلم قال الله تعالى (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) ومنها الصورة الحسنة قال تعالى (وصوركم فاحسن صوركم) ومنها

إبليس جن لا التباس بشأنه * نص صريح في الكتاب بصحته
قد أولوا القرآن فيه بعلمهم * فأتوا بما لم يتفق مع شهرته
علم قليل عندنا لكننا * نهوى الجدال و نبتغيه بكثرته
لو كان نوراً أصله لم يعصه * لكنه نار كما في آيته
فافهم كلام الله حقاً لا تكن * متأولاً فيه بغير حقيقته
تأويلُ نصّ ردُّه متحتم * نخذ الكتاب بنصه لمتانته
لا سيما ان كان نصّاً واضحاً * لمشرّع يجب اتباع شريعته
بالعلم فضّل آدمَ المولى على * كل الملائكة الكرام بجنته
وبنيه فضّلهم كذلك ربُّنا * فله المحامد والثناء بجملته
في الأرض كرّمه وكرم نسله * لكنهم كفروا سوابغ نعمته

القامة المعتدلة قال تعالى (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) ومنها ان الانسان يأكل باصابعه وسواه يأكل بفيه ومنها النطق والتمييز ومنها تسخير ما في الارض له ومنها انه جمع من القوى ماتفرق في غيره ففيه القوي العقلية القدسية والشهوية البهيمية والعصبية السبعية والحس والارادة والتفكير والاغتذاء والنمو والتوليد وخص الله بالذكر بعض انواع التكريم فقال (وحملناهم في البر) على ظهور الانعام والخيل والبغال والحمير وغيرها (والبحر) في السفن ونحوها وهذا ما كان يوم نزول القرآن ومن اجلّ النعم اليوم الحمل في الهواء على الطيارات وفي البر على قطارات السكة الحديدية والترام والاتومبيلات وغيرها وهذا داخل في قوله تعالى في سورة النحل (ويخلق مالا تعلمون) (ورزقناهم من الطيبات) والمعنى رزقناهم من ألذ والطف الاغذية . ولما كان تكريم الشخص بشيء لا يدل على تفضيله عما سواه لاحتمال اختصاص الثاني بغير ما اختص به الاول قال (وفضلناهم على

إلا قليلا منهمو قد آمنوا * بالله واعترفوا بشكر عطيته
يا أيها الانسان إنك كادح (١) * كدحاً لربك فاستقم لعبادته
واعلم بأنك راجع للقائه * ومحاسب بالقسط حسب عدالته
ولقد أتي حين عليك ولم تكن * شيئاً فأنشاك الاله بقدرته
خلقاً عظيما عاقلا متكلما * فتبارك الخلاّق رب بريّته
سبحانه أحياك من عدم كذا * يحييك بعد الموت يوم قيامته
فاعمل لنفسك ما استطعت إذ الجزا * للمرء يتبع فعله مع نيّته
أقم الصلاة كما أمرت ولا تكن * متهاونا فى فرضه وشريعته
حتى تكون مكرّما من ربنا * يوم اللقاء بعطفه وحفاوته
من يؤتينّ كتابه بيمينه * ينجو ويرجع فائزاً بمسرته

كثير ممن خلقنا تفضيلا) قال بعضهم ان لفظ (كثير) بمعنى جميع والتقدير وفضلناهم على جميع من خلقنا وعليه يكون الانسان افضل من الملائكة والجن وسواهما من المخلوقات وقال بعضهم ان لفظ كثير على ظاهره اذ من الملائكة من هو أفضل من أكثر الانسان وهو الحق فرسل الملائكة أفضل من خواص البشر غير الرسل وعامتهم أفضل من عامة البشر . وأما رسل البشر أولو العزم وغيرهم عليهم الصلاة والسلام فهم افضل من رسل الملائكة كجبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وخاصة البشر كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أفضل من عامة الملائكة وسيأتى وجه التفضيل بين الملائكة والانسان والجن في الوصل الخاص بكل والله اعلم بحقيقة الامر *

(١) أي ساع

ثم الذى هو آخذ بشماله * يدعو ثبوراً فى الجحيم لعسرته

فالله يفعل ما يشاء بخلقه * فهو الخبير بحالهم ولياقته

من ذا الذى عم الخلائق فضلهُ * غير الإله بجوده وبرحمته

خلق العباد وكل ذى روح كما * خلق الجماد وما يشاء بقدرته

أحيا النفوس بسعيها وتوكل * والكل مرزوق بفضل عنايته

فى الارض مسكنهم وما فيها لهم * والكل يسعى قصد نيل لُباناته(١)

والبسط فى الأرزاق قد يفضي إلى * بغي العباد كما أتى فى آيته

فالبعض يصلحه الغنى أو عكسه * والفقر للبعض ابتلا عمارته

رزق ابن آدم كالأمور مقدر * وفعاله فى الغيب قبل ولادته

والرزق مضمون لدى المولى الذى * خلق العباد لشكره وعبادته

---

(٣) قال الله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الخ) ذكر الله فى هذه الاية كيف كان بدء خلق الانسان الاول وهو آدم عليه السلام ثم كيف يتطور خلقه فى بطون الامهات فقال (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) والمراد آدم لانه هو الذى خلق من طين وأما أولاده فمن منىّ يمنى والسلالة هي الخلاصة وأصل الطين التراب وذلك قوله تعالى (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب) وقيل المراد بالانسان جنسه أما آدم فمن طين مباشرة وأما أولاده فبالوساطة وذلك أن المنىّ متكون من الاغذية الناشئة من الارض وهنا يحسن التعرض لقوله تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال كن فيكون) سورة آل عمران

---

(١) اي حاجته

بحديث خاق المرء في الأحشاترى * أطوار تكوين سما في صنعته
ماتوعدون ورزقكم هو في السما * في الذاريات أتي البيان بصحته
وظواهر الأفلاك قد دلت على * تدبير مولانا شئون خليقته
فالرزق من مطر السماء كما ترى * يحي النفوس كذا النبات بقطرته
فطر الإله الأرض من ماء وما * فيهامن الأشيا أتى من رغوته(١)
من طينها الصلصال آدم قد نشا * لكن حواء أخرجت من شقته
والكل مخلوق بقول الله كن * فتبارك الله القدير بحكمته
وبقوله للشيء كن يأتي على * حسب القضاء وعلمه وإرادته
من نوره خلقت ملائكة السما * والجن من نار كما في آيته

فهل التمثيل في أن كلا مخلوق بقول كن كذا قيل أو في أن كلا مخلوق من تراب أيضا و به قيل . و وجهه بعضهم في عيسى عليه السلام بأنه خلق من مني الانثى فقط والمعجزة هي أنه لم يلقح كالعادة بمني الرجل بل كان بمحض القدرة التي لم يقارنها شيء من الاسباب ولذا كان أجدر من سواه بقول الله (انما المسيح عيسي بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الي مريم و روح منه) ـ سورة النساء ـ فاما أنه كلمة الله فقد شاركه في هذا آدم عليه السلام في الآية الآنفة الذكر . واما انه روح منه أى سر من اسرار قدرته الباهرة فقد شاركه في ذلك آدم ايضا قال الله تعالي (و إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) ـ سورة الحجر ـ

ولا شك ان البشر هو آدم واذن فآدم آية أنصع من عيسى في الاعجاز عليهما

(١) هي زبد الماء

حوّا وآدم أصل إنس كلّه * والجن من إبليس شرّ بريّته

سبحان ربى قدر الأشياء قد * ظهرت لدى إبّانها(١) بمشيئته

فتفكروا فى خلق أنفسكم وفي * خلق السماء تروا بدائع صنعته

وذروا التفكر فى الإله فإنه * يفضى لإهلاك النفوس بفتنته

ونظام أفلاك بنا متعلق * قامت شواهده بصدق دلالته

سبحان من ربط الأمور ببعضها * لنظام مُلك وانتفاع خليقته

لا تكترث بنتائج التنجيم ما * فى الغيب يعلمه الإله بتمته

كنتائج العاصى وزرقاوى كذا * طوخى طوالع للملوك بشهرته

زعموا بما اتفقوا عليه جميعهم * فى رصدهم عام الثلاث لهجرته

من بعد ألف والمئات ثلاثة * والأربعون مضت لغاية مدته

السلام وبهذا تعرف بطلان قول الذين يتمسكون بظاهر آية آل عمران من معتصى المسيحيين الذين يقولون بالبنوة او التثليث او الالوهية لتضايل ابناء دينهم وابناء الاديان الاخرى

واعلم انه لامنافاة بين آية سورة آل عمران التى تقول (كمثل آدم خلقه من تراب) واية سورة الحجر التى تقول (من صلصال من حمأ مسنون) واية سورة المؤمنون التى تقول (من سلالة من طين) لان الاصل الاول هو التراب ثم صار طينا ثم تحول فصار حمأ اى اسود اللون مسنونا اى متغير الرائحة ثم جف فصار صلصالا وهو الطين اليابس الذى يكون له صوت إذا قرع والمراد بالقرار المكين فى قوله (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) الرحم . والعلقة المذكورة فى قوله (ثم خلقنا النطفة علقة) هي الدم المتجمد والمضغة المذكورة فى قوله (فخلقنا العلقة مضغة) هى قطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ الانسان وسيأتى فى الحديث بيان

من ذكرهم أنباء غيب قد بدا * منها قليل والكثير بخفيته
كذب المنجم أنه لم يأته * من علمه غير القليل بصحته
هذا بمعنى قول خير الأنبيا * مما رواه الناقلون بشهرته
فحسابه حينا يصيب وغالباً * هو مخطئ تبعاً لقدر درايته
لا تشغلوا أفكاركم بنتائج * فيها الشكوك بل ارجعوا لشريعته
ودعوا الطوالع فالغيوب لدى الذي * علم الحوادث قبل خلق بريّته
قد أخفيت عن خلقه إلا الذي * هو مرتضى من رسله لكرامته
أجرُ الكهانة حرّم الهادي كما * جاء الحديث مصححاً بروايته
فأرح فؤادك واسترح إن القضا * لا ينمحي فاجزم بصدق أدلته
أم الكتاب سجله ومقرُّه * هو مبرم لابد يأت برمته
إني مقرّ بالقضا ووقوعه * وبأن ربي جامع في قبضته

لمقدار زمن التقلبات ثم قال الله (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر) يعني انه مخالف للماء الذي خلق منه فهذا ماء والخلق دم وعظم ولحم وعصب وروح وقوله (فتبارك الله) معناه تنزه وتعالى الله (احسن الخالقين) اى المقدرين للاشياء المبدعين لها فالله خالق كل شيء بقدر فأبدع واحسن و إذن لا يقال ان الآية تقول ان هناك خالقين غير الله والله احسنهم لان الخالق هنا معناه التقدير ولئن سلمنا بأن المراد بالخالق الايجاد بعد العدم فالتعبير هاهنا نظرا لما شاع بين المخاطبين من قولهم فلان أنشا كذا وابدع كذا

(١) قال الله تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون الخ)
ذكر الله قبل هذه الآية ان المتقين مستقرون يوم القيامة فى جنات وعيون

كلٌّ الأمور وكلها بمراده * من لم يصدق يرجعن لآيته
ومن القضاء معلق حقاً على * عمل من الأعمال موجب نزلته
يمحو ويثبت ما يشاء بأمره * فهو المدبر للأمور بحكمته
والرزق مقترن بمجهود الفتى * بمناكب فامشوا كما في سورته
رزق حلال أو حرام كله * يأتي على حسب القضا وارادته
إن الحلال لدائم وبشكره * ينمو فقم بالشكر تحظ بنعمته
أما الحرام فلا يدوم لخبثه * وان استدام فصرفه في شقوته
لا تفرحنَّ بمنصب مالم يكن * فيه الرضا من ربنا باطاعته
فالعزّ في الدنيا متاع زائل * فاعمل لعزّ دائم في جنته

وانهم يأخذون ما اعطاهم ربهم في الاخرة برضاء وقناعة . وعلل هذا بانهم كانوا في الدنيا (محسنين) في أعمالهم البدنية والمالية فكانوا يعبدون الله الليل (لا يهجعون) ولا ينامون منه إلا القليل واذا جاء (السحر) وهو آخر الليل استغفروا من ذنوبهم وتقصيرهم في عبادة ربهم رغم قيامهم جل الليل وكانوا يعتقدون ان في مالهم (حقا) زائدا على الزكاة الواجبة فيعطون الفقير (السائل) والفقير الذي لا يجترئ على السؤال وهو (المحروم) يحسبه الجاهل غنيا من التعفف تعرفه بسيماه

ولما كان قد ذكر قبل هذه الاية الحشر والبعث يوم القيامة والعبادة والتصدق ذكر ما يناسب كلا فقال (وفى الارض ايات للموقنين) فان من نظر الي الارض كيف دحيت ومهدت مع ما في جرمها من الاستدارة وما لها من حركات والى ما في طبقاتها من المعادن وغيرها وما يطرأ عليها من المطر الذى يحييها بعد موتها يوقن أن الله قادر على البعث . ثم قال (وفى انفسكم أفلا تبصرون) وهو حض وحث على التفكير في خلق أنفسنا ليدرك الانسان عظم النعمة والقدرة الالهية

والخير في التقوى وحسن إدارة * والشر في حب الهوى وغَوايته
فتوكلوا مستسلمين لربكم * في كل أمر تسلموا من نقمته
فهو الذى رزق الجميع بفضله * من يعترض يرجع بذل خسارته
توسيع رزق المرء أو تقتيره * في هذه الدنيا حقيقة قسمته
عمل الفتى في ذى الحياة علامة * لما له من فوزه أو خيبته
ولقد يُحَوَّلُ حاله طبقاً لما * أمضى الكتاب حصوله في نشأته
فيكون من أهل النعيم أو اللظي * حسب القضاء ولو بآخر مدته
إقرأ كتاب الله واتبع نهجه * تغنم نعيما فائزاً بعطيته
إن الذين بربهم قد آمنوا * ثم استقاموا باتّباع شريعته
يستبشرون بنعمة من ربهم * وكرامة من فضله ورحمته
أَجر لهم عند الإله بصدقهم * في عهده ووفائهم بأمانته

قال الله تعالي (أو لم يتفكروا فى انفسهم) فمن تفكر في خلق نفسه كيف كان نطفة فصار علقة فصار مضغة فصار عظما ولحما ودماً ونفخت فيه الروح التي هي سر من الاسرار الخفية التي لم يدرك أحد كنهها ثم كيف يسير ويمشي ويقف ويقعد وكيف أخرج له في صغره اللبن الخالص السائغ من بين فرث ودم وكيف رعاه بعنايته ورزقه من الطيبات وسخر له مافى الارض . فمن تفكر فى هذا كله عرف ان الشكر بالعبادة أقل واجب يؤدى لهذا الخالق المبدع الاعظم والمنعم الاجل الاكرم . ثم قال الله تعالى (وفي السماء رزقكم) وهو المطر ينزل فتنبت الارض الخيرات والثمرات فمن علم هذا لم يبخل بما آتاه الله وفى السماء ايضاً (ماتوعدون) أيها المؤمنون ويحتمل ان يكون المعنى (وفي السماء) أى في اللوح المحفوظ علم رزقكم وعلم ماتوعدون ثم أقسم

والناقضون عهودهم خزى لهم * دنيا وأخرى فى العذاب وشدته
فبقدر كسب المرء يلقى وعده * من غير نقص فى الجزا وزيادته
فالكيّس(١) الساعى لخير قديرى * عزًّا وفخراً لائقين بهمته
مادابة فى الارض أو لاطائر * إلا همو امم كما فى آيته
أمثالكم ولهم نظام بينهم * والكل مشمول بعين رعايته
سبحان من عم الورى إحسانه * سبحان هادى المتقين لطاعته
يارب وفقنا لحسن عبادة * واغفر لنا ماقد مضى لنهايته
ثم الصلاة على النبى وآله * والحامدين الشاكرين لنعمته

الله على هذا فقال (فورب السماء والارض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) أى ان ماأخبركم به حق كما ان نطقكم الذى تسمعونه حق *

واعلم ان الرزق وان كان مضمونا الا ان الله امر بالسعي في نواحي الأرض لاكتسابه فقال (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقد كان عمر رضي الله عنه يمر بالدّرة (١) بكسر الدال وتشديد الراء فى يده فاذا وجد الكسالى ضربهم ويقول لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وكما لا ينبغي الكسل الذى يسميه العوام التوكل وهو اجدر ان يسمي التواكل لا ينبغي الاسراف فى السعي لجمع الدنيا اذا أدى ذلك لتفريط في الدين أو ضعف في الصحة *

﴿ حكاية لطيفة ﴾

قال الاصمعي أقبلت خارجا من البصرة فطلع اعرابى على قعود فقال من

(١) هي العصا التى يضرب بها

﴿ فوائد جليلة ﴾

(الأولى) هل صدور أمر الله للملائكة بالسجود لآدم كان قبل خلقه أو بعد خلقه وبيان فضله عليهم بالعلم الذى علمه له وتحداهم به . بالأول قال فريق من العلماء مستدلين بقوله تعالى فى سورة الحجر (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) وقوله في سورة ص (إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) فهاتان الآيتان صريحتان في أن صدور الامر كان قبل الخلق . وبالثانى قال فريق واستدلوا بما في سورة البقرة فان قصة الخلق والاستخلاف ومحاورة الملائكة سابقة على قصة الامر بالسجود وبما في سورة الاعراف من قوله تعالى (ولقد خلقناكم (أى أباكم آدم)

الرجل قلت من بنى اصمع قال من أين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل على فتلوت (والذاريات) فلما بلغت (وفى السماء رزقكم) قال حسبك . وقام فنحر ناقته ووزعها على الناس وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح قائلا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ثم قال فهل عندك غير هذا فقرأت له قوله تعالى(فو رب السماء والارض إنه لحق) فصاح قائلا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتي حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجئوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها روحه رحمه الله *

ثم صورناكم (أى أباكم أيضاً أو انتم فى ظهره) ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين) فانت ترى التعبير بثم وهى للترتيب والتراخى

والذى يظهر لى «والله أعلم» أن الأمر بالسجود إنما كان بعد الخلق وبعد إقامة الدليل على أن آدم أفضل من الملائكة بما علمه الله من الاسماء ولذا لم يناقشوا فى السجود كما ناقشوا فى الاستخلاف ولو كان الأمر قبل الخلق بل قبل ظهور الفضل لكان محل مناقشة وهذا هو المعقول

وأما قصة سورتي الحجر وص ففيها اختصار ومافيهما يدل على أن الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة بما سيكون ومايجرونه من السجود بعد خلق آدم وهذا لا يتعارض مع ماجاء فى سورة البقرة بل كله حق لا إختلاف فيه والله اعلم. واعلم أن السجود لم يكن سجود عبادة إذ لا سجود إلا لله وإنما هو سجود تحية وتعظيم *

﴿ شرح الحديث ﴾

(١) فى الحديث المذكور الذي رواه ابن مسعود بين رسول الله ﷺ أطوار تكوين الجنين فى بطن أمه فقال (ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه) يعنى رحمها أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك يعنى أربعين يوما والعلقة دم جامد سمي بذلك لانه يعلق بالرحم واعلم أن للمرأة مبيضين يفرزان بويضات تمكث في الرحم مدة حتى تتلقح بديدان الرجل المنوية فتتطور النطفة بعد الاربعين الى علقة (ثم يكون مضغة مثل ذلك) أى أربعين يوما (ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد) والمراد ان الله سبحانه وتعالى يامر الملك الموكل بشأن

(الثانية) هل كان آدم رسولا قبل خروجه من الجنة أَو أتته الرسالة بعد خروجه منها . الظاهر الثاني لانه لو كان رسولا قبل خروجه لكان إرساله عبثا إذ لم يكن أحد فى الجنة سواه وزوجته والملائكة معصومون والجنة ليست دار تكليف وأيضا لو كان رسولا قبل خروجه لما وقعت منه المخالفة التى عبر الله عنها في سورة طه بقوله (وعصى آدم ربه فغوى) والقول بأنه كان رسولا الى زوجه في ذلك الوقت ظاهر الضعف وهنا بحث وهو. هل الانبياء معصومون أم لا والاول هي العقيدة الصحيحة وإنما الخلاف في وقت العصمة هل بعد النبوة أو قبل النبوة وبعدها . والأول أظهر كما ذكره النيسابورى فى تفسير قوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وبذلك نخرج من تأويلات

هذه النطفة أن يكتب رزقه ميسراً كان أو مقتراً وأجله طويلا أو قصيراً وعمله حسناً أو قبيحاً وشقي في النهاية أو سعيد وقد روي أن الملك يقول بعد نزول النطفة يا رب مخلقة أو غير مخلقة فان كانت غير مخلقة قذفها في الرحم فتنزل مع الحيض وان كانت مخلقة يقول يارب ذكر ام انثى ما الرزق . ما الاجل . ما العمل . بأى أرض تموت . فيقال له انطلق الى اللوح المحفوظ تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيكتبها وفى رواية أخرى يقول ما الرزق. ما الاجل ما العمل. شقي أو سعيد. واعلم ان الكتابة قبل نفخ الروح كما فى رواية البخارى والواو فى هذه الرواية لا تقتضي ترتيبا. واسناد نفخ الروح الى الملك مجاز فان نفخ الملك فى الصورة سبب يوجد الله عنده الروح في الصورة والروح سر يعلمه الله مخلوق قبل الجسم بزمن كبير وسيأتى وصل خاص بها ان شاء الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فوالله الذى لا إله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتي ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار

كثيرة وتمحلات متعددة فى التوفيق بين القول بالعصمة قبل النبوة وبين مخالفة آدم عليه السلام بالاكل من الشجرة التى نهى عنها ولا يغرنك دفاعهم عن الرأى الثانى . بان مقام الانبياء لا يتفق مع جواز وقوع المعصية منهم إذ هم ليسوا أنبياء حين ذلك على ان العصمة مع ثبوت المخالفة هو الذى لا يتفق مع مقام النبوة مهما أولوا الآيات الصريحة

(الثالثة) اللغات توقيفيه بتعليم الله تعالى وليست اصطلاحية بدليل قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) وهذا ظاهر خلافا لمن قال أنها اصطلاحية من وضع البشر

(الرابعة) ابليس من الجن وليس من الملائكة بدليل قوله تعالى (إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) وقوله تعالى حكاية عن

فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتي ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) والحالة الاولي قليل وقوعها والثانية كثير وقوعها وهذا من فضل الله على هذه الامة وخلاصة القول ان ما كتب قديما لا بد كائن فاذا كتب الشخص شقياً فهو فى النهاية شقي مهما ظهر بمظهر الصلاح والتقوى واذا كتب الشخص سعيداً فهو فى النهاية سعيد وان ظهر قبل ذلك بمظهر الفسق والفجور وهذا التحول مشاهد فاننا نرى الشخص يسير فى طريق الغواية حتي اذا قارب نهاية الطريق صلح حاله وسار في طريق الهداية طبقا لما كتب قبل خلقه فدل هذا على تقدير الأمور أزلا كما أخبر به الصادق المصدوق ولا ينافى هذا قوله تعالى (إنا لا نضيع أجر من احسن عملا) فان المراد باحسان العمل ان يكون مقبولا لاشتماله على الاخلاص فمثل هذا لا يرد ولا تكون خاتمة صاحبه

إبليس (خلقتني من نار) ومن المعلوم أن الملائكة من نور ولأن له ذرية قال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) والذرية لا تكون إلا من ذكر وأنثى والملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ولا يتناسلون ولانه فسق عن أمر ربه وكان من الكافرين بصريح الآيات والملائكة معصومون وليس للقائلين بأنه من الملائكة حجة سوى قولهم أنه لو كان من الجن لم يكن الأمر بالسجود منسحباً عليه ولم يكن مستحقاً للتأنيب على ترك السجود لانه ليس من الملائكة وقد أنبه الله تعالى فهو إذن من الملائكة والجواب عما قالوه سهل وهو أنه لما كان الأمر صادراً للملائكة وهم صفوة الله من خلقه حين ذاك والجن مفضولون كان تكليف الافضل بالسجود تكليفا للمفضول فلما ترك السجود استحق التأنيب والله أعلم *

إلا الخير أما ذلك الذى يحسن عمله ظاهراً وقد كساه ثوب الرياء فعمله غير مقبول وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار) ولما كان ذلك التحول غريبا مع كونه مشاهداً اقسم عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (فوالله الذى لا إله غيره) نسأل الله سبحانه وتعالى ان يحسن أعمالنا و يجعلها خالصة لوجهه الكريم ويحسن خاتمتنا إنه على مايشاء قدير *

جاء في النظم

وتفكروا في خلق أنفسكم وفي	خلق السماء تروا بدائع صنعته
وذروا التفكر في الاله فانه	يفضي لاهلاك النفوس بفقمته

وهذان البيتان يوافقان الحديث الذى رواه ابو الشيخ قال قال رسول

﴿ أخبار السلف الصالح ﴾

قال ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد تحت عنوان (كتاب اللؤلؤة في السلطان) ما يأتي :

السلطان زمام الأمور . ونظام الحقوق . وقوام الحدود . والقطب الذي عليه مدار الدنيا . وهو حمي الله في بلاده . وظله الممدود على عباده . به يمتنع حريمهم . وينتصر مظلومهم . وينقمع ظالمهم . ويأمن خائفهم . قالت الحكماء . إمام عادل خير من مطر وابل . وإمام غشوم خير من فتنة تدوم . ولما يزع (١) الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن . وقال وهب بن منبه . فيما أنزل الله على نبيه داود عليه السلام (إني أنا

الله صلى الله عليه وسلم (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا) ففي هذا الحديث يأمرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نتفكر في خلق الله ونتأمل في السموات كيف رفعت وإلى الكواكب وحركاتها والى الأرض كيف سطحت وما عليها من الجبال كيف نصبت وما فيها من الانهار والحيوان والنبات والمعادن والجماد وغير ذلك مما يحتاج اليه الانسان والحيوان لنعلم ان لها صانعا ومدبراً حكيما قديراً عليما لا يعزب ولا يغيب عنه مثقال ذرة

ثم نهانا ان نتفكر في ذات الله لئلا نهلك فان الله لا يعلمه إلا هو قد أحاط بكل شيء علما وقصر عن إدراكه علم البشر (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) . واعلم ان كل ما يخطر بالبال فالله سبحانه وتعالى بخلافه وغاية ما يصل به الانسان الى معرفة ربه ان يعرف اجناس الموجودات من

---

(١) يكف ويمنع

اللهُ مالكُ الملوكِ . قلوبُ الملوكِ بيدى . فمنْ كانَ لى على طاعة جعلتُ الملوكَ عليهم رحمة . ومَن كانَ لي علي معصيةٍ جعلتُ الملوكَ عليهم نقمة *

فحق على من قلده الله أَزِمَّة حكمه وملّكه أُمور خلقه واختصه باحسانه . ومكّنَ له فى سلطانه . أن يكون من الاهتمام بمصالح رعيته والاعتناء بمرافق أهل طاعته . بحيث وضعه الله من الكرامة وأجرى عليه من أسباب السعادة . قال الله عز وجل (الذينَ إنْ مكّنَّاهُمْ فى الأرضِ أقاموا الصلاةَ وآتوُا الزكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونَهَوْا عن المنكر) انتهى

جواهر واعراض محسوسة أو معقولة و يعرف اثر الصنعة فيها وانها محدثة وان محدثها ليس إياها ولا مماثلا لها ثم إن التفكر أربعة اقسام : (اولا) التفكر في آيات الله وعلامته تولدُ المحبة : (ثانيا) التفكر فى وعد الله وعلامته تولد الرغبة : (ثالثا) التفكر فى وعيد الله وعلامته تولد الرهبة : (رابعا) التفكر فى جفاء النفس من احسان الله وعلامته تولدُ الحياء من الله تعالى قاله العلامة المناوى وقال بعض العارفين التفكر قسمان (الاول) يتعلق بالمعبود (والثانى) يتعلق بالعبد . اما التفكر المتعلق بالمعبود فقد منع الشرع منه وأما التفكر المتعلق بالعبد فمأمور به إزله ان يتفكر هل هو على معصية اولا فان رأى زلة من نفسه فعليه ان يتداركها بالتوبة ثم يتفكر في نقل الاعضاء من المعاصى الي الطاعات فيجعل شغل عينيه الاعتبار وشغل لسانه الذكر والاستغفار ثم يتفكر في مبادرة الاوقات قبل الفوات فيصلى زيادة على الفرض ما استطاع وينظر في الصوم فيقوم بصيام مواسم الخير زيادة على رمضان ثم ينظر إن وجبت عليه

وقد سقنا هذا لمناسبة استخلاف آدم وبنيه فى الأرض وتكريمهم ليتعظ به من وُلِّىَ شيئا من أمور المسلمين ونحن ذاكرون مما رواه أيضا مافيه الاتعاظ للمتعظين قال الربيع بن زياد الحارثى : كنت عاملا لأبى موسى الأشعرى على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا من يثقون بهم حتى يرجعوا فلما قدمنا أتيت يرفا (اسم رجل) فقلت يايرفا أنا ابن سبيل مسترشد أخبرنى أىّ الهيئات أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الى الخشونة فاخذت خفّين مُطارقين (أى مخصوفين بالجلد) ولبست جبة صوف ولففت رأسى بعمامة دَكْناء

زكاة اخرجها و إلا فليتصدق ثم ينظر في قصر عمره فيتنبه له قبل ان يذهب وهو لا يشعر فيملؤه بالطاعات والعبادات ثم يتفكر بعد ذلك فى صفات الباطن فيتخلى عن الصفات المذمومة كالكبر والعجب والبخل والحسد ويتحلى بالصفات المحمودة كالصدق والاخلاص والصبر والخوف ويتفكر في زوال الدنيا وفنائها فيتركها لأهلها وفى بقاء الآخرة ودوامها فيطلبها ويعمرها وقال الجنيد شرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة وقال الحسن البصرى تفكر ساعة خير من قيام ليلة وروي عن المقداد بن الاسود رضي الله عنه قال دخلت على أبى هريرة رضى الله عنه فسمعته يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم (تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكان إذ ذاك متفكراً ثم دخلت على ابن عباس فسمعته يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سبع سنين ثم دخلت على أبى بكر فسمعته يقول قال النبى صلى الله عليه وسلم (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) قال المقداد فدخلت على رسول الله صلى الله عليه

(أى لففت العمامة غير مستوية) ثم دخلنا على عمر فصفّنا بين يديه وصعّد فينا نظره وصوّب فلم تأخذ عينه أحداً غيرى . فدعاني: فقال من أنت ؟ قلت الربيع بن زياد الحارثى قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين . قال فكم تُرزق . قلت خمسة دراهم في كل يوم . قال كثير . فما تصنع بها قلت اتقوّت منها شيئا . وأعود بباقيها على أقارب لى. فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين . فقال لا بأس ارجع إلى موضعك . فرجعت إلى موضعى من الصف . ثم صعّد فينا وصوّب فلم تقع عينه إلا عليّ . فدعانى فقال كم سنّك . فقلت ثلاث وأربعون سنة . فقال الآن حين استحكمت . ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثو عهد بلين

وسلم فاخبرته بما قالوا فقال صدقوا ثم قال أدعُهم الىّ فدعوتهم فقال لأبى هريرة كيف تفكرك وفيماذا فقال فى قوله تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والارض) قال تفكرك خير من عبادة سنة ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقال تبارك خالقها ورافعها وممدها وطاويها طي السجل ثم نظر إلى الارض فقال تبارك خالقها وممدها وطاحيها ثم سأل ابن عباس عن تفكره فقال تفكرى في الموت وهول المطلع فقال صلى الله عليه وسلم (تفكرك خير من عبادة سبع سنين) ثم قال لأبى بكر كيف تفكرك قال تفكرى فى النار وأهوالها وأقول يارب اجعلنى يوم القيامة من العظم بحال تملأ النار منى حتي يصدق وعدك ولا تعذب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال تفكرك خير من عبادة سبعين سنة ثم قال صلى الله عليه وسلم (أرأف أمتي بأمتى أبو بكر) رواه ابو الشيخ وسأل بعضهم الحسن البصري رضي الله عنه عن الله فقال إن سألت عن ذاته فليس كمثله شيء وإن سألت عن صفاته فقد قال قل هو الله

العيش وقد تجوعت له : فأُتِيَ بخبز يابس وأكسار بغير إدام فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأُجيد الاكل. فنظرت فاذا به يلحظني من بينهم . ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سخت فى الأرض ولم ألفظ بها. فقلت ياأمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدتَ الى طعام هو الين من هذا فزجرني وقال كيف قلت؟ . قلت أقول لو نظرت ياأمير المؤمنين إلى قوتك من الطحين قبل إرادتك إياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتُؤْتي بالخبز ليِّنا وباللحم غريضا(أى طريا) فسكّن من غَرْبه (أى حدّته) وقال هذا قصدتَ ؟ قلت نعم قال يا ربيع إنا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب صلائق (اللحم المصلوق) .

احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) و إن سألت عن اقواله فقد قال(إنما أمرنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن فيكون) و إن سألت عن اسمائه فقد قال (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) . و إن سألت عن افعاله فقد قال (كل يوم هو فى شأن)

(حكى) أنه كان العابد من بنى إسرائيل اذا عبد الله تعالى ثلاثين سنة أظلته سحابة إكراما له حتى يشتهر بذلك بين الخلق فعبد شخص تلك المدة فلم يحصل له ذلك فشكا إلى أمه فقالت له لعلك فعلت ذنبا قال لا فقالت لعلك نظرت إلى السماء نظر تفرج لا نظر تفكر واعتبار فقال نعم فقالت من هذا مُنعت تلك الكرامة لتقصيرك بذلك إذ شأن الموفق أن لا يضيع وقتا

وسبائك (أنظف الخبز ومنه الرقاق) وصناب . (طعام يؤخذ من الزبيب والخردل) ولكنى رأيت الله تعالي نعى على قوم شهواتهم فقال (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) ثم أمر أبا موسى أن يقرنى وأن يستبدل باصحابي اه

وروى أنه لما وجه عمرُ بن هُبَيْرَة مسلمَ بن سعيد الى خُراسان قال أُوصيك بثلاثة . (حاجبك) فانه وجهك الذى تلقى به الناس : إن أحسن فانت المحسن وإن أساء فانت المسيء . (وصاحب شرطتك) : فانه صوتك وسيفك حيث وضعتهما (وعمال القرى) قال وما عمال القرى قال أن تختار من كل كُورَةٍ (أى ناحية) رجالا لعملك فيها

فى غير العبادة

(وحكى) أن كسري اضطجع ليلة على فراشه فنظر الى الفلك وتفكر في هيئته واستدارته وقال أيها الفلك إن بناء أنت سقفه لعظيم. وإن بيتا أنت غطاؤه لنظيم. و إن شيئا أنت تُظله لكبير. وان فيك عجبا للمتعجبين. فليت شعرى أعلى عمد من تحتك تتمسك. أم بمعاليق من فوقك تتعلق . ولعمرى أن مَلكا أمسكتك قدرته لملك قدير . و إن فى استدراتك بتقديره لحكمة خبير . و إن جهل من غفل عن التفكر في هذه العظمة لغير صغير

وجاء فى النظم أيضا

أجرَ الكهانة حرم الهادي كما ... جاء الحديث مصححا بروايته

وهذا البيت يوافق الحديث الذي رواه أبو مسعود الأنصارى رضي الله عنه قال (نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب ومهر البغى وحُلوان الكاهن) رواه البخارى فى هذا الحديث نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم

فان أصابوا فهو الذى أردت وإن أخطئوا فهم المخطئون وأنت المصيب

﴿ فوائد تناسب تحديد الرزق والأجل ﴾

قال أنس رضى الله عنه خرجت مع النبى صلي الله عليه وسلم فرأيت طيراً أعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرى مايقول قلت الله ورسوله أعلم قال إنه يقول اللهم أنت العدل وقد حجبت عني بصرى وقد جعت فاقبلت جرادة فدخلت في فمه ثم ضرب بمنقاره على الشجرة فقال النبى صلي الله عليه وسلم أتدرى مايقول قلت لا قال إنه يقول من توكل على الله كفاه

وقال مالك بن دينار رضى الله عنه خرجت الى الحج فرأيت طيراً

عن ثلاثة أشياء

(الاول) ثمن الكلب فلا يجوز بيعه وبهذا قال الشافعية والحنابلة وجمهور المالكية وقالوا سواء كان كلب صيد أو حراسة أو غير ذلك وقال أبو حنيفة وصاحباه وسحنون من المالكية بجواز بيع كلب الصيد والحراسة

(الثانى) مهر البغى وهو الأجر الذى يعطي لها فى نظير البغاء

(الثالث) حلوان الكاهن وهو أجرة كهانته والكاهن هو الذى يدعي علم الغيب بأيّة وسيلة من فتح كتاب أو ضرب رمل أو أوراق اللعب (الكتشينة) أو استخارة بالسبحة أو قياس اثر أو استخدام جن او غير ذلك واعلم ان الغيب لله وحده قال الله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً إلا من ارتضي من رسول) وإنما يطلعه الله على الغيب للاعجاز ولنصر رسالته وليس هناك من طريق شرعي يكشف ما استتر من امر القدر إلا اربعة طرق:

(الطريق الاول) الوحى ولا يكون إلا لنبى او رسول وقد انقطع الوحي

في فمه رغيف فتبعته فجاء إلي شيخ موثق وصار يلقمه لقمة بعد لقمة ثم طار ثم جاء بماء فسكبه في فم الشيخ فقلت له من أنت قال أنا من الحجاج أخذني اللصوص وربطوني ههنا فصبرت على الجوع خمسة أيام ثم قلت يامن يجيب دعوة المضطر إذا دعاه أنا مضطر فارحمني فأرسل لي هذا الغراب قال مالك فحللته من الوثاق ومضينا وحكاه الرازي عن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه في تفسير سورة الفاتحة

وفي تفسير العلائي والقرطبي رضى الله عنهما في سورة هود عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) أن أبا موسى الأشعري وأصحابه رضى الله عنهم قدموا على

بشرع جديد(١) بموت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم إن الله يلهم الاولياء كما كان يوحي على الانبياء والفرق ان الانبياء مختصون بنزول الملك دون الأولياء : (الطريق الثاني) الرؤيا الصالحة للمؤمن فقد روى ان الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة : (الطريق الثالث) الأبراج والأفلاك ودلالتها لا يعترف بها الشرع إلا في توقيت الصلاة وكذلك عند الشافعية في الصوم دون غيرهم ان وقع في القلب صدق الفلكيين : (الطريق الرابع) الاستخارة الشرعية فعن جابر بن عبدالله الانصاري رضى الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة

---

(١) انما قلنا بشرع جديد لانه ورد في الصحيح ان جبريل ينزل على عيسى عليهما السلام و يوحي اليه بتعاليم ولكن هذه التعاليم ليست شرعا جديداً بل تطبيق لشرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

النبى صلى الله عليه وسلم وقد قل زادهم فأرسلوا واحداً منهم يطلب لهم شيئا من النبى صلي الله عليه وسلم فسمعه يقرأ هذه الآية فقال الرجل ماالاشعريون بأهون علي الله عز وجل من الدواب فرجع ولم يدخل على النبى صلي الله عليه وسلم ثم قال لأصحابه أبشروا فقد جاءكم الغوث من الله فظنوا أنه كلم النبى صلي الله عليه وسلم فوعده بشيء فبينما هم كذلك إذ جاءهم رجلان يحملان قصعة فيها خبز ولحم فأكلوا حتى شبعوا وذهبوا بالباقى الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله ماوجدنا طعاما أطيب من الذى أرسلته الينا فقال ماأرسلت اليكم طعاما فاخبروه بخبر صاحبهم الذى أرسلوه اليه فسأله النبي صلي الله عليه وسلم عن ذلك فاخبره الرجل بما سمعه من القرآن فقال النبي صلى

ثم ليقل اللهم إنى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرلى في ديني ومعاشي وعاقبة أمرى أو قال (عاجل أمرى وآجله) فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الامر شر لى في دينى ومعاشي وعاقبة أمرى أو (قال عاجل أمرى وآجله) فاصرفه عنى واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ورضنى به قال ويسمي حاجته انتهى

ويستحب أن يفتتح هذا الدعاء ويختمه بالحمد والصلاة والسلام على النبى ﷺ كما ينبغي أن يقرأ في الركعة الاولى سورة (قل ياأيها الكافرون) ويزيد عليها (وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله عما وتعالي يشركون

الله عليه وسلم ذلك شيء رزقكم به الله عز وجل

(وحكى) أن ملك الموت عليه السلام دخل يوما علي سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يطيل النظر الى رجل من ندمائه ثم خرج فقال ذلك النديم يانبي الله من هذا الرجل قال إنه ملك الموت فقال يانبي الله رأيته يطيل النظر إلى وأخاف أنه يريد قبض روحي فخلصني من يده فقال وكيف أخلصك فقال تأمر الريح أن تحملني الى بلاد الهند فلعله يضل عني ولا يجدني فامر سليمان عليه الصلاة والسلام الريح ان تحمله فى الساعة الى أقصى بلاد الهند فحملته فى الوقت والحال فقبض روحه وعاد ملك الموت ودخل علي سليمان عليه الصلاة والسلام فقال سليمان لأى سبب كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل: قال كنت أتعجب منه

وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون) وفى الركعة الثانية سورة (قل هو الله أحد) وقوله تعالي (وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

وينبغي أيضا أن يكرر الصلاة والدعاء سبعا وأن ينام على طهارة مستقبل القبلة فاذا رأى فى منامه مايسره من بياض أو خضرة فعل ماستخار الله عليه وإن رأى سوادا أو حمرة احجم انتهى باختصار وتصرف من حاشية ابن عابدين

أما استخدام الشياطين لاستراق السمع والاخبار بالمغيبات فقد ورد فى البخارى عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الملائكة تنزل في العنان (وهو السحاب) فتذكر الأمر قضي فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان

لأنى أمرت بقبض روحه بأرض الهند وهو بعيد عنها الى أن اتفق وحملته الريح الى هناك كما قدر الله فقبضت روحه هناك (والله أعلم) وهذا مصداق قوله تعالى (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم)*

* وصية آدم لأبنه *

(روى) أن سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام أوصى ابنه شيثا عند موته بخمسة أشياء وأمره أن يوصى بها بنيه من بعده

(الاولى) لاتطمئنوا بالدنيا فأنى اطمأننت بالجنة فلم يرض ربى فأخرجنى منها

(والثانية) لاتعملوا بهوى نسائكم فأنى عملت بهوى حواء وأكلت

فيكذبون معها (أى مع الكلمة التي سمعوها من الملائكة) مائة كذبة من عند أنفسهم)وفى رواية أخرى عن أبى هريرة يبلغ بها النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان(أى يشبه قول الله صوت وقوع السلسلة على الحجر الأملس) فاذا فزع عن قلوبهم(أى أزيل الخوف) قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذى قال (أى سأل) الحق وهو العلى الكبير (أى قال الله القول الحق) فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها (أي الكلمة) إلى صاحبه فيحترق وربما لم يدرك حتى يرمي بها الى الذى يليه الى الذى هو أسفل منه حتى يلقوها الى الأرض فتلقي على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون

من الشجرة فلحقتنى العَبْرَة (أى دموع البكاء) والندامة

(والثالثة) كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فأنى لو نظرت عاقبة الامر لم يصبنى ماأصابني

(والرابعة) إذا اضطربت قلوبكم في فعل فاجتنبوه فأنى حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبى فلم أرجع فلحقنى الندم

(الخامسة) استشيروا فى الأمور فأنى لو شاورت الملائكة لم يصبنى ماأصابنى

(أى الذين تكهنوه واستمعوا منه) الم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التى سمعت من السماء)رواه البخارى فأنت ترى كيف كشف الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن دجل اؤلئك الكاذبين الخادعين المدعين معرفة الغيوب فليعلم الناس هذا وليبلغه من عرفه لمن لم يعرفه فقد شاع وذاع أمرهم ودخلت على كثير من الرجال والنساء حيلهم واستنزفوا أموالهم وأصبحنا مثلة بين الأمم اصلح الله احوالنا ونور بصائرنا آمين



نبذ تاريخية

﴿ النبذة الاولى ﴾

﴿ الخديوى السابق والخلافة العربية ﴾

حقائق ومعلومات تاريخية

﴿ بين عزت العابد باشا والشيخ أبى الهدى ﴾

مما يعد من الحوادث الشائقة ، والنوادر المستملحة ، ان السلطان عبد الحميد كان قد عقد اجتماعا من المشايخ حضره كل من الشيخ أبى الهدى والشيخ محمد ظافر والشيخ احمد أسعد وبعض السادة الاشراف ، وذلك على اثر شفائه من مرض كان ألم به واشتدت وطأته عليه ، فلما تعافى وعقد ذلك الاجتماع ، قال أبو الهدى ان عشرة ملايين من أولياء الله تعالى ، وعلى رأسهم الخضر عليه السلام ، مشوا على الماء ، وصعدوا الى السماء ، وهللوا وكبروا ، وهتفوا هتافا شديداً بصوت ارتجت منه الجبال ،وتزلزت له الكائنات ، واشتد دويه فى سمع الدهر ، وجعلوا يقولون: سبوح قدوس رب الملائكة والروح : اللهم أغث عبد عظمة كبريائك ومجدك ، السلطان الغازى ، خليفة المسلمين ، عبد الحميد الثانى ، واحفظه بالسبع المثانى ، وكانت الملائكة ترفرف عليهم باجنحتها الخضر . وتردد تسبيحهم ، وتهليلهم الذى تعلق بسياج العرش ، وكانت روحانية أشياخي تغشانى فى كل لحظة وعقب كل لمظة ، بالهاميات من اللدنيات ، حافلة بتبشيرات ، وكلهم رددوا وصيحتى حين قلت (أفديه بروحى) وقالوا وأرواحنا جميعا فداء روحك ، التي تفدى تلك الروح ورددوا ايضا : (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) فالحمد لله على السلامة ، والحمد لله الذى جعلنا من أهل الكشف والكرامة .

وقال الشيخ احمد اسعد ان سماحة السيد ابى الهدى أفندى قال الذي كنت

أريد ان اقوله (كجيمش أو لسون افندى مزجوق يشا) (١) وقال الشيخ ظافر : نحن علينا الدعاء وعلى الله القبول . وقال بقية الحاضرين : اى نعم اذا لم تهتز الدنيا و ينصدع جدار الصين لانحراف مزاج خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، فلمن اذن تهتز الأرض في طولها والعرض ، واخلاصنا لجلالته فرض محض ! ؟ (والله لا إله إلا هو له ما في السموات وما في الارض)

وبينماهم كذلك وإذا باحد الحجاب دخل بسرعة البرق واضعاً يده على رأسه ومنحنياً اجلالا وإعظاما وقدم برقية مستعجلة اكفهر وجه السلطان حين قرأها ، وتكهربت أعصابه وقال بصوت متهدج : أيصدّق أن السيد توفيق البكرى نقيب أشراف القطر المصرى يسافر إلى لوندره ويحل ضيفا في قصر جلالة الملكة فكتوريا ، ملكة انجلترا ثم انها تقابله مقابلة سرية ؟ ثم مايدرينا ماذا كان الحديث الذى دار بينهما ، وما هى الأسباب التي حملت نقيب السادة الأشراف على ذلك ياترى ؟ وحين كان السلطان يظهر اندهاشه واستغرابه لهذه المفاجأة المقلقة كان أبو الهدى يفكر فى الاستفادة من هذه الفرصة الثمينة لاسيما ، وانه يعد نفسه أنه فوق الأشراف والاقطاب ، وأنه المتصرف في جميع الشئون، وأنه أوتى علم ما كان ومايكون ! وإذا كان السلطان قد اضطرب لزيارة نقيب أشراف مصر الملكة الانجليز فمن باب أولى ستكون بسبب هذه الزيارة أهمية عظمى لابى الهدى، وخير مغنم بارد ورب ساع لقاعد

فتنحنح ندء ئذ أبو الهدى وقال : كم وكم دعيت من ملوك السند والهند والجابون وأخيراً من ناصر الدين شاه ، دولت علية أيران ، بان أفد اليهم زائراً بقصد أن تحل عليهم بركاتنا فكنت أعتذر بالرغم عن إلحاحهم وإلحافهم ، وشدة رجائهم واستعطافهم ، هذا مع أنهم من ملوك الاسلام الذين لجلالتكم فى أعناقهم بيعة الخلافة ، وذهابي اليهم لا يحمل الا على محمل الخير ، فكيف أقدم نقيب أشراف مصر على هذا الامر العظيم ؟ لاشك ان خديو مصر هو الذى أوفده لانه يطمع فى الخلافة ، وهو الذى عهد اليه بوظيفة نقابة أشراف

---

(١) جملة تركية معناها زال الشر بالسلامة و يعيش مولانا كثيرا

مصر والحال أني سمعت أن السيد توفيق البكرى حديث السن : قال أحمد أسعد : ان الشيخ المرغني كان قد ذهب إلى بلاد الانجليز وقابل سلطان النصارى. « وقرال اليونان » ولعل ذلك الشيخ أرسله الخديوى أيضا ، لاجل تمهيد الزيارة البكرية ، وإنى أتعجب أشد العجب من حلم جلالة السلطان عليه ، وكيف انه لا يعزله و يعين البرنس سعيد باشا حليم بدلا عنه ؟ ! وهذا المنصب من حقوقه ، لان أباه المرحوم حليم باشا ، كان أصغر أولاد محمد على باشا ، والى مصر . ولكن اسماعيل باشا الخديوى الاسبق عملها ، وجعل الدول باسرها تصدق على أمر الوراثة . قال أحد الأشراف — الحق يقال ، ان سعيد باشا البرنس ، من الفلاسفة الكبار ، لانى عرفت اقتداره بنفسى . حين ضفت فى (يكى كوى) — أى القرية الجديدة — وكان سموه رئيس بلدية القرية المذكورة . فرأيت من حسن الادارة والنظام ماجعلنى أتمنى لتلك القرية التقدم فى سلم الرقى الصاعد إلى سماء العمران .

قال الشيخ احمد أسعد : لاشك ان الذي يستطيع ادارة بلدية قرية مثل (ينى كوى) يمكنه أن يدير مملكة بعقله وذكائه ، وهو فوق ذلك من كبار الاغنياء والمتولى على أوقاف ساكنة الجنان الأميرة زينب هانم : قال أبو الهدى أنا من رأيى أن ترسل اشارة برقية إلى سفير الدولة العلية فى لوندره ، بأن يبذل قصارى الجهد لترغيب السيد البكرى فى المجيء إلى الاستانة وأن يكون فى ضيافتى وأنا أستعين بروحانية الاولياء الواصلين وأهل الله أجمعين ، كشف هذا المعمى ، وحل ذلك اللغز ، لاسيما وإنى أنا المرجع الاعلى لجميع الاشراف ، من آل عبد مناف فوافق السلطان على ذلك ، ولم تمض أيام قلائل حتى وصل السيد محمد توفيق البكري إلى الاستانة ، وزفت البشائر للمابين . واشرأبت الأعناق لرؤيته . وقد أدهش الألباب بما أظهره من الصلاح حيث كان يقضى سحابة يومه صائما حتي خيل انه من السبعة الذين سيظلهم الله تحت عرشه . يوم القيامة لانهم رأوا فى شخصه شاباً ذكياً نشأ في طاعة الله . يجيد العربية الفصحي . ويتدفق بلاغة وفصاحة . وقد بدأ يتلقى الطريقة الرفاعية

عن أبي الهدى فقدمه للسلطان وامتدحه وأثنى عليه · ولم يخرج من الحضور الشاهاني الا وقد أنعم على سماحته برتبة صدر الصدور العظام (قاضي عسكر) وبمدالية ذهبية والحائز لهذه الرتبة السامية يلقب بصاحب السماحة . وكانت هذه الرتبة الجليلة هي أول الرتب العالية التي وجهت لعظيم من عيون أعيان مصر . والحق يقال أن حضرة صاحب السماحة السيد توفيق البكرى كان جديراً بكل عناية واحترام لما امتاز به من الفضائل والمكارم . وإن لم يكن له الا اهتمامه باللغة والاداب العربية . وتعضيد الافاضل والشعراء وأهل اللسن من النبغاء . لكفى . بل إنه حفظ لأبي الهدى تلك المأثرة . وكافأه عليها بما يشف عن علو همته . وكرم محتده : هذا وقد وثق السلطان من أن زيارة سماحته لانجلترا . إنما كانت بناء على طلب شديد أجبر عليه · فذهب مكرهاً وإن جلالة ملكة الانجليز التمست منه . بصفته نقيب أشراف مصر . أن يتوسط لدى جلالة الخليفة الاعظم في العطف على الارمن . وأن يقنع أهالي القطر المصرى بعدم طردهم من وادي النيل . وأنه قال سأعرض ذلك . ولا أقدم على عمل شيء إلا برضاء جلالة أمير المؤمنين . فابتهج السلطان بذلك . وازداد اعجابا بما تبلغ اليه من صلاح سماحة السيد البكرى وتقواه . وخشوعه ونسكه . وقال أبو الهدي رأيت في حراسته مائة ألف من الاقطاب . وسمعت الملائكة تردد ما يتلو في المحراب .

وكان عزت العابد اذ ذاك حديث عهد بالانتظام في سلك رجال المابين . ولما سئل عن السيد البكرى قال أنا لا اصدق انه على شيء من الصلاح والفلاح بل أقسم بكل محرجة من الأيمان . أنه من شيطان الانس والجان . وإنه لامر ما جدع قصير أنفه · وسأكشف الستار عن حقيقة الامر .

واتصل بابي الهدي جميع ما قاله العابد . فاوعز الي السيد البكرى بسرعة الرجوع إلي مصر . واستأذن له السلطان . زاعما ان لفيفا من المصريين شرعوا في عقد جمعية للبحث في مسألة الخلافة . وان في ذهاب سماحة السيد البكرى الآن . أعظم فرصة ليخبرنا بما هنالك : وفعلا عاد السيد إلى مصر وهو يجر

مطارف الفخر وقد نظمت فى تهنئته القصائد . ونثرت الفرائد . وعقدت الولائم . وتتابعت (العزائم) . وكانت سراى سماحته فى الخرنفش . كعبة القاصد. ونجعة الرائد وكان حضرة المرحوم العلامة صاحب السعادة السيد ابراهيم بك المويلحى في مقدمة المهنئين وظن الكثيرون — و بعض الظن إثم — انه المدبر لما كان بدهائه لتفرده بذلك الاختصاص . وتفوقه على دهاء معاوية وعمرو بن العاص . و إجماع القول إن أبا الهدى لم يحسن في حياته شيئا يستحق الذكر : و يجنى من ثمره هو وذريته من بعده . مثل إحسانه فى اسداء الجميل لاهله . و إن كانت رمية من غير رام . ومكرمة لم يقصد بها الاكرام

وقبل ان نختم هذا الفصل حدثت حادثة جديرة بالذكر يحمل بنا أن نتحف بها حضرات القراء والحديث ذوشجون . وذلك أنه كان قد حضر من الاستانة . أحد علماء الشام من المتصلين بابى الهدي . ومعه مضبطة مكتوبة على ورقة طويلة جداً . وتبدأ فيها الكتابة من نصف الورقة فنازلا وهى تتضمن الدعاء لجلالة السلطان عبد الحميد الثانى خليفة المسلمين و إعلان الاخلاص لمقامه الاقدس .وعرشه الشاهانى الانور. من جميع عظماء و وزراء وعلماء وأغنياء القطر المصرى وشدة تمسكهم بمقام الخلافة . وارتباطهم بجلالته وانهم يفدونه بأرواحهم وأموالهم الى غير ذلك. وتوسط أحد الاهالي فى تقديم ذلك الشيخ إلى أولئك العظماء وحثهم على انتهاز هذه الفرصة لبيان إخلاصهم و إن الأمر لا يكلفهم سوى تذييل المضبطة المذكورة بامضاءاتهم فتسابقوا ذلك المضمار . وعاد الشيخ إلى الاستانة . وكان خديوى مصر هنالك . وقدم لابى الهدي المضبطة فكانت احب اليه من حمر النعم . بل لو أهديت له الشمس فى قنديل . والجنة فى منديل . لما فرح بها فرحه بهذه المضبطة . والسر فى ذلك أنه استكتب في النصف الاعلى منها بنفس الخط الذى كتب به نصفها الادنى . مقدمة تتضمن ان العظماء والوزراء . المصريين وأولئك العلماء والاغنياء . بالاصالة عن أنفسهم . وبالنيابة عن جميع أهالى القطر المصرى . غير راضين عن أعمال الخديوى . وأنهم ينقمون عليه تفانيه في حماية حزب

تركيا الفتاة . وصرفه الاموال الطائلة من خزينة المسلمين على أولئك الخونة المارقين : وإنه لم يكتف بكل هذه الخيانة التي يحارب بها جلالة السلطان والدولة العلية . بل اخذ يدس الدسائس . ويواصل الليل بالنهار . لتحقيق آماله فى مسألة الخلافة العربية : التي يسعى للوصول اليها . والحصول عليها . وقد نصحناه مراراً فلم يقبل . حتي إن الشعراء وملوك الكلام . نظموا فى ذمه القصائد وناهيك بقول احدهم :

أعباس ترجو أن تكون خليفة   كما رام آباء لكم وجدود

فلهذا نقدم هذه المضبطة إحتجاجا على تلك الاعمال . وإثباتا لفرط إخلاصنا الخ الخ : : : » ولما أراد الخديوى العودة إلى مصر . وكانت حضرة صاحبة الدولة والسمو : ام المحسنين : الاميرة الجليلة والدة سموه . سبقته بالذهاب إلى المابين الهمايونى . وكان السلطان عبد الحميد . مع عظمته . وصولته يقدس سموها . ويوفيها حقها السامى من العناية الكبرى : حتي انها كانت تسير في موكب عظيم . من ياوران المابين . وكبار رجال الحرس الشاهانى . وكان حضرة صاحب العطوفة « الماس أغا » إذا دخل المابين . ترتج جوانبه : فما ظنك بحضرة صاحبة السمو والعصمة والدولة . والدة باشا . فلما ودعت جلالة السلطان شكا لسموها من الخديوي . والتمس منها بلطف أن تنصحه فتعجبت من ذلك : ولكنها تعلم ماهنا لك من تخفيق وتلفيق . فلطفت المسألة بحسن بيانها . وبعد أن عادت بالمهابة والاجلال . وحضر سمو الخديوي . وكان علم بما قاله السلطان . سأل جلالته عما جد فأطلعه على المضبطة . فكان اندهاشه عظيما لانه شاهد بعيني رأسه . امضاءات جميع من كان يعتمد عليهم : فاقسم لجلالته انها خدعة ودسيسة . وإنه ليس شيء من ذلك ولما عاد سموه إلي مصر كان فى استقباله أولئك الذوات الذين رأى إمضاءاتهم . فسألهم عن المضبطة فقالوا إنه لاشيء فيها سوى اظهار اخلاص الامة لمقام الخلافة . وانا إنما فعلنا ذلك تأييداً لسموكم . فغضب غضباً شديداً . ولم يمد يده لمصافحة أحد من أولئك الذوات . وظل غاضبا عليهم إلى أن وقف على ما كان . وتحول

استياؤه إلى المتسبب في التوسط لتوقيع تلك المضبطـة أما أبو الهـدى فانه نال من عناية السلطان اسنى الرغائب وأثبت أنه أصدق الصادقين ولم يستطع عزت العابد أن يزيل من فكر السـلطان اشتراكه فى الخيانة الا بتلك الرسالة التى تقدم الـكلام عليهـا وأنه فضلا عن كونه انتحلهـا فقد ربح من ورائها الملايين وصار بعد ان كان يتخطاه الناظر ويطأه الخف والحافر فى أعلى عليين *

وإذا السعادة لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

انتهي من كوكب الشرق الصادرة فى ٢٨ رجب سنة ١٢٤٥–١ فبراير سنة ١٩٢٧ وكاتب هذا المقال هو صاحب السعادة محمود زكى باشا المصرى الذى أقام في الاستانة مدة الحرب وكان على اتصال بالخديوى السابق عباس حلمي باشا وقد عاد سعادته في أواخر سنة ١٩٢٦ إلي مصر (وله خبرة واطلاع على أسرار السراي السلطانية العثمانية ودواوين الحكومة) وقد كتب مقالات عديدة في جريدة البلاغ وغيرها في هذا الموضوع ولأقواله قيمة كبيرة من الاعتبار

النبذة الثانية

في حسن الاعتماد علي الله

« شجاعة صبى »

قيل بينما كان الحجاج جالسا فى منظرة له وعنده وجوه أهل العراق . أتى بصبى من الخوارج عليـه له من العمر نحو بضع عشرة سنة ، وله ذؤابتان مرخيتان قد بلغتا خصره فلما أدخل عليه لم يعبأ بالحجاج ولم يكترث . وصار ينظر إلي بناء المنظرة وما فيها من العجائب : ويلتفت يمينا وشمالا : ثم اندفع يقول (أتبنون بكل ريع أية تعبثون وتتخذون مصانع لعلـكم تخلدون) قال وكان الحجاج متكئا فاستوى فى مقعده وقال ياغلام إنى أرى لك عقلا وذهنا أحفظت القرآن ؟

قال أوخفت عليه من الضياع حتى أحفظه وقد حفظه الله تعالي؟

قال أفجمعت القرآن ؟

قال أو كان مفرقا حتى أجمعه ؟

قال افا حكمت القرآن ؟

قال أليس الله أنزله محكما ؟

قال أفاستظهرت القرآن ؟

قال الغلام . معاذ الله ان أجعل القرآن وراء ظهري

فقال الحجاج . ويلك قاتلك الله ما ذا اقول ؟

قال الغلام . الويل لك ولقومك قل أوعيت القرآن فى صدرك؟

فقال الحجاج . فاقرأ شيئا

فاستفتح الغلام (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجا)

فقال الحجاج ويحك أنهم يدخلون

فقال الغلام قد كانوا يدخلون وأما اليوم فقد صاروا يخرجون

قال الحجاج ولم ؟

قال الغلام لسوء فعلك بهم

قال الحجاج ويلك ياغلام : وهل تعرف من تخاطب ؟

قال الغلام نعم شيطان ثقيف الحجاج

قال الحجاج ويلك من ربك ؟

قال الغلام الذي زرعك

قال الحجاج فمن أمك ؟

قال الغلام التي ولدتنى

قال الحجاج فأين ولدت ؟

قال فى بعض الفلوات ؟

قال الحجاج فأين نشأت ؟

قال الغلام فى بعض البراري :

قال الحجاج أمجنون أنت فأعالجك ؟

قال الغلام لو كنت مجنونا لما وصلت اليك ووقفت بين يديك كأني ممن

يرجو فضلك أو يخاف عقابك

قال الحجاج . فما تقول في أمير المؤمنين ؟

قال الغلام . رحم الله أبا الحسن و رضي عنه وأسكنه جنان خلده

قال الحجاج ليس هذا عنيت إنما أعني عبد الملك بن مروان .

فقال الغلام على الفاسق الفاجر لعنة الله ،

قال الحجاج . ويحك بما استحق اللعنة أمير المؤمنين ؟

فقال الغلام أخطا خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض؟

قال الحجاج ما هي ، فقال الغلام استعماله إياك على رعيته تستبيح أموالهم وتستحل دماءهم .

فالتفت الحجاج الى جلسائه وقال ما تشيرون فى هذا الغلام . قالوا اسفك دمه فقد خلع الطاعة وفارق الجماعة :

فقال الغلام يا حجاج جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك حيث قالوا لفرعون عن موسي وأخيه أرجه وأخاه وهؤلاء يأمرون بقتلى . إذن والله تقوم عليك الحجة بين يدي الله ملك الجبارين ومذل المستكبرين

فقال له الحجاج هذب ألفاظك وقصر لسانك فانى أخاف عليك بادرة الامر وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم .

فقال الغلام لا حاجة لى بها بيض الله وجهك وأعلى كعبك

فالتفت الحجاج الى جلسائه وقال هل علمتم ما أراد بقوله بيض الله وجهك وأعلى كعبك ، قالوا الامير أعلم . قال أراد بقوله بيض الله وجهك العمي والبرص ، و بقوله أعلى كعبك التعليق والصلب . ثم التفت الي الغلام وقال له ماتقول فيما قلت .

فقال الغلام : قاتلك الله من منافق ماأفهمك ؟

فامتزج الحجاج غضبا وأمر بضرب عنقه : وكان الرقاشى حاضراً فقال أصلح الله الامير هبه لى . قال هو لك لابارك الله لك فيه

فقال الغلام . والله لا أدرى أيكما أحمق من صاحبه الواهب أجلا قد حضر . ام المستوهب اجلا لم يحضر

فقال الرقاشي استنقذتك من القتل وتـكافئنى بهذا الـكلام ،

فقال الغلام هنيئا لى الشهادة إن ادركتنى السعادة والله ان القتل أحب إلي من أن أرجع الي أهلى صفر اليدين

فأمر له الحجاج بجائزة وقال ياغلام قد أمرنا لك بمائة الف درهم وعفونا عنك لحداثة سنك وصفاء ذهنك وحسن توكلك على الله و إياك والجراءة على أرباب الامر فتقع مع من لايعفو عنك

فقال الغلام . العفو بيد الله لا بيدك والشكر له لا لك ولا جمع الله بينى و بينك ثم هم بالخروج فابتدره للغلمان . فقال الحجاج دعوه فوالله ما رأيت أشجع منه قلبا ولا افصح منه لسانا . ولعمرى ما وجدت مثله قط وعسى هو لايجد مثلى فان عاش هذا الغلام ليكونن اعجوبة عصره

النبذة الثالثة

في حسن التخلص

تنبأ رجل في زمن المأمون وادعي انه ابراهيم الخليل الثانى فقال له المأمون إن سيدنا ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما هى براهينه قال أضرمت له النيران وألقي فيها فصارت بردا وسلاما ونحن نوقدلك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك وبرسالتك قال أريد أخف من هذا قال فبراهين موسي . قال وما هي قال ألقي عصاه فاذا هى حية تسعي قال وهذه أصعب على من الاولى قال فبراهين عيسي . قال ماهي . قال إحياء الموتى . قال مكانك هذه هي . قد وصلت أنا أضرب لكم رقبة القاضي وأحييه لكم الساعة فقال القاضى أنا أول من آمن بك وصدق فانظر إلى غيرى من الذين لم يؤمنوا انتهى نقلا عن مجلة لواء الاسلام الصادرة فى غرة جماد الثانى سنة ١٣٤٥

توسل ودعاء مأثور

اللهم اجعلنى ممن توكل عليك فكفيته * وممن استهداك فهديته وممن استنصرك فنصرته * اللهم اجعل وساوس قلبي خشيتك وذكرك * واجعل

همتي وهواى فيما تحب وترضي * اللهم ما ابتليتنى به من رخاء وشدة فمسكني بسنة الحق وشريعة الاسلام * اللهم إني أعوذ بك من خليل ماكر عيناه ترياني * وقلبه يرعانى * إن رأى حسنة دفنها وان رأى سيئة أذاعها * اللهم إنى اعوذ بك من البؤس والتباؤس * وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم



الوصل الثالث عشر

﴿ فى تطبيق العلم والقرآن علي الطبيعة وحوادث الزمان
وفيه ثلاثة مباحث وتتمة ﴾

(المبحث الأول)

تقدم قولنا فى فضل العلم وأهله في الوصل الخامس بالجزء الاول وإنا لذاكرون هذا المبحث لمناسبة تفضيل الله آدم على الملائكة بالعلم فنقول وبالله التوفيق

العلم يحلو كلما كررته ... ولذاك عدت مكررا لحلاوته
وبكثرة التكرار يكثر نفعه ... فادأب لتغنم من فوائد حكمته
فلكل مجتهد نصيب فاستعن ... بالله واعمل صالحا لافادته
فالخير يأتى بالمشقة أولا ... ويكون عزا بالتقي لنهايته
والفضل في علم يكون به الهدى ... لسعادة الدارين فز بسعادته
فاقرأ ولا تسأم تنل فخر الذي ... سجدت له الأملاك قصد تحيته
فارجع الى القرآن خير منبيء ... عما مضي والآت حسب حقيقته
مافرط القرآن في شيء وما ... زالت فوائده تري لأحبته
أنباؤه لم تختلف لكننا ... لم نكتشف الا القليل بصحته

حتي اذا ماحان وقت ظهورها تأتى على حسب القضاء بقدرته
اما بإلهام الاله لخلقه أو حادث من عنده بمشيئته
فانظر لبعض مباحث فيما يلي عن بعض أنباء الكتاب وسنته
تعلم بان كتابنا يهدى الي كل العلوم بما حوى من آيته
أعنى كتاب الله خير منزل حقا على الهادى الرءوف بأمته
صلى عليك الله ياعلم الهدى يارحمة للعالمين ببعثته
وعلى أبينا آدم والأنبيا ومن اقتفى آثارهم بعبادته

لوكان هناك شيء أشرف من العلم لاظهر الله تعالى فضل آدم بذلك الشيء ومما يدل على فضله الكتاب والسنة والمعقول . أما الكتاب فمن ذلك قول الله تعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) قال بعض المفسرين الحكمة هى العلم النافع ومن ذلك انه تعالى فرق بين سبعة أشياء فى كتابه قال (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون . قل لايستوي الخبيث والطيب . لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة . ومايستوى الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ومايستوى الأحياء ولا الأموات) فاذا تأملت وجدت كل ذلك مأخوذا من الفرق بين العالم والجاهل ومن ذلك قوله (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) أى العلماء في اصح الأقوال لأن الملوك يجب عليهم طاعة العلماء لاالعكس ومن ذلك قوله تعالى (شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) جعلهم فى الاثنين فى المرتبة الثالثة ثم زاد فى الأكرام فجعلهم فى المرتبة الثانية قال تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم) وقال ايضا عز وجل (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) ومن ذلك قوله تعالي (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ومن ذلك وصفهم بالايمان في قوله (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به) وبشهادة التوحيد في قوله (شهد الله انه لااله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) وبالبكاء والسجود والخشوع في قوله (ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان

سجداً و يقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون و يزيدهم خشوعا) و بالخشية في قوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء)
واما الأخبار فمنها مارواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم (من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الي المتعلمين فوالذي نفسي بيده مامن متعلم يختلف (١) الي باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة و بنى له بكل قدم مدينة فى الجنة و يمشي على الأرض والأرض تستغفر له و يمسي و يصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار) وعن أنس أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتى عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون له أبو قبيس ذهبا فينفقه في سبيل الله) وعن الحسن مرفوعا (من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان بينه و بين الأنبياء درجة فى الجنة) وعنه صلى الله عليه وسلم (رحمة الله على خلفائى فقيل يارسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي و يعلمونها عباد الله) وقال صلى الله عليه وسلم (معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحر) وعن أبى هريرة مرفوعا (من صلى خلف عالم من العلماء فكأنما صلى خلف نبى من الأنبياء) وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم و يزيلها والعابد يقبل على عبادته لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه حين بعثه إلي اليمن (لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك مما تطلع عليه الشمس أو تغرب) وعن عامر الجهيني مرفوعا (يؤتى بمداد العلماء ودم الشهداء يوم القيامة لا يفضل أحدهما على الآخر) وفي رواية فيرجح مداد العلماء وعنه صلى الله عليه وسلم (يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) قال الراوى فاعظم بمرتبة هي الواسطة بين النبوة والشهادة وعن أبى هريرة مرفوعا (إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له بالخير) وعن النبي صلى الله عليه وسلم (اذا سألتم الحوائج فاسألوها الناس قيل يارسول

(١) اى يتردد

الله ومن الناس قال صلى الله عليه وسلم أهل القرآن قيل ثم من قال أهل العلم قيل ثم من قال صباح الوجوه) قال الراوى والمراد بأهل القرآن من يحفظ معانيه وقال صلى الله عليه وسلم (كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك) قال الراوى وجه التفريق بين هذه الرواية وبين الرواية الأخرى (الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس همج لا خير فيه) أن المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما أحسن قول بعض الاعراب لولده كن سبعا خالسا أو ذئبا خانسا أو كلبا حارسا واياك أن تكون انسانا ناقصا

وأما الآثار فأن مصعب بن الزبير قال لابنه (تعلم العلم فانه ان يكن لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان العلم لك مالا) . قال على بن أبى طالب (لا خير فى الصمت عن العلم كما لا خير فى الكلام عن الجهل) وقيل العالم ارأف بالتلميذ من الأب والأم لأن الآباء والأمهات يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سئول وقلب عقول . وقال بعضهم سل مسئلة الحمقى واحفظ حفظ الاكياس . وقيل الدنيا بستان تزينت بخمسة اشياء علم العلماء وعدل الأمراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه في جنب العلم وجاء بالجور فركزه فى جنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة وجاء بالخيانة فركزها بجنب الأمانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال على بن ابى طالب رضي الله عنه (العلم افضل من المال العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنة . العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص . المال يحتاج الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه)(وقيل) ثلاثة لا ينبغي للشريف ان يأنف منها وان كان اميراً . قيامه من مجلسه لأبيه . وخدمته للعالم الذى يتعلم منه . والسؤال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه (واعلم) ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشياء علم آدم الأسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة قال الله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) وعلم يوسف علم التعبير قال الله (وعلمتنى من تأويل الأحاديث) وعلم داود صنعة الدروع قال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس

لكم) وعلم سليمان منطق الطير قال (ياايها الناس علمنـا منطق الطير) وعلم عيسى عليه السلام علم التوراة والانجيل قال تعالى (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم الشرع والتوحيد قال تعالى (وعلمك مالم تكن تعلم) فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى و يوشع وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن أمه وعلم محمد صلى الله عليه وسلم لوجدان الشفاعة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء (وروى) عن نافع بن الازرق أنه قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد فقال إن الارض له كالزجاجة يرى باطنهـا من ظاهرها فقال نافع الفخ يغطى له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس إذا جاء القضاء عمى البصر

وحكى أن يوسف عليه السلام لما مكنه ملكُ مصر من أمورها احتاج إلى وزير فسأل جبريل عن ذلك فقـال إن ربك يقول لاتختر إلا فلانا فرآه في أسوأ الأحوال فقال لجبريل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله فقال له جبريل ان ربه عينه لذلك لأنه ذب عنك بعلمه حين قال و إن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة أن من ذب عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان (وقيل) أراد واحد خدمة ملك فقال له الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع فى التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليـه وقال أترك التعلم فقد صرت أهلا لخدمتى فقال كنت أهلا لخدمتك حين لم ترنى أهلا لخدمتك وحين رأيتنى أهلا لخدمتك رأيت نفسي أهلا لخدمة الله وذلك لانى كنت أظن أن البـاب بابك لجهلى والآن علمت أن الباب باب الرب

(وقال حكيم) القلب ميت وحياته بالعلم والعلم ميت وحياته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوى بالمدارسة فهو محتجب واظهاره

بالمناظرة واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجـه العمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملـكا أبديا لا آخر له

(وعن الشعبي) كنت عندالحجاج فأتى بيحيي بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا فى الحديد فقال الحجاج أنت زعمت أن الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقـال الحجـاج لتأتيني ببينـة واضحة من كتـاب الله أولا قطعتك عضوا عضوا فقال آتيك ببينة واضحة من كتاب الله ياحجاج قال فتعجب من جرأته بقوله ياحجاج فقال ولا تأتني بهذه الآية (ندع أبناءنا وأبناءكم) فقال آتيك بغيرها واضحة من كتاب الله قال تعالى (ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى) فمن أبو عيسى فقد ألحق الله تعالى عيسى بذرية نوح فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال كأنى لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه وأعطوه من المال كذا ففعلوا

ويحكى أن جماعة من أهل المدينة جاءوا إلي أبى حنيفة ليناظروه فى القراءة خلف الامام ويبكتوه ويسفهوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع دفعة ففوضوا أمر المناظرة إلى أعلمكم لأناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا أعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم قال وإن ناظرته وألزمته الحجة فقد الزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف ؟ قالوا لانا رضينا به إماماً فكان قوله قولا لنا قال أبو حنيفة فنحن لما اخترنا الامام في الصلاة فقراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فأقروا له بالعلم

ويحكى أنه دخل اللصوص على رجل وأخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا أن لا يعلم أحداً فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر أن يتكلم من أجل يمينه فجاء الرجل يشاور أبا حنيفة فقال أحضر لى أمام مسجدك وأهل محلتك فأدخلهم جميعا فى دار واحدة وأخرج واحداً واحداً وقال للرجل إن لم يكن لصك فقل لا وإن كان فاسكت فلما سكت

قبض على اللص ورد الله تعالى عليه جميع ماسرق منه

ويحكى أنه كان فى جوار أبى حنيفة فتى يغشى مجلس ابى حنيفة فقال يوماله إن أريد التزوج بواحدة من آل فلان وقد خطبتها اليهم فطلبوا منى من المهر فوق طاقتى قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالى يسهل الأمر عليك بعد ذلك فأقرضه أبو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول أظهر أنك تريد الخروج من هذا البلد إلى بلد بعيد وإنك تسافر بأهلك معك فأظهر الرجل ذلك فاشتد على أهل المرأة وجاءوا إلى أبى حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك والطريق أن ترضوه بان تردوا عليه ما أخذتموه فأجابوا اليه فقال الزوج إنى أريد شيئا آخر فوق ذلك فقال له أبو حنيفة أترضى بهذا والا أقررت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضى ما عليها فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضى بذلك وحصل ببركة علم أبى حنيفة فرج كل واحد من الخصمين

ويحكى أن أعرابياً سأل الحسين بن على رضى الله عنه حاجة وقال سمعت جدك يقول إذا سألتم حاجة فاسألوها من أحد أربعة اما عربيا شريفا أو مولى كريما أو حامل القرآن أو صاحب الوجه الصبيح فأما العرب فشرفت بجدك وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم وأما القرآن ففى بيوتكم نزل وأما الوجه الصبيح فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أردتم أن تنظروا الى فانظروا الى الحسن والحسين رضى الله عنهما فقال الحسين رضى الله عنه ماحاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين رضي الله عنه سمعت أبى عليا رضي الله عنه يقول قيمة كل امرئ مايحسنه وسمعت جدى يقول المعروف بقدر المعرفة فاسألك عن ثلاث مسائل إن أحسنت في جواب واحدة فلك ثلث ماعندى وان أجبت عن اثنتين فلك ثلثا ماعندى وان أجبت عن الثلاث فلك كل ما عندى وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال رضي الله عنه أي الاعمال أفضل قال الاعرابى الايمان بالله قال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال رضي الله عنه فان أخطأ ذلك قال فمال معه كرم قال رضي الله

عنه فان أخطأ ذلك قال ففقر معه صبر قال رضي الله عنه فان أخطأ ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين رضى الله عنه ورمى بالصرة اليه

وأما الوجوه العقلية الدالة على شرف العلم فمنها ان الامور أربعة أقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصى وقسم ترضاه الشهوة والعقل وهو العلم والجنة وقسم لا ترضاه الشهوة ولا العقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضى بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة وكما يعيش يموت وكما يموت يبعث

ومنها أن اللذة ادراك المحبوب وكلما كان المدرك اكمل وأشرف كانت اللذة اكمل وأتم ومدرك العقل هو الله تعالى وجميع مخلوقاته من الملائكة والاملاك والعناصر والمواليد وجميع أحكامه وأوامره وأى معلوم أشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا ألم ولا نقصان مثل ألم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل (إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) كانه قال كنت في أول حالك علقة هى الغاية فى الخساسة ثم صرت فى آخر حالك في غاية الشرف وأيضا ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على أنه انما يستحق الاكرمية لانه أعطي العلم فالعلم أشرف عطية وأعظم موهبة ومنها أنه تعالى قال (انما يخشى الله من عباده العلماء) فالعلماء هم أهل الخشية وأهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) فالعلماء هم أهل الجنة والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية أن من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه

وأمر الله حبيبه صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه حيث قال (وقل رب زدنى علما) ولم يكتف نبى الله موسي عليه السلام بما علم بل قال للخضر (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم فقال (علمنا منطق الطير) ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه أن يتكلم بحضرة سليمان بقوله (احطت بما لم تحط به)

واعلم أن سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم وقد علمت مافي القرآن وأما التوراة فقال الله لموسى (عظم الحكمة فأنى لا أجعل الحكمة في قلب عبد الا وأردت أن أغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال كرامتى في الدنيا والآخرة) وأما الزبور فقال سبحانه وتعالى لداود (قل لأحبار بنى اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الأتقياء فأن لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ماجعلت واحدة منهن فى أحد من خلقى وأنا أريد هلاكه) وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان التقي لا يوجد بدون العلم لان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين أشرف من الموصوف بأمر واحد ولهذا السر أيضا قدم العالم على العاقل لان العالم لابد وان يكون عاقلا

وأما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر وأما الانجيل فقد قال عز من قائل في السورة السابعة عشرة منه (ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار . اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف أن نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجو أن نعلم فنعمل)

وبالجملة فيكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان أمر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم ياجاهل تأذى بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك ولو قيل للرجل الجاهل ياعالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك

وأما الاخبار والآثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه اوطلب العلم لغير ذات الله . فمنها انه صلى الله عليه وسلم قال (لا تجالسوا العلماء الا إن دعوكم من خمس الى خمس من الشك الي اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الي الاخلاص ومن الرغبة الي الزهد)وقال صلى الله عليه وسلم (الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون

والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم) وعن عدى ابن حاتم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يؤتى بناس يوم القيامة فيؤمر بهم الي الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها و نظروا الي قصورها والي ما أعد الله لاهلها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع أحد بمثلها و يقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما رأيتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فنودوا ذاك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ماتضمرونه فى قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني أجللتم الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي ولم تتركوها لى أكنت أهون الناظرين عليكم فاليوم أذيقكم أليم عذابي مع ماحرمتكم من النعيم) وقيل اطلب أربعة من اربعة من الموضع السلامة ومن الصاحب الكرامة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من الصاحب الكرامة فالكلب خير منه واذا لم تجد من مالك الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه . وقيل لاتتم اربعة اشياء الا باربعة أشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا تتم المروءة الا بالتواضع ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهذر والمروءة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر . وقال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه لجابر ابن عبد الله الانصارى قوام الدنيا باربعة بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغنى لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم واذا بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة . وقيل اذا وضعت على عينك جزءا من الدنيا لاترى شيأ فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيأ انتهي من النيسابورى بتصرف واختصار

﴿ المبحث الثانى ﴾

نشر صديقنا الفاضل قاسم هلالى بك المهندس وضابط أركان حرب بالجيش المصري سابقا المقال الآتى بجريدة النظام المؤرخة ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤ وهاهو مع تصرف قليل

﴿ القرآن المبين ﴾

(للتاريخ والدين . وعلوم الأولين والآخرين)

قرأت في جريدة النظام الغراء بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٤ مقالة بعنوان (القرآن المبين للتاريخ والدين) وقد جئت اليوم مكملا العنوان المذكور بقولى وعلوم الأولين والآخرين لأستلفت أنظار إخوانى المصريين الذين درسوا ومارسوا وكدوا وجدوا واجتهدوا ونالوا الشهادات العلمية العالية العصرية في بلاد الغرب فى كل علم وفن واطلعوا على المستحدثات والاستكشافات العصرية الحديثة التي يقال انها ظهرت فى هذا الزمان الذي اتسع فيه نطاق الحضارة والعمران بجميع البلدان وانبثت فيه روح الانسانية وطمست آثار التوحش والهمجية ولم نر لأحد هؤلاء العلماء الأعلام المصريين الذين يعرفون قوله تعالى (مافرطنا فى الكتاب من شيء) وما عرضه المرحوم محمود باشا الفلكى المسلم المصرى أمام اللجنة الفلكية بأوربا التى كانت مكونة من جميع فلكيي الكرة الأرضية وقد مكث رجالها وجدودهم أجيالا وأعواما يبحثون ويجدون ليثبتوا و يبرهنوا على أن الكرة الأرضية منبعجة من القطبين الشمالى والجنوبى فما كان من المرحوم محمود باشا الفلكى المذكور الا ان قام فى وسط هذه اللجنة وتأسف على ضياع أموالها ومجهودات رجالها تذر مذر لأجل شيء معلوم ومفهوم فى القرآن المجيد إذ قال تعالى (أولم يروا انا نأتى الأرض ننقصها من اطرافها) وهذا القول مضى عليه الف سنة ونيف ولما سمع رجال اللجنة الفلكيون والرياضيون والسواحون والجغرافيون والجيولوجيون هذا الكلام

كان اندهاشهم منه عجيبا وعجبهم غريبا من معجزات هـذا الكتاب المبين الذى انطبقت فيه الآية القرآنية على النظريات الفلكية الرياضية برهانا لقوله تعالى (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) وهكذا من مثل هذه المعجزات الباهرة المشحونة بها كتب العرب وكانت سببا فى أن علماءهم ترجموا وبحثوا ودققوا وحققوا وبرهنوا وأثبتوا أن القرآن فيه من العلوم والفنون والآداب والأحكام مالا يعد ولا يحصى لبنى الأنسان كالقول أولا في الآية

(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينـة ويخلق مالا تعلمون وعلى الله قصـد السبيل ومنها جائر) وعـدد حروف جائر ٢١٤ يساوى لفظه وبور المساوية حروفها بالجمل ٢١٤ ايضا

وثانيا فى الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) فلفظة عذابا حروف جملها تساوي ٧٧٤ (كطيارات فى الهواء) جملها يساوي ٧٧٤ وأيضا تحت أرجلـكم ١١٠٢ يساوى جملها لفظة (غواصه) وثالثا في الآية (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شـجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) وهذه الآية ربما تنطبق على الكهرباء التي هى سيال حارت فيه الأفكار كما حارت وتاهت وعجزت في كنه الواحد الأحد الباسط الرازق القادر القهار

ورابعا فى الآية الشريفة والمعجزة اللطيفة التي تحققوا من مفعولها الذى لم يخطر على بال رجال الغرب فى هاتيك الأجيال وهي قوله تعالى (وارسلنا الرياح لواقح) التي ثبتت صحتها واتضحت حجتها ودعت الى أخذ الاحتياطات من ميكروبات وجراثيم الأحياء والأموات فى هذه الأوقات زيادة عن أن ذكر شجرة الدوم بالهند يُلقح شجر الأنثى فى السند وذلك لاثبات قوله تعالى (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) وهكذا مثل هـذه الآيات الباهرات التي ربمـا كانت عند علماء الدين مقبولة ولو من باب الاتفاقات العجيبة الغريبة في هذا العصر

وأيضا استلفت نظر إخواني المصريين للأحاديث الشريفة التي قالها النبي الأمي ﷺ مثل حديث (فِرّ من المجذوم فرارك من الأسد) ومأدراهم أن رجال أروبا وضعوا ميكروب الجذام تحت نظارة الميكروسكوب المعظمة فوجدوا أن الميكروب يشابه الأسد تماما في قعدته ووثبته وهيئته ومع أن النبي الأمي لم يكن عنده في ذاك الوقت لاميكروسكوب ولا نظارة شروق ولا غروب ولا نظارة فلكية زوالية او اعتدالية ينظر بها خطوط الزوال ودائرة الاعتدال ومنطقة فلك البروج وظواهر الخسوف والكسوف ولا شيء من ذلك الذى أعجز أهل أروبا في هذه الأيام قال في خسوف القمر والشمس (ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم)

وكيف بنا الآن لم ننظر في كتابنا العزيز ونستخرج منه على قدر الامكان ومساعدة الزمان ولو بوجه التقريب الذى سيكون وسيلة للبحث والتنقيب وكفانا أن رأينا أهل أروبا اتحدوا وتساندوا وتعاضدوا لينظروا في خدمة بني الانسان دينا وعلما وصاروا كالجوهرين الكريمين والاخوين التوأمين والفرقدين اللذين لا يفترقان في محوكلمة (الدنيا فريقان فريق دين لا عقل فيه وفريق عقل لا دين له) والآن نحمد الله تعالي نحن الشرقيين على ماجاد به علينا من كثرة طلاب العلم والفن والأدب الذين سيسترد بهم الشرق مجده ومجد أهله وكفانا وجود معامل كثيرة بأروبا سمعنا عنها أنها لأجل أمراض داء الكلب وجراثيم وميكروبات الكلب التي نوه عنها الامام الشافعي رضى الله عنه في كتبه بيانا لاحاديث النبي الامي ﷺ وانظر قوله عليه الصلاة والسلام إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها) وهذا مطابق لما أوجدوه حديثا من مجالس ومحاجر الكورنتنات في بلاد الشرق والغرب وانظر الآية الشريفة التي نقرؤها في كتابنا العزيز وهى قوله تعالى (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) وذلك بمعنى المناوبة الجارية في مياه الري بمصرنا العزيزة والله الهادي الى الصراط المستقيم

المبحث الثالث

كتب الاستاذ احمد أمين الديك مدرس الرياضة بمدرسة الشيخ صالح للبنات رسالة تحت عنوان (القرآن الكريم والعلم الحديث) هذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وجميع من اصطفاهم من عباده ومن والاه(و بعد) فلله جل شأنه آيات تتجاوز نطاق العد . تفضل سبحانه وتعالي بهدايتنا الى بعضها ووعدنا تعالت قدرته باظهار ما خفي منها مع مرور الازمنة والايام بقوله تعالي (سنريهم آياتنا في الا فاق) ونتائج أبحاث العلماء فيما انطوت عليه مواد الكون من الاسرار أثبتت صدق هذا الوعد . والجهود المتتابعة بتتابع الزمن ستستمر نتائجها أدلة صدق ذلك النطق الكريم منار الامة الاسلامية ومبعث هدايتها ومستودع كثير من علم وشرع وحكمة . وفيه من الآيات ماعز فهمه على عقول شتي أخذ الله سبحانه وتعالى على نفسه تفضلا منه واحسانا عهدا ببيانها مع تعاقب الزمن فى آياته الكريمة (ان علينا بيانه) (لكل نبأ أو نباء مستقر وسوف تعلمون) (ولتعلمن نبأه بعد حين) ولم أكن لافهم في هذه الآيات أن سينزل وحى يفسر مالم تتمكن العقول من فهمه ولكننى فهمت أن العقول مع الزمن تجلى صحيح العلم وتدعم أصوله الصحيحة وتهدم ماانبنى منه على فاسد واستقام على خطأ . وعندئذ تظهر كفالته فيتضح معنى آية حجبها عن الذهن اولا ذلك النطاق العلمى الضئيل أو تلك الاصول الوهمية من علم ذلك العصر وفى تلك اللحظة وفي نفس المكان الذى يتحقق المعنى بادلة العلم الصحيح يكون المستقر لما أنبأ به . وينتهى الحين الذى ضربه فى قوله تعالى (ولتعلمن نبأه بعد حين) أقول ذلك وأمهد به لانى أكاد أعتقد أن القرآن وقت تنزيله وصف فى اسفار ذى القرنين من خواص البقاع التى وطئها مايتفق جد الاتفاق مع وصفها حديثا واليك البيان

تقول الجغرافيا في معنى (التوندرا) أنها مياه موحلة تشغل صيفا الاجزاء السفلى من أحواض الأنهار أوبى و ينيسى ولينا بسيبريا وتستحيل شتاء إلى سهل واسع المدى من الجليد

ويقول القرآن الكريم (حتي إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) أى في عين ماؤها موحل . أو به طين أسود أو به طين كريه الرائحة وليس يعرف في الأقاليم ما شأن الماء فيها هكذا إلا منطقة (التوندرا) صيفا ولا ما شأن الاتساع فيها إلى حد انطباق الأفق على نهايتها حتى يلوح للنظر اختفاء الشمس عندها إلا هى . إذن ما الذى يمنع من إرادة القرآن لها

إذا تقرر الأخذ بذلك كان ذو القرنين يرتاد سيبريا وكان في الشرق من مجرى لينا الأسفل . وسيتأيد ذلك أيضا مما يأتى فى القصص نفسه . تقول الجغرافيا الرياضية يطول نهار الصيف فى نصف الكرة الشمالي فيكون زمنه بين ١٢ ساعة و ٢٤ ساعة في العروض المختلفة من خط الاستواء إلى الدائرة القطبية الشمالية . وأطول البقاع نهاراً أقربها الي القطب *

وتقول الجغرافيا الرياضية أيضا أن النهار يزيد على ٢٤ ساعة في الاماكن التي عروضها شمالى الدائرة القطبية الشمالية . إذ يكون النهار شهراً واحداً فى عرض ٢٣ ٦٧درجة وشهرين فى عرض ٥١ ٦٩درجة وثلاثة أشهر في عرض ٤٠ ٧٣ درجة وستة أشهر فى القطب

وتقول الجغرافيا المدنية (السياسية) أن هناك مدنا مأهولة في شمال الدائرة القطبية الشمالية وفي الشرق من منطقة التوندرا فى سيبيريا مثل (فركويانسك) عرض ٦٨ درجة شمالا فيكون النهار فيها فوق الشهر ومثل اوست يانسك عرض ٥٦ ٧٠ درجة فيكون النهار فيها فوق الشهرين وأقل من الثلاثة

و يقول القرآن الكريم (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) بمعنى بلغ مكانا تشرق الشمس عليه فوجدها تظهر على قوم ليس لهم من ورائها ليل والذى يجعلني أفهم احتمال الآية لهذا المعني ما يأتى من النقط :

أولا ـ التعبير بكلمة وجـد التي تشعر بما يفيد حكاية الحال أو وصف ما شاهده في ذلك المكان

ثانيا ـ ان من معانى دون وراء و بعد

ثالثا ـ ان القرآن عبر عن الليل بأنه لباس في قوله تعالى (وجعلنا الليل لباساً) وعبر عنه بأنه يلتصق بالنهار التصاق الجلد باللحم فى قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وعبر عنه بأنه يغطى و يستر ضوء النهار بقوله تعالى (يغشى الليل النهار) و بأنه يغطي و يستر ضوء الشمس بقوله تعالى (والليل إذا يغشاها) وعبر بأنه يتبع النهار بقوله تعالى (يطلبه حثيثا) و بأنه يلتف على النهار بقوله تعالي (يكور الليل على النهار) هذه المعانى مجتمعة وجهت نفسي إلى الاعتقاد بارادة القرآن الكريم لهذه الحقيقة

ولولا العلم لما تجمعت عناصر هذا المعنى و بالعلم تحققت آيات قرآننا العظيم و به يتحقق أيضاً ما خفى من معانيه صدق الله العظيم « لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون »

يجوب ذو القرنين المأهول من الاراضى القطبية فى الازمنة الاُولى ويحكى القرآن رحلته و وصف مشاهداته بعد أن مضى وأمحت من الصدور والصحف أخباره و بعـد أجيال يقوم العلم والاستكشاف بتأييد الوحى . نعم يكون ذلك ليقوم الدليل على أننا لم نؤت من العلم إلا القليل وعلى أن نبيّـه عليه الصلاة والسلام لم ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى

و إن الذين كذبوا بالقرآن وقت تنزيله قد اعتزوا بما علموا فعدوا كذبا كل ما لم يتفق مع علمهم فعاب القرآن الكريم ذلك عليهم وخطأ رأيهم وشهر بجهلهم فى قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم) فما رأى سادتى العلماء وأساتذتي الأفاضل وزملائى الأنجاب فى هذه الخواطر التي تتردد في نفسى من نحو عامين

اللهم سياجا يصوننا من الزلل . وهداية منك ترسو بنا إلى ساحل رضاك وعفواً عن الذين ساقهم الجهل إلي الالحاد وتوفيقاً يؤوب بهم إلي الصواب برّاً منك ورحمة بعبادك الذين لا يعلمون

تتمة

﴿ في قصــة ذى القرنين ﴾

﴿ والسد الذى أنشأه دون يأجوج ومأجوج ﴾

« وفيها بحث في طول آدم عليه السلام والجنة التى كان فيها »

قال النيسابورى عند تفسير قوله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين) الخ أصح الاقوال أن ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومى الذى ملك الدنيا بأسرها إذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة

يحكى أنه لما مات أبوه جمع مُلك الروم بعد أن كان طوائف ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى الي البحر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم عطف إلى أرمينية ودانت له العبرانيون والقبط والبربر ثم توجه الي دارا بن دارا وهزمه الي أن قتله فاستولى على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الامام فخر الدين الرازى لما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية أو مايقرب منها وثبت من علم التاريخ أن من هذا شأنه ماكان إلا الاسكندر وجب القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه إشكال لانه كان تلميذاً لارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله أياه يوجب الحكم بان مذهب أرسطو حق وصدق وهذا لا يسلم عند أهل الشرع لان فلسفة الحكماء عندهم باطلة قلت ليس كل ماذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله أخذ منهم ماصفا وترك ما كدر (وهذا موافق لرأينا السابق ذكره فى الجزء الاول من أن بعض الفلاسفة المتقدمين ربما كانوا من الانبياء الذين لم تذكر أسماؤهم فى القرآن لانهم كانوا يدعـون الخلق للخير والتوحيد والله تعالى أعلم . والسبب فى تسميته ذى القرنين أنه بلغ قرنى الشمس أى (مطلعها ومغربها) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه طاف قرنى الدنيا

يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وقيل غير ذلك قال الله تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا) أي هيأنا له أسباب السفر ثم قال (حتى اذا بلغ مغرب الشمس الخ) وقال (حتى اذا بلغ مطلع الشمس الخ) وقد تقدم شرح هاتين النقطتين في المبحث السابق مما يتفق مع الاكتشافات الحديثة ثم قال الله تعالي (ثم اتبع سببا حتي اذا بلغ بين السدين) قيل السد اذا كان بخلق الله فهو - بضم السين - حتى يكون بمعنى مفعول أي هو مما فعله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو - بالفتح - حتي يكون حدثا قاله أبو عبيدة وابن الانبارى قال الامام فخر الدين الرازي الاظهر أن موضع السدين في ناحية الشمال فقيل جبلان بين أرمينية وأذربيجان وقيل في منقطع أرض الترك والله أعلم بحقيقة الحال . ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين اللذين سد ما بينهما (وجد من دونهما) أي من ورائهما متجاوزاً عنهما قريبا (قوما لا يكادون يفقهون قولا) بانفسهم لانهم لا يعرفون غير لغتهم وهنا سؤال وهو كيف فهم منهم ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض وأجيب بانه لعله فهم ما في ضميرهم بالقرائن والاشارات أو بوحي والهام وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل أو الديلم ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة والذى يظهر لي أنهم من فصيلة اليابانيين لقرب الجهة وتقارب الاسماء فان اليابانيين تتكرر الجيم في أسمائهم أما إفسادهم في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل يأكلون لحومهم وقيل يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه (فهل نجعل لك خرجا) أى جعلا نخرجه من أموالنا (على أن تجعل بيننا وبينهم سداً) قال ذو القرنين (ما مكني فيه ربى) أى جعلني مكينا ذا مكانة من المال واليسار (خير) مما تبذلون لى من الخراج نظيره قول سليمان فما آتانى الله خير مما آتاكم (فاعينونى بقوة) بالات ورجال وصُناع (أجعل بينكم وبينهم ردما) والردم اكبر من السد (آتونى زبر الحديد) قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة

وهاهنا أضمار اى فاتوه بها فامر بوضع بعضها فوق بعض (حتى اذا ساوى بين الصدفين) وهاجانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان (قال آتونى أفرغ عليه قطراً) أصب عليه النحاس المذاب وقطراً منصوب بافرغ والتقدير آتونى قطراً أفرغ عليــه قطراً فحذف الأول لدلالة الثانى عليه والذى يظهر من قصتهم أنهم كانوا متأخرين فى الحضارة والفنون والصناعة بدليل طلبهم من ذى القرنين عمل السد الذى يعتقدون أنه يحول بين ضرر يأجوج ومأجوج وبينهم و يؤخذ من اشارة ذى القرنين عليهم ببنيان الردم الذى هو أكبر من السد عظم مهارته ومقدار تمكين الله له فى الارض واعطائه اياه من كل شيء سببا (يحكى) أنه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتي سد مابين الجبلين ألى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلداً وقيل بعد مابين السدين مائة فرسخ أي ثلثمائة ميل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد والله رأيته قال العلماء هذا معجز من ذى القرنين لان تلك الزبر الكثيرة إذا صارت كالنار لم يقدر الآدمى على القرب منها وكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان اولئك النافخين (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى يعلوه لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقباً) لصلابته وثخانته ولما تكرر لفظ الاستطاعة مراراً حذف منها التاء تخفيفـا فى الموضعين الاولين واعاد ذكرها في الموضع الاخير تنبيها على الاصل ورجوعا إلى البداية ثم (قال) ذو القرنين (هذا) السد المكين (رحمة) أى نعمة من ربى على عباده (فاذا جاء وعد ربى) أى دنا مجيء القيامة (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض وكل ماانبسط بعد ارتفاع فقد اندك وفى قراءة (دكاء) بالمد أى جعله ارضا مستوية (وكان وعد ربى حقا) وهذا آخر حكاية ذى القرنين انتهى من النيسابورى باختصار وتصرف هذا وفى التاريخ أن ذا القرنين واصل السير حتي وصل الى جبل (هملايا) فاقتحمه ووصل الى الهند واستولى على مقاطعة البنجاب ولما

شعر بتذمر الجند اكتفى بما فتح من الشرق ونزل الى الجنوب فتتبع نهر السند حتى وصل الى المحيط الهندى وعاد الى بابل على شاطىء الفرات جهة الجنوب وهناك أصابته حمى شديدة مات على أثرها سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وكان عمره ٣٢ سنة فنقلت جثته الى منف بمصر باحتفال عظيم ثم الى الاسكندرية قالوا وقبره هو القبر المعروف الآن بقبر النبي دنيال انتهى وفى نفسى شىء من تحديد سن وفاته لان ماقام به من الأعمال يستغرق وقتا كبيرا سيما وقد قال بعض المفسرين أنه سمي بذى القرنين لأنه عاش قرنين وقال بعض المؤرخين كان ذو القرنين فى زمن ابراهيم عليه السلام وقال عكرمة كان ذو القرنين نبيا وقال على بن أبى طالب كان عبدا صالحا وكان الخضر وزيره وابن خالته وقال المفسرون ملك الدنيا مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران بخت نصر ونمروذ بن كنعان وقال بعض المؤرخين الاسكندر رجلان رومى وهو صاحب الخضر ويونانى وهو صاحب أرسطو ورأينا والله أعلم أنه واحد وهو الاسكندر المقدونى صاحب الخضر وأرسطو اذ لا مانع فى ذلك كما قال النيسابورى واختلاف المصادر في اسم أبيه هل فيلبس أو فيلقوس لا ينفى أنه واحد اذ يحتمل أن أحد العلمين اسم لوالده والآخر لقب

وأما كون السد الذى بناه ذو القرنين فى بلاد الترك ولا وجود له وانما الموجود فى بلاد الصين فلا ينافى ماقلناه لان الترك حينذاك كانوا يسكنون بجوار الصين وكم دارت بينهم وبين الصين حروب حتى انجلوا أخيرا الى بلاد الاناضول كما يعرف من الاطلاع على التاريخ

وأما القول بان هذا يونانى وذاك رومى فلا يمنع ايضا أنه يونانى المولد والاصل رومى باعتبار مملكته وفارسي أيضا بهذا الاعتبار انتهي



بحث

﴿ في طول آدم عليه السلام والجنة التي سكنها ﴾

« و يتبعه بقية الرأي في ذى القرنين وسده »

﴿ قال الراجى عفو ربه ﴾

الحمد لله الذى منح الهدى * والعقل والتمييز أهل اطاعته

قد خص بعضهمو بدعوة خلقه * للخير في الدارين طبق مشيئته

وهو المكرم لابن آدم في الورى * ودعاه انسانا سما بمكانته

ما في السما والأرض كل قائم * فى خدمة الانسان قصد كرامته

فترى النجوم لهديه قد سخرت * براً وبحراً فى الظلام ورحلته

والفلك يركب فى البحار ومثلها * فى البر والأنعام خير مطيته

وله البيوت كذا السرابيل التى * تأويه عند لزومها لوقايته

فى أحسن التقويم صوّر آدما * مَن أبدع الكون العظيم بقدرته

فانظر لبعض القوم شوه خلقه * عجبا بما لم يتفق مع صورته

قالوا من(١) الأمتار تسع طوله * بعد الثلاثين انظروا لجسامته

ذا الطول لم يوجد ولا معشاره * في واحد ممن أتوا من خلفته

شكل مريع لا يناسب وصفه * إبداع مخلوق لحفظ كرامته

بركوبه الأنعام حالة ظعنه * ودخوله في البيت وقت إقامته

فى الارض كان وجوده لا في السما * وهبوطه لخروجه من جنته

(١) ستون ذراعا بالذراع البلدي

لما تناول أكله مع زوجه * مما نهى عنه الإله بحكمته
قال الإله ألم أقل لكما احذرا * إبليس ذا فعصيتما بأطاعته
قالا ظلمنا نفسنا ياربنا * فاغفر لنا إذ غرنا بغوايته
قال اهبطوا منها جميعا بعضكم * أعداء بعض للممات وغايته
هذا الخطاب لآدم مع زوجه * وكذلك ابليس اللعين بفتنته
لا يدخل الشيطان جنات السما * إذ شأنه فى الارض مع ذريته
ليضل من فيها عن العمل الذى * ينجيه من سوء العذاب وكربته
منها خلقناكم ومثواكم بها * وخروجكم منها الحشر قيامته
بعد اجتماع الارض مع كل السما * ليكون رتقا مثل أول نشأته
فهو القدير على الأمور وجمعه * كل الخلائق يوم بعث بريته
وهنا يقول المرء ذا أين المفر * فإلى الاله المستقر بعزته
ويحاسب الانسان يومئذ على * افعاله بالقسط حسب طويته
ويرى الجحيمَ الناسُ حقا بُرّزت * للكافرين بربهم وبشرعته
وكذا الجنان يرونها قد أزلفت * للمتقين الشاكرين لنعمته
والكل محزون سوى من آمنوا * بالله والرسل الكرام وآيته
ورد الحديث بطول آدم إنه * ستون يعنى بالذراع ووحدته
أى الذراع أراد قل لى قصده * إن المعانى عددت فى لفظته
فارجع الى القاموس واستمسك بها * يدعو لتأييد الحديث وصحته
فلعل صدر الرمح يقصد ذرعه * أى ستمتر أربع أو خمسته

أو نحو ذلك لا تكن متغاليا * فالعقل يقضى باتباع محجته
فهو الموافق أن يقدر وحدة * لقياس آدم فاعملوا بمساحته
بحسابنا هذا يكون الطول من * مترين تقريبا لحد ثلاثته
ومطابقا للعقل اذ لا ينبغى * تعريض دين المصطفى لملامته
كم من خرافات بها أعداؤه * قد شوهوه بحقدهم لاعابته
حتى ادعوا ان النبى بسحرهم * فقد الصواب لياليا مع عصمته
كذبوا فما فقد الصوابَ نبيُّنا * فالله عاصمه بباهر قدرته
ليبلغنّ رسالة المولى كما * أوحى اليه فلا تكن فى مريته
فمن افترى كذبا على الله اشترى * نار الجحيم بجُرمه لاقامته
فتعقلوا وتدبروا قول النبى * وكتاب رب العالمين بشرعته
وتفقهوا فى الدين حتى تهتدوا * للحق فى النبأ العظيم وآيته
واستفت اهل العلم حقا والتقى * وبرأيه استمسك لقوة حجته
فهو الذى بالغيب يخشى ربه * وبعلمه هو يعملن لنصرته
الله أعلم لا تكن متكبرا * فى ذكر ربك واستعن بعبادته
في الارض كن عبداً ولا تك سيداً * لتحوز فخراً فى السماء برفعته
وذر الندا بالباشوية إنه * لقب يغرك فاحترس من فتنته
واذا أردت الفوز فاعمل صالحا * لتكون باشا عند رب بريته
ياسيد اشكرى لنصحك فاتبع * لتكون ممن يقتدى بنصيحته
كيف المقال وأنت لم تعمل به * عار علي من لا يفي بمقالته

فابدأ بنفسك فاشفها من سقمها * واتبع سبيل الرشد تحظ بنعمته
تصف الدواء لذى السقام ليشتفى * والسقم فيك مشخص بحقيقته
كم عالم لم ينتفع من علمه * كم من طبيب مبتلًى فى صحته
وكلاهما للغير يسعى جهده * ولنفسه لا يعملن كعادته
هي آية لله يفعل ما يشا * لا تعترض تبلى بمثل مصيبته
أخلص لربك واستقم تنل الشفا * وكن الحكيم بعلمه وبحكمته
أصلح لنا ماقد بقى واغفر لنا * ماقد مضى مع سترنا لنهايته
إنى رجعت الى المهيمن تائبا * من كل ذنب طامعا في رحمته
ومصليا دوما علي طه عسى * أن أدخل الفردوس ضمن معيته
صلى عليك الله يانور الهدى * يارحمة للعالمين ببعثته
والرأى عندى ان ذا القرنين ذا * الاسكندر المقدون ثق بمتانته
والسد بالصين المؤكد عندهم * والله أعلم بالصواب وحالته
استغفر الله العظيم مخافة * من ربنا ومحبة في طاعته
ثم الصلاة علي النبى وآله * والمرشدين الى الهدى وطريقته

وقد كتبت لبعض كبار افاضل العلماء المفكرين بما رأيت في حديث طول آدم عليه السلام وجنته وسألتهم عن رأيهم فى ذلك وانى سأذكر فيما يلى أجابة كل تتميما للفائدة بدون تعليق عليها معظما أقوالهم رضى الله عنهم

(١) اجابة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد بن ابراهيم السمالوطي المالكي الخلوتي من هيئة كبار العلماء بالازهر الشريف

قال حفظه الله و رضى عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق آدم على صورته . وزاده بسطة في العلم والجسم واصطفاه لخلافته . وأشهد ان لا إله الا الله يزيد في الخلق مايشاء . وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله خاتم الانبياء صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما روى حديثه الصحيح راو واقتدى به . أما بعد فقد من الله على فى شهر رمضان المعظم بورود خطاب صاحب السعادة الاجل الاكرم الذى يقصر عن رفعة قدره لسان مدحى وشكري . سعادة والدى الوقور . سيد باشا شكرى . رضي الله عنه وأرضاه . وبلغه فى الدارين مايتمناه . يأمرنى حفظه الله بعين عنايته . ببيان حديث (خلق الله ادم على صورته) فقابلت أمر سعادته بالامتثال . ورجوت الله تعالى السداد فى تحرير المقال . فقلت وعلى الله توكلت . إنى أروى بسندى المتصل الى الامامين الجليلين محمد بن اسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى رضي الله عنهما قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على اولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعا فلم تزل الخلق تنقص بعده حتى الآن . رواه البخارى ومسلم والامام أحمد رضي الله عنهم عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . أما قوله على صورته فيحتمل أن يكون الضمير لآدم وصورته هيئته وشكله والمعنى أن الله خلق آدم على هيئته التى هو عليها من بدء فطرته إلى ان مات فلم تتغير هيئته التي خلقه عليها بان يكون قصيراً ثم طال كما هو عادة ذريته . ويحتمل أن يكون الضمير لله كما فى رواية على صورة الرحمن والصورة بمعنى الصفة والمعنى أن الله خلقه متصفا بصفات من صفاته تعالى كالحياة والعلم والسمع والبصر وغير ذلك مما تسمي به صفاته تعالى وان كانت صفاته تعالى لا يشبهها شيء من صفات الحوادث .

واما قوله وطوله ستون ذراعا فمعناه أن ارتفاع قامته من قدمه الى أعلى رأسه ستون ذراعا إما بذراع نفسه او بالذراع المعهود فى هذه الأمة وعلى كل فحقيقة الذراع من المرفق الى أعلى الاصبع الوسطى . وأما إطلاقه على صدر القناة فهو مجاز كما نص عليه الزمخشرى فى اساس البلاغة ولم تقم قرينة على ارادته وليس من الآلات التى يقدر بها فى المساحات وإرادته لاتناسب مقام المبالغة فى الطول فان مجموع الستين منه قريبة من ثلاثة امتار . وقد شاهدنا فى زماننا هذا من قامته متران ونصف متر وايضا لايظهر ذلك فى مقدار عرضه ففى رواية الامام احمد عن ابى هريرة كان طول آدم ستين ذراعا فى سبعة أذرع عرضا ،

وأما قوله فلم تزل الخلق تنقص بعده حتى الآن فمعناه أن القرون والاجيال التي بعده تخلق ناقصة فى طولها وعرضها عما كان عليه من قبلها والله اعلم بالمقدار الذى ينقصه كل جيل عما قبله ومتى انتهى هذا التناقص الذى عليه هذه الأمة فقد يجوز أن ينتهى النقص الى زمن سابق ويقف على هذا الحد الي هذه الأمة وليس فى الحديث تنصيص على قدر النقص في كل جيل وقع فيه ولان كل جيل يقع فيه ذلك النقص لاحتمال أن يكون معنى قوله حتى الآن أي حتى وقف النقص عند هذا الحد الذي عليه هذه الأمة وان كان وقوفه من أمد بعيد

وأما ارتفاع دوابهم التي كانوا يركبونها فالمعقول أن يتناسب مع ارتفاع قاماتهم بأن يكون على النصف من ذلك فان نصف قامة الراكب يكون فوق ظهر الدابة ونصفه الاسفل يكون بجانبها وكذا منازلهم يكون ارتفاعها متناسبا مع طول قاماتهم وكذا مأوى دوابهم على ان الدواب قد تكون في الصحارى والأودية والجبال كمواشى الأعراب فى كل زمان

واما قوله فكل من يدخل الجنة الخ فمعناه ان المؤمنين الذين يدخلون الجنة من أولاد آدم يعودون الى طول آدم وعرضه جميعا وان كانوا فى الدنيا على خلاف ذلك وكذلك تذهب عاهاتهم ويكونون في جمال آدم ليس فيهم آفات ولا دمامة وباقى الحديث ظاهر المعنى واما الجنة التي سكنها آدم واهبط منها

فقال أهل السنة أنها جنة الخلد ودار الثواب وانها مخلوقة في الماضي كما يدل عليه ظواهر نصوص الكتاب والسنة وحكى بعضهم الاجماع على ذلك قبل ظهور المخالفين وقال بعض المعتزلة كأبي هاشم وعبد الجبار وأبي مسلم الاصفهاني ان جنة الخلد لم تخلق في الدنيا بل تخلق في الآخرة وان التي سكنها آدم واهبط منها إنما هي بستان في الارض خلق امتحانا لآدم كان بين فارس وكرمان أو بأرض عدن أو بفلسطين وقالوا ان الهبوط هو النزول من أعلى الى أسفل إن كانت في مكان مرتفع وان كانت في مكان مستو فالهبوط بمعنى الانتقال من بقعة الى أخرى كما في قوله تعالى (اهبطوا مصرا) واستدلوا بأمور أجاب عنها أهل السنة

منها قولهم إن آدم خلق في الارض ولو كانت الجنة التي سكنها في السماء لذكر رفعه اليها

ومنها أن دار الخلود لا تكليف فيها بل هي دار نعيم وقد كلف ان لا يأكل من الشجرة ومنها أن ابليس كان من الكافرين وقد دخلها للوسوسة ولو كانت جنة الخلد ما دخلها ومنها أن الله تعالى قال في شأن جنة الخلد وأهلها (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما) وقال (لا لغو فيها ولا تأثيم) وقال (وماهم منها بمخرجين) وقد لغا ابليس في هذه وكذب وقد حصل الخروج منها بعد دخولها وقال بعض العلماء إن الأدلة متعارضة والقدرة صالحة فالأحوط والأسلم الكف عن القطع بتعيين تلك الجنة ويكفينا اعتقاد ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة وهو ان آدم دخل جنة ونهى عن الأكل من شجرة فيها وان ابليس وسوس اليه أن يأكل منها فاكل فاهبط منها هو وزوجه وابليس الى الارض كما قص الله علينا في مواضع من كتابه العزيز ولا نكلف زيادة على ذلك والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه الفقير الي عفو ربه محمد بن ابراهيم السمالوطي المالكي الخلوتي

(٢) « إجابة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الفيلسوف الاسلامى الشيخ يوسف الدجوى المالكى من هيئة كبار العلماء بالازهر الشريف »

قال حفظه الله ورضى عنه بعد الديباجة

وبعد فقد وصلني خطابكم الكريم الذى تسأل فيه عن طول آدم عليه السلام وعن جنته التى سكنها . وقبل الخوض في الجواب أريد أن أقول لسعادتك أن العلم لا آخرله وأن مقدورات الله لانهاية لها والانسان ضعيف جداً فى كل شيء حتى أنه لو أراد ان يعرف دقائق صنعة من الصنائع فربما افنى عمره وقد بقى عليه شيء من تلك الدقائق فماذا يكون حاله اذا اراد أن يقف على كل شيء مما صنع الله تعالى بقدرته الباهرة ودبره بعلمه القديم . وقد قال الخضر لموسى عليه السلام ماعلمى وعلمك في جنب علم الله تعالى الا كما أخذ العصفور بمنقاره من البحر وقال تعالي (ولو ان مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله) هذا بالنسبة الى علمه تعالى وقال بعد ذلك في بيان قدرته (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وقال (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل امثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون) (انما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) وأن من يزن كل شيء بعقله لا بد ان يضل ضلالا بعيداً فان العقل خلق لنزن به مايخصك لا مايخصه سبحانه وتعالى وان هذا الغذاء الذي نتغذى به كل يوم (وهو أقرب شيء الينا) لا ندرى كيف ينقلب الي لحم ودم وعظم وعصب الخ ولا كيف ينقلب هذا التراب تفاحا ورمانا الخ واستبعاد العقول لا يصح أن يكون دليلا على نفى شيء من الاشياء فان العقول من شأنها أن تستبعد كل مالا إلف لها به ومن سار على قاعدة الاستبعاد أوشك أن ينكر معجزات الانبياء فانها كلها خارقة للعادة واذا رجعنا الى اكثر العقول وجدناها تستبعدها أو تنكرها لانها لا إلف لها بها

اما المؤمن فالامر عنده يسير جداً لانه عرف تصور عقله وقد آمن بالغيب فخرج بذلك من تلك القيود الضيقة وعلم أن عقله لا يصلح ميزانا لكل شيء موقنا بقول الله تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) وبقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء خائفامن أن يدخل فيمن قال الله فيهم (بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه) فهؤلاء المؤمنون قد عرفواقدر العلم وقدر أنفسهم وأيقنوا أن قدرة الله صالحة لكل شيء ومن قيدها او حصر مقدوراتها فيما رأى فقد جهل بالله عز وجل والله أكبر من أن يقيد بشيء من الاشياء أو يحكم عليه ناموس من النواميس أو يكون مالديه منحصراً فيما أدركه البصر وانتهي اليه النظر فالمؤمن فى راحة من ذلك الموضوع قد فرغ منه اعتماداً على ماأسسه من كمال القدرة الالهية وسعة العلم الربانى وقصور العقل البشرى وكلمة ختامية فى هذه المقدمة لابد منها وهي ان السلف كانوا اذا تخطوا الاربعين من عمرهم تركوا العلم جانبا عالمين أنه لا آخر له واشتغلوا بالعمل وتصفية القلوب لله عز وجل فعلى امثالنا ان يتركوا مالا يعنيهم وليعلموا ان الشيطان له مداخل كثيرة الى القلب كما فصل ذلك الامام الغزالى فى الاحياء في ربع المهلكات واحب أن تستعيده مرارا فانه مفيد جدا وحبذا لو أمكن الا نشتغل بقية عمرنا الا بذكر الله وما يملأ قلوبنا تعظيما له وحبا فيه اسأل الله أن يشغلنا به على اليقين والمشاهدة وان يغرقنا فى بحر عظمته بمنه وكرمه اما الجواب عما سألت فنقول ان المفسرين قد ذكروا فى الجنة احتمالين ولكن احتمال كونها في الارض لم يظهر الا بظهور المعتزلة (الذين منهم ابو مسلم الاصفهانى) اما من قبلهم من السلف فهم لا يعرفون من الجنة عند الاطلاق الا الجنة المعهودة فى كتب الله تعالى ولا يستبعدون ذلك على قدرة الله عزوجل فرفع آدم من الارض الى السماء على أجنحة الملائكة (وهو أيضا روحانى من أكبر الروحانيين) أمر يسير جدا وما هو فى قدرة الله الا كلمح البصر أو هو أقرب وهذا الاحتمال هو الظاهر من حنق سيدنا موسى عليه السلام على أبيه آدم عليه السلام حيث قال انت الذى أخرجتنا من الجنة كما فى الحديث الصحيح ومع هذا فيصح أن أقول لسعادتك انها مسئلة هينة وليس عندنا فيها قاطع لا يقبل التأويل

أما طول آدم عليه السلام فلا أرى فيه بعدا وقد تطاولت القرون فيما بيننا و بينه وها نحن اولاء نجد التفاوت بيننا و بين أبائنا واجدادنا الاقربين محسوسا والتقاصر في كل شيء خصوصا الأعمار مشاهداً

هذا والتفاوت بين أصناف البشر مرئي فأي بعد في أن يكون آدم على ذلك الطول و بيننا و بينه من ألوف السنين مالا يعلمه الا الله تعالى واذا كانت الازمنة المتطاولة في رأي دارون تحول اسفل الحيوانات الى أرقاها فمسألتنا أولي من ذلك بكثير وقد أعجبني جداً بحثك وتأويلك الذي أخذته من عبارة القاموس غير أني أرى أننا لم نضطر حتى الان لهذا فانه لم يقم دليل على خلاف الظاهر والاستبعاد كما قلنا لا يصلح أن يكون دليلا ولا شبه دليل

أما الحيوانات التي كان يركبها فقد كانت كبيرة وتناقصت في الخلق أيضا كما تناقص الانسان واما البيوت التي كان يسكنها فأمرها بالنسبة اليه كان اسهل من بيوتنا بالنسبة الينا خصوصا اذا لحظنا حال ذلك العصر و يقرب ذلك بعض التقريب النظر الى حال البدو الذين يسكنون الفيافي والقفار و يكتفون بما أوجدالله من المرافق الطبيعة الخ الخ الخ و بعد فرمضان لا يمكنني من أن اكتب كل ما أريد والكتابة ثقيلة علي جدا ولذلك أخرت الجواب بعض التأخير غير أني رأيت أن أنقل لسيادتك تلخيصا مما جاء في رحلة لبيب بك البتانوني عند الكلام على قبر حواء بجدة وأنه لم يمكننا أن نؤول اكثر مما أول ونبدي من الاحتمالات اكثر مما أبدي ولكنها وافية إن شاء الله

نقل الاستاذ لبيب بك البتانوني في رحلته الحجازية في الحاشية صفحة (١٣) ما يأتي ليسمح لي القارئ ان لا أترك هذا المقام دون ان أقول كلمة عما قالوه في طول آدم وحواء قال المسيو هاتريون العضو في المجمع العلمي الفرنساوي والعالم المستشرق ان طول آدم كان ١٢٣ قدم وتسع بوصات (٣٧) متراً تقريبا وان طول حواء كان ١١٨ قدم و٣ ارباع البوصة (انظر مادة آدم في معجم لاروس الكبير)

ثم ذكر مقارنة بين ما قاله العرب من انه ستون ذراعا فيكون طوله (٢٤ مترا) باعتبار ذراع اليد المقدر بار بعين سنتي وهى أقل مما ذكره هذا المستشرق ثم أورد اعتراض بعضهم على ذلك بالموميات التي تكتشف والتي لا تختلف عن اجسامنا كثيرا وأجاب عنه بأنه ما المانع من ان تكون المسافة التى بين آدم و بين الطوفان كانت اضعاف اضعاف ما بيننا و بين الزمن الذى وصلتنا فيه هذه الموميات من عهدها الاول (على ان هذه الموميات لا تمثل لنا الحقيقة تماما فان كل شيء ينقص إذا جف فما ظنك بتلك الموميات التي مضت عليها تلك الدهور الخ الخ وأ نا نرى الشيخ الهرم يصغر كثيرا وهو حى عن حاله الاول على ان الاجيال السابقة كان فيها القصير والطويل ايضا وعلى كل حال فلم تأخذ المسألة ما ينبغى لها من التحقيق الواجب والمقارنة اللازمة الخ الخ فالمدد التى بيننا و بين آدم متطاولة جدا كما ستسمع) ثم ذكر وجود قبور مستطيلة كثيرة في مختلف البلاد ثم قال وقد ذهب بعض الجيولوجيين الى أن الصخور البا ليوزويه (أى التى وجدوا فيها بعض الحيوانات التي كانت تعيش فى الأرض الثالثة) اثبتوا أنها رواسب مائية مما كان من الطوفان ثم قال ولا مشاحة فى أن الانسان الاول كان موجودا قبله بنصف مليون سنة على الاقل كما يؤخذ من أقوال فلا ماريون فى كتابه من أن عمر الارض الثالثة كان ثلاثمائة الف سنة وعمر الثانيـة مليونا ومائتى الف سنة الى ان قال على انه يجوز ان يكون عمر هذين الطورين اكثر مما قدره لها فلا ماريون بدليل انهم كانوا يقررون عمر الارض فى جميع ادوارها بمائة مليون سنة ولـكنهم بعد اكتشاف الراديوم قدروه بالف مليون سنة ثم قال ولا شك ان قدم الانسان فيها متناسب مع قدمها لطبيعة الوجود على انهم يقولون ان النباتات التي كانت تعيش في الأرض الثالثة كانت اكبر بكثير من التي تعيش الآن من نوعها ومما جاء فى دائرة المعـارف العربية من ذلك بمادة (جيولوجيا) مانصه

ومما يستغرب له في نبات الأرض الفحمية نموه العجيب فن أنواع السرخس التى لا يتـكون منهـا في عصرنا هذا إلا نباتات حشـيشية خالدة في البلاد الباردة كان يتكون منها اشـجار أعظم ارتفاعا من اشجار التنوب وانواع

الليكو بوديون لا ترتفع في هذه الايام اكثر من متر مع انها كانت فى الزمن القديم ترتفع من خمسة وعشرين الي ثلاثين متراوكان قطرها مترا و ينسبون هذا الاختلاف الي درجة الحرارة التي كانت تزيد عما هى عليه الآن بنحو مائتى درجة هذا وقد اكتشفوا بين ثنايا الصخور هياكل حيوانات أضعاف أضعاف ماهى عليه الآن نذكر من ذلك الحيوان الهائل الذى يسمونه (ماستودونت) وقالوا انه هو الفيل بعينه ومذكور بمادة فيل بدائرة المعارف الكبرى الفرنساوية ثم الحيوان الذى يسمونه بالزبوسور وقالوا أنه نوع من الورلة وطوله عشرة أمتار وهو مالا تربطه نسبة بطول أى نوع من أنواعه الآن فما المانع من أن يكون الانسان أيضا كذلك اه

وبعد كتابة هذا تذكرت بالمناسبة مجلسا كان لنا مع بعض الباشوات الذين لا يعرفون القرآن أولا يصلون الى حقائق الايمان ويزعمون ان عندهم ميزان جميع الاكوان جهلا بعظمة الواحد الديان وقصور عقل الانسان وما فيه من النقصان وكان الانسان ظلوما جهولا ومع هذا فهو اكثر شيء جدلا قال الباشا أنا لا أصدق أن ناسا كانوا يعيشون خمسمائة سنة وستمائة سنة كما يقولون فقلت له وهل معك دليل على هذا فقال كلاما كثيرا لا يخرج عن الاستبعاد وما تقتضيه العادة وتثبته المشاهدة فقلت له وهل عدم الدليل على وجود شيء يدل على عدم ذلك الشيء وبعد لأى فهم مايقوله العلماء من ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول ثم قلت عجبا لكم تقولون اننا لا نحكم الا عن حس ولا نصدر الا عن يقين وقد تركنا كم وما أردتم لانفسكم مع أنكم مسجونون فى سجن العادات مقيدون بقيود المشاهدات الحاضرات ولا يتقيد بالمحسوسات الا الحيوان لا الانسان ولكن مابالكم خالفتم قاعدتكم فحكمتم بالاحكام الجازمة من غير ان يدل عليها دليل أو شبه دليل وهل قام البرهان الحسى كما هو قاعدتكم على هذا النفى الذى تجزمون به مابالكم تقلدون مايجيء عن الاوربيين بلا بحث ولا نظر وتشكون فيما جاء عن الانبياء والرسل الخ الخ ثم قلت له أنى شيخ من الشيوخ ومع هذا أعلل لك تعليلا طبيعيا يمكنك أن تقتنع به ولا اقول لك ان الله قادر علي كل شيء والامر راجع الى ارادته واختياره وإن

شاء أمدنا بالحياة دائما وان شاء قطعها عنا صغاراً أو كبارا معمرين أو غير معمرين لاأقول لك ذلك ولكن أقول لك أنهم قدروا ان الغذاء إنما يقصد به التعويض لأن الجسم دائما فى تحليل وتعويض فاذا فرضنا أن التعويض على قدر التحليل وكنا فى بيئة لاتتحكم فيها الشهوات ولا تبيدها الهموم المضنيات ولا كثرت فيها المهلكات المختلفات وكان التوازن بين التحليل والتعويض تاما أو قريبا من التام فما المانع من ان يبقى الجسم مدة طويلة جداً لو أمكن أن نسير على ذلك الاعتدال مراعين قاعدة الموازنة مبعدين عن انفسنا تلك الشهوات وهاتيك الآفات المهلكات التي جاءت بها المدنية الفاسقة كنا مع ذلك على طهارة فى النفوس وسلامة فى الصدور وقناعة فى الارزاق واعتدال في الأخلاق وبساطة في العادات لاسيما اذا تحلت الارواح مع ذلك بألقاء سلاحها غارقة في التوكل على الله متلذذة دائما بما يفيض عليها من الفيوضات والمعارف هائمة فى جلاله وجماله كما يحكى عن الخضر عليه السلام وقد رأيت بالمقطم منذ زمان بعيد عن بعض الاور بيين أن الجسم صالح للبقاء إذا روعيت شروط مخصوصة ولا أذكر الآن اسم ذلك الرجل فان عهدى بتلك المقالة بعيد فلم يمكن الباشاولا أحداً من الحاضرين أن يناقشوا فى جواز ذلك وعدم استحالته وقد قال بعضهم يقرب ذلك مانجده من الفرق البعيد بين اعمار اهل المدن وأعمار أهل البادية وبين هذا الجيل الحاضر والأجيال الماضية (حتي القريبة منا) وقد تعبت فلأقتصر على هذا والله يتولى هدانا جميعا واليه يرجع الأمر كله وهو اكبر من ان تحيط العقول بأكوانه أواعماله أونواميسه والانسان أعجز من أن يعرف كل شيء (ومن جهله جهله بجهله) ويرحم الله القائل . ما للتراب وللعلوم وإنما . يسعى ليعلم انه لا يعلم . لعلك تجد فى هذا الجواب غلطا املائيا فانى لم استعده تعبا ومللا ولكن الأمر واضح إن شاء الله هذا واقبل فائق احترامى ومزيد اعظامى لسعادتك والسلام عليكم ورحمة الله

(حاشية) بلغنى ان بالمنوفية رجلا طويلا يسمى ابا خربوش وهو معروف لكثير من الناس واذكر أن بأفريقيا صنفا قصيراً من البشر وقداضافوا بعض

السياح من الأور بين وتكلم عن ذلك فى بعض المجلات والجرائد الاسبوعية وبعد هذا فتأويلك الذى استنبطته من القاموس فى غاية الحسن ولكن لم يقم برهان على امتناع الظاهر حتى نحتاج الى التأويل خصوصا وقد اثبت علماء الجيولوجيا ذلك التفاوت الهائل بين حيوانات الماضى وحيوانات الحاضر كما نقلنا ذلك سابقا ولو قام البرهان على امتناع ذلك التفاوت لكنا أول المؤولين أو طعنا في صحة الحديث ولكن أين ذلك البرهان المحسوس وليس عندنا الا مجرد الاستبعاد المبنى على الالف والعادة على أن وجود تلك الحيوانات الكبيرة ينبغى أن يكون قاطعا فى الموضوع يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر

(٣) اجابة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى مفتى الديار المصرية سابقا ومن هيئة كبار علماء الازهر الشريف قال حفظه الله ورضي عنه بعد الديباجة

السلام عليكم ورحمة الله: اطلعنا على ما جاء فى مراسلتكم وذكرتم فيها الحديث الذى رواه البخارى في صحيحه أن آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا وقلتم ان هذا الطول لا يتناسب مع طول الانسان الآن مؤيدين نظركم بما استكشفوه من آثار الفراعنة ومستبعدين ما فسر به العلماء الذراع من انه ذراع نفسه او الذراع المتعارف وترمون لازالة الشبهة الحاصلة عندكم أن تجعلوا مقدار الذراع الوارد فى خلق آدم خمسة سنتى مستدلين بأن صاحب القاموس ذكر من معانى الذراع أنه صدر القناة وقلتم إن صدر القناة يساوى خمسة سنتى تقريبا فنقول

نعم ان الحديث أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) فالذين شرحوا الحديث ذكروا للذراع معنيين يحتمل أن يريد بقدر ذراع نفسه ويحتمل أن يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين

وأورد الحافظ ابن حجر العسقلاني إشكالا على هذا حيث قال و يشكل على هذا مايوجد الآن من آثار الامم السالفة كديار ثمود فأن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب مايقتضيه الترتيب السابق ولا شك أن عهدهم قديم وأن الزمان الذى بينهم و بين آدم دون الزمان الذى بينهم و بين أول هذه الأمة ولم يظهرلى الى الآن مايزيل هذا الاشكال اه ونقله عنه صديق حسن فى عون البارى .

أقول لا لزوم لهذا الاشكال لأن ما وجد من آثار الأمم وان كان عهدهم قديما لكن لايلزم منه أن يكون الزمان الذى بينهم و بين أول هذه الامة كما فهمه الحافظ بن حجر لان فهمه مبنى على أن عمر الدنيا ٧ سبعة آلاف سنة أو ستة آلاف سنة كما روى ذلك عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه وكل هذا لم يثبت والحق أن مقدار مامضى من عمر الدنيا ومقدار مابقى غير معلوم . فاذا كان الامر كذلك فآثار الأمم السالفة التى يؤخذ منها انهم مثلنا فأن ذلك إنما هو بحسب ماوصل اليه بحث البشر فى المدة التى سبروا فيها احوال تلك الأمم لجواز ان يكون قبل ذلك امم هم اطول منا قامة على الوجه الذى جاء فى الحديث فى آدم فلا يقدح فيما ورد لان ما مضى كثير فقد قيل انه يقدر بعشرات ملايين من السنين وقد ذكرت إحدى الصحف ان بعثة من العلماء الانكليز غرضها البحث عن موطن الانسان الاول فارتادت مجاهل منغوليا ليثبتوا النظرية القائلة بان صحراء جوبى فى أواسط آسيا مهد البشرية و يعتقد الكثيرون أن هذه الارض كانت مأهولة منذ عشرة ملايين سنة بحيوانات هائلة قد انقرضت ولم يبق منها سوى بعض آثارها وقد عثروا على بقايا عظام كثيرة من عظام حيوانات وكان علو بعض تلك الحيوانات يزيد على ستة امتار وعلى أسنان بشرية متحجرة وغاية مايدل مااستكشفوه على ان هذه الأرض كانت مقراً للبشر ولا يدل على أنها كانت المقر الأول للبشر بل يجوز ان يكون أول البشر قبل هذه المدة بكثير من الملايين

فالعدول عن ظاهر النص انما يكون عند مخالفة الظاهر لليقين الذى مخالفته ليست فى الامكان وهنا ليس كذلك لانه ما نسب للأوائل من الطول المفرط داخل فى الامكان ولم يقم دليل قطعى او ظنى على خلافه .. واما ما ذهبتم اليه من اعتبار الذراع بصدر القناة وجعلكم مقدار صدر القناة خمسة سنتى فهذا الاعتبار مخالف للواقع لأن علماء اللغة لما ذكروا ان من معانى الذراع إطلاقه على صدر القناة فسروا الصدر بانه نصف القناة الأعلى وهاك عبارة المخصص أبو حاتم .القناة الرمح . الأصمعى وفيه عاليته وهو أعلاه وعاليته نصفه الذى يلى السنان . صاحب العين نضى الرمح مافوق المقبض من صدره . أبو زيد يقال لنصف الرمح الذى يلى الزج سافله وصدر القناة أعلاها والجمع صدور وذراع القناة صدرها اه

فعلى هذا فالذراع إذا كان بمعنى صدر القناة فانه يكون أكبر من الذراع المتعارف كما لايخفى واما سؤالكم عن الجنة التى سكنها آدم هل الراجح كونها فى الدنيا الخ فنقول اختلفوا فى هذه الجنة والأسلم الكف عن تعيينها . واذكر انى اجتمعت مع الشيخ رحمة الله صاحب اظهار الحق وصار الكلام عليها هل هى دار الثواب التى وعدها الله المؤمنين أوهى غيرها فقال لو كانت هى دار الثواب لامتن الله عليه بها ولكنه لم يمتن عليه إلا بانبائه الملائكة باسماء مسميات الأشياء وعلى كل حال فلسنا مكلفين بان نقطع بتعيينها أنها كانت فى الأرض أو فى السماء وإذا كانت فى السماء هل هي دار الثواب أو جنة أخرى بل يكفى الاعتقاد بأن آدم سكن الجنة و إن اعتقد تعيينها بأحد الاقوال فلا بأس . قال الفخر الرازى بعد ماسرد الاقوال القول الرابع ان الكل ممكن والادلة النقلية ضعيفة ومتعارضة فوجب التوقف وترك القطع ونقل الألوسى عن صاحب التأويلات أن الاحوط والأسلم الكف عن تعيينها والقطع والله أعلم

محمد بخيت المطيعى الحنفى

مفتى الديار المصرية سابقا

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين آمين

(٤) أجابة حضرة الاستاذ الجليل والمرشد الأمين السيد محمود أبي الفيض المنوفى صاحب ومدير مجلة لواء الاسلام

قال حفظه الله و رضى عنه بعد الديباجة

بعد التحية قد تلقينا خطابكم المؤرخ ٦ شعبان سنة ١٣٤٥ ﻫ و ٨ فبراير سنة ١٩٢٧ م تسألوننا فيه عن حديث خلق آدم الوارد فى البخارى وتسألوننا عن السد الذى بناه ذو القرنين . وعن ذى القرنين من هو وهل هو واحد أم اثنان . وجوابا لكم نقول وبالله التوفيق

أما عن حديث خلق آدم . فما ينفيه العقل يتنزه عنه الشرع . لأن الشرع أمير والعقل وزيره وما خاطب الله فى كتابه من الانسان الا العقل . وما شرعت شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا للعقل . وقد قال عليه الصلاة والسلام استفت قلبك وإن أفتوك . كرر وإن أفتوك ثلاثا

أما عن سد ذى القرنين فقد أجمع غالب المفسرين على انه بشمال أرض الترك . وقد قيل أنه السور الكبير الموجود بالصين . ولعدم وجود أثر للأول فى التاريخ ولوجود الثانى . فيرجح القول الأخير خصوصا أن بعض الموثوق بهم من المؤرخين عزوا بناء السور الصينى إلى الاسكندر

وأما من جهة تحقيق شخصية الاسكندر ذى القرنين . فالمحقق أنه الاسكندر المقدونى نفسه لانه لم يرد فى التاريخ القديم مايدل على أن واحداً اسمه ذو القرنين طاف المشرق والمغرب ومكن الله له فى الارض وآتاه من كل شىء سبباً غير الاسكندر المقدونى . ولا وجود لآخر الا في مخيلة بعض المفسرين . الذين لم يهتموا بتحرى الاخبار تاريخيا

هذا وأما سبب تسميته بذى القرنين . فلكونه جمع فى طوافه بين قرنى الدنيا (مشرقها ومغربها) وجمع بين ملكي الفرس واليونان . وأدال في كل من الامتين دولة قديمة وأقام ملكا جديداً « أى عصرا آخر »

هذا ماحضرنا الآن كتبنا لكم به والسلام . « محمود أبو الفيض المنوفي »

و يرى حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى محمد عمارة المدرس بالمدارس الاميرية وصاحب كتابى (جواهر البخارى ومختار الامام مسلم) فى حديث البخارى (كما أخبرنى به شفهيا) أن طول سيدنا آدم ستون ذراعا كان بمقياس مصطلح عليه فى زمن العرب يناسب هذا الطول الجميل والخلقة القوية فى عصرنا هذا فكأن الذراع الآن يقابل ثمانية عشر ذراعا فى زمانه صلى الله عليه وسلم تقريبا و بذا وفق بين صحة حديث البخارى وطول الانسان الحقيقى مصداقاً لقوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) و يرى أيضا فى مسألة ذى القرنين انه رجل صالح مكنه الله في الارض بقوته وقدرته وليس هو اسكندر المقدونى وكان بعد زمن موسي عليه السلام مباشرة بدليل ذكره فى القرآن بعد قصة الخضر وموسي عليهما السلام وأن سده لا تزال اثاره موجودة فى شمال أسيا و يندك يوم تنشق الارض شقا وتخرج قبائل يأجوج ومأجوج يعيثون فى الارض فسادا ثم يقبض الله من فى الأرض وتقوم القيامة اه كلامه وقد وجدنا فى القاموس المحيط فى باب العين فصل الذال أن الذراع يطلق على صدر القناة (والقناة الرمح) وصدرها أعلاها كما قاله أبو زيد اللغوى فلا يبعد أن يكون هو المراد بالذراع الذى ذكر فى حديث البخارى وصدر الرمح نحو خمسة سنتى تقريبا فيكون على هذا طول سيدنا آدم عليه السلام ثلاثة أمتار تقريبا وهذا أمر معقول جدا فى أول مخلوق أوجده الله

وخلاصة الأقوال أن جسم أبينا آدم عليه السلام كان فى أحسن تقويم وأن الهيئات التى نشاهدها فى المخلوقات الآن كالتى وجدت فى كل زمان تقريبا سبحان من أعطي كل شيء خلقه ثم هدى فتبارك الله احسن الخالقين

هذا ولما كان الذراع الوارد بالحديث لم يتعين وكانت الاذرع متعددة ومختلفة فى الطول رأيت من المناسب بيان ما هو معلوم منها ومقاسها باعتبار المتر الذى هو وحدة القياس الفرنسى ومستعمل فى بلادنا وهو جزء من عشرة ملايين من ربع خط الزوال الأرضي واجزاؤه ديسمتر ١و٠ وسنتمتر ١.و٠ ومليمتر ١٠٠و٠ وله مضاعفات منها ديكامتر اى عشرة امتار وهكتو متر اى مائة متر وكيلو متر اى الف متر

وفى الجدول الآتى بيان الاذرع المشهورة ومقارنتها بالمتر

اسم الذراع	مقدار الذراع بالمتر	الطول باعتبار ستين ذراعا	العرض باعتبار سبعة أذرع
ذراع معمارى	٧٥٠ ر٠م	٠٠٠ ر ٤٥ م	٢٥٠ ر ٥ م
ذراع بلدى	٦٥٠ ر ٠ م	٠٠٠ ر٣٩ م	٥٥٠ ر ٤ م
ذراع اسلامبولى	٦٧٠ ر ٠ م	٢٠٠ ر٤٠ م	٦٩٠ ر ٤ م
ذراع النيل	٥٤٢ ر ٠ م	٥٢٠ ر٣٢ م	٧٩٤ ر ٣ م

و بمقتضى ذلك يكون الجسم على كل حال كبيراً جداً لا يتناسب مع ماشوهد وما اكتشف حتي الآن من حيوان وانسان

ولا يبعد أن يكون طول أبينا آدم عليه السلام المذكور فى الحديث الصحيح مقررا بذراع متعارف حينذاك وهوغير معروف قدره الآن على سبيل القطع وأما الجنة التى سكنها فقد بينا رأينا فيها بالنظم ومع ذلك فلم يرد فى تعيينها دليل قاطع وأما ذو القرنين فالراجح عندى انه الاسكندر المقدونى نفسه وان السد الذى بناه هو الموجود بالصين الآن والله أعلم بالحقيقة والصواب

هذا والذى دفعنا الى هذا البحث ماأردنا بيانه من تطبيق العلم والقرآن على الطبيعة وحوادث الزمان وقد أفادنا وأفاد القراء ماجاء فى طيات هذا المبحث من أجوبة أصحاب الفضيلة كبار العلماء الأعلام وما فيها من نصائح غالية يجب على كل مسلم صادق الاصغاء لها والعمل بها وما اشتملت عليه من مباحث دينية وعصرية ولغوية والله الهادى الي سواء السبيل

« نتيجة »

من أنعم النظر فى الكائنات . وتدبر آيات القرآن المحكمات . علم ان خلق آدم وحواء والجن والشيطان . إنما هو للعمران وعبادة الرحمن . قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وما كانت الوساوس والعصيان . والتوبة والغفران . والكفر والايمان . إلا لاثابة المتقين . وعقاب المجرمين . وتخليد الكافرين فى نار الجحيم . والمؤمنين فى جنات النعيم وعلم أن الحكم لله العزيز العليم . خالق كل شىء وهو العلى الحكيم

هذا الذى ربى قضى تأسيسه * فاسجد له واقصد بذا تقديسه

وقل لقلبك إن أردت صلاحه * حتى تفارق دائما تدليسه

إبليس لما أن غوى من ذا الذى * قد كان يوم ضلاله إبليسه

وفي خلق الكون قلت أيضا

(١) أن السماء والارض رتقا كانتا * فُتِقا بقدرته وذا تفصيله

(٢) زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لمطارد أقماره

(٣) سبع سموات وسبع ارضها * ارض سماءٌ فى انفصال كله

(٤) والبعد فى كل كما قال النبى * مائة من الاعوام خمس عدّه

مجموعة شمسية من بعدها * خلق عظيم قد سمت أوصافه

حتى تعذر رصدها حقا كما * قد أثبت الفلكى ذا تقريره

فكما يشاء يزيد ربى خلقه * هو موسع فى الذاريات بيانه

فى الارض بث من الدواب وفى السما * وجمعهم هو قادر اذا شأنه

(٥) فتبارك الله الذى خلق الورى * ويبيده وكما بداه يعيده

قال الله تعالى

(١) أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ (سورة الأنبياء)

(٢) أَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (آخر سورة الطلاق)

(٣) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (سورة النجم)

(واعلم أن الشعرى أكبر من الشمس باضعاف مضاعفة ونور الشمس جزء من خمسين جزءا من نورها ومن المعلوم ان الشمس أكبر من الأرض بمايزيد على الف وثلاثمائة مرة)

(٤) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (سورة الشورى)

(٥) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي

الزَّبورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكرِ أنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحونَ
(سورة الانبياء)

فإذا بَرِقَ البَصَرُ * وَخَسَفَ القَمَرُ * وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ * يَقُولُ الانْسانُ يَوْمَئِذٍ أيْنَ المَفَرُّ * كَلاَّ لا وَزَرَ * إلى ربِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأخَّرَ * بَلِ الإنْسانُ على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ ألْقَى مَعاذِيرَهُ (سورة القيامة)

فسُبْحانَ الذي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كلِّ شيءٍ وَاليهِ تُرْجَعونَ
(آخر سورة يس)

إنَّ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لأُولِي الأَلْبابِ * الذين يذْكُرونَ اللهَ قِياماً وَقُعوداً وَعلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرونَ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ربَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَكَ فقِنا عذابَ النَّارِ * رَبَّنا إنكَ مَنْ تُدْخِلِ النارَ فقدْ أخْزَيْتَهُ وماللظالِمينَ مِنْ أنْصارٍ * رَبَّنا إنَّنا سَمِعْنامُنادياً يُنادِي لِلإِيمانِ أنْ آمِنوا بِرَبِّكُمْ فآمَنَّا ربَّنافاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عنَّا سَيِّئاتِنا وتَوَفَّنا مَعَ الأَبْرارِ * ربَّنا وآتِنا ماوعَدْتَنا على رُسُلِكَ ولا تُخْزِنا يَوْمَ القِيامةِ إنَّكَ لاتُخْلِفُ المِيعادَ * فاسْتَجابَ لهمْ رَبُّهُمْ أني لاأُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فالذينَ هاجَروا

وَأُخْرِجوا مِنْ دِيارِهِمْ وأُوذُوا في سبيلي وقاتَلوا وقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عنهُمْ سَيِّئاتِهِمْ ولأُدْخِلَنَّهُمْ جنَّاتٍ تجرى من تحتِها الأنهارُ ثَوابًا مِنْ عِندِ اللهِ واللهُ عندَهُ حُسْنُ الثَّوابِ * لا يَغُرَّنَّكَ تَقلُّبُ الذين كَفَروا في البِلادِ مَتاعٌ قليلٌ ثُمَّ مأْواهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المِهادُ * لكنِ الَّذينَ اتَّقَوْا ربَّهُمْ لَهُمْ جنَّاتٌ تجرى من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها نُزُلاً من عِندِ اللهِ وما عِندَ اللهِ خَيْرٌ للأبرارِ * وإنَّ مِنْ أهلِ الكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ باللهِ وما أُنْزِلَ إليكُمْ وما أُنزِلَ إليهِمْ خاشِعينَ للهِ لا يَشْتَرونَ بآياتِ اللهِ ثَمَنًا قليلاً أُولئِكَ لَهُمْ أجرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إنَّ اللهَ سَريعُ الحِسابِ * يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اصْبِروا وصابِروا وَرابِطُوا واتَّقوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ * (آخر سورة آل عمران)

فانظر لصنع الله واسمع قوله * ونصائح العلماء أهل شريعته
دعنى وبحثى واتبع نصح الذى * يهديك للدين الحنيف وحكمته
سلم لتسلم بالأطاعة والتقى * واحذر خلافا أن تضل بطاعته
من خالف العلماء ضل عن الهدى * لا سيما فى الدين اس سعادته
وضلاله فى الدين خسران له * وسيعلم المفتون سوء خسارته
ويقول حال عذابه لو كان لى * عقل يعى ما مسنى بمرارته
هذا اعتراف لا يفيد من استوى * فى النار أو ذاق السعير بشدته
تذكيرهم بالدين فى الدنيا انقضى * سحقا لاصحاب السعير بحرقته

فالدين تشريع الاله لذى الحجا * وهو الدواء لحفظه وسلامته
دين لذى العقل السليم به الشفا * من دائه والحفظ من أمارته
والدين عند الله دين المصطفى * لكماله حقا كما في آيته
نسخ الشرائع كلها لما أتى * وأنار للخلق الطريق بحجته
وشعاره شكر الاله وحمده * دوما على نعمائه ومبرته
والعبد يدعى شاكراً لله إن * أدى التكاليف التي في ذمته
من كل فرض حاضر فى وقته * وقضى الذى قد فاته مع توبته
وازداد خيراً بالتطوع كلما * سمحت له الأوقات حسب اطاقته
هذا هو العبد الشكور وانما * عدد قليل فى الوجود بحالته
صم وبكم بل وعمى قومنا * عن شكر رب العالمين ونعمته
ان انتقام الرب كاد يعمنا * والكل لاه عن أداء أمانته
الا قليلا لا يُعد وماله * من قوة فى فعله وارادته
فلأولياء الأمر أذكرُ ذا النِّدا * ولكل مسئول بحكم وظيفته
مستغفراً ربى وراجي عفوه * عن سوء تقصيرى مخافة نقمته
وختام قولى أن اكون مصليا * أبداً على طه الحبيب وعترته



﴿ نظرة تاريخية فى الوزارة العدلية ﴾

قال الله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس) (سورة آل عمران) آية (١٤٠)

لما نزلت هذه الآية قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبشروا يارعاء الابل

﴿ قال الراجى عفو ربه ﴾

هذا هو القول المحقق صدقه * ووقوعه متحقق بأدلته
من ذا الذى دامت له ايامه * فانظر الى الماضى وخذ من عبرته
فتداول الايام بين الناس ذا * أمرٌ إلهى نافذ بطبيعته
سنريهمو آياتنا قد قاله * رب الورى فارجع لحكم شريعته
لو يعلم الحكام هول حسابهم * لتدبروا فى أمرهم ونتيجته
عدلى استقال من الوزارة فجأة * عام أربعين وخمسة من هجرته
فى شهر شوال وذاك تخلص * من نقد نواب البلاد لخطته
ومطالب المستعمرين وضغطهم * ونفوذهم فى ذى الديار بقوته
فالشعب ودعه بكل كرامة * واستقبل الثانى بحسن حفاوته
الله أكبر كل شىء هالك * الا الذى خلق السماء بقدرته
هو مالك الملك المعز لمن يشاء * واليه يرجع أمر كل خليقته
وعظ عظيم نافع لمن اتقى * خزى الحياة وهول يوم قيامته
فوزارة تهوى وأخرى ترتقى * ورقيب كل واحد فى عزته
فلعل ذا التغيير يحدث فرجة * من رحمة المولى لأهل كنانته
أم العجائب بل أبوها مصرنا * فيها الغريب ينال كامل بغيته

ويسود سادتها وكل رجالها * بالوهم والتأثير حسب مشيئته
فكأن مصر حروفها رمز أتى * لتطور فى حاله ومعيشته
فالميم ضيقة كمبدإ رزقه * والصاد وسطى ثم راء لكثرته
من رامها بالسوء أهلكه الذى * أمرُ الخلائق كلها في قبضته
ولو استقمنا مادهتنا نقمة * ولما تملكنا الغريب بسلطته
وفق إلهى من يسوس بلادنا * للعدل والشرع الحكيم وحكمته
ولنصرة الدين الحنيف وحفظه * من شر إلحاد وسوء مغبته
من يستعن بالدين في أعماله * يجد الفلاح محققا بطريقته
أصلح لنا ياذا العطا أحوالنا * وامنن علينا بالرشاد ونعمته
ثم الصلاة على النبى وآله * والمصلحين العاملين بسنته

﴿ استقالة الوزارة العدلية ﴾

فى مساء يوم الاثنين ١٨ ابريل سنة ١٩٢٧ جرت مباحثات في مجلس النواب خاصة ببنك (مصرف) مصر وعرض بعض النواب اقتراحا بشكر الوزارة فرفضت أغلبية المجلس هذا الاقتراح فعدت الوزارة هذا الرفض عدم ثقة بها واجتمع أعضاؤها وقرروا الاستقالة وأعلنوا مجلس النواب بذلك في الجلسة عينها ولقد دهش النواب من نبأ هذه الاستقالة لانهم أعلنوا امرارا وفى نفس هذه الجلسة ثقتهم العظيمة ولكن كل هذا لم يفد ولم يفد أيضا رجاء الزعماء ورغبة جلالة الملك فى سحب الاستقالة والذى يظهر أن دولة عدلى باشا سئم تدخل بعض الهيئات فى شئون ليست من اختصاصها وظل مصرا على الاستقالة ولكن جلالة الملك لم يقبلها الا فى ٢١ - ابريل وإذا رجعنا إلى تاريخ تولى هذه الوزارة وجدنا أنها مكثت فى الحكم احد عشر شهراً تقريبا وهذه هي المرة الثانية للوزارة العدلية وكانت المرة الاولى فى مارس سنة ١٩٢١ واستقالت في ديسمبر من السنة نفسها كما هو موضح بالجزء الأول

﴿ الوزارة الثروتية الثانية ﴾

دارت المفاوضات مع دولة ثروت باشا لتأليف وزارة برياسته يكون ضمن أعضائها الوزراء المستقيلون جميعا لضمان انجاز الاعمال وبعد مفاوضات اقتنع ثروت باشا و إخوانه بوجوب العودة إلى مراكز الحكم خدمة للبلاد فقبلوا جميعا بعد استرضاء دولة عدلى باشا الذى تضامنوا معه بأصرار على الاستقالة وفى ٢٥ أبريل أصدر جلالة الملك أمره الكريم إلى دولة ثروت باشا بتأليف الوزارة فقبل الامر شاكراً ورفع كتابا بأسماء زملائه الوزراء إلى السدة الملكية للاعتماد وفى اليوم نفسه صدر المرسوم الملكى بتأليفها وهذا نصه

نحن فؤاد الاول ملك مصر

بعد الاطلاع على المادة ٤٩ من الدستور وعلى الامر الكريم الصادر فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ : و بعد الاطلاع على أمرنا الكريم الصادر بتاريخ ٢٣ شوال سنة ١٣٤٥ ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٧ : و بناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء : رسمنا بما هو آت

المادة الاولى ـ عين عبد الخالق ثروت باشا وزيراً للداخلية وجعفر ولى باشا وزيراً للحربية والبحرية واحمد زكى أبو السعود باشا وزيرا للحقانية ومحمد فتح الله بركات باشا وزيراً للزراعة ومرقص حنا باشا وزيراً للخارجية ومحمد نجيب الغرابلى باشا وزيراً للاوقاف وعلى الشمسى باشا وزيرا للمعارف العمومية واحمد محمد خشبة باشا وزيرا للمواصلات وعثمان محرم باشا وزيرا للأشغال العمومية ومحمد محمود باشا وزيراً للمالية

المادة الثانية ـ على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا

(فؤاد)

بأمر حضرة صاحب الجلالة

رئيس مجلس الوزراء

(ثروت)

صدر بسراى القبة فى ٢٤ شوال سنة ١٣٤٥ هـ ٢٦ أبريل سنة ١٩٢٧

وفى مساء الاربعاء ٢٧ - أبريل تقدمت الوزارة الى البرلمان وتلت فى كل من مجلسيه بيانها وخلاصته ان برنامجها هو برنامج الوزارة العدلية المستقيلة فقابل الاعضاء هذا البيان بالتصفيق وخطب سعادة وكيل مجلس النواب مصطفى النحاس باشا باسم المجلس يهنىء الوزارة ويعلن الثقة بها وتكلم دولة رئيس مجلس الشيوخ رشدى باشا باسم المجلس المذكور مهنئا وهذه هى المرة الثانية التى يتولى فيها دولة ثروت باشا رياسة الوزارة وقد تولاها أول مرة سنة ١٩٢٢ والله المسئول ان يوفق الجميع لما فيه خير البلاد والعباد

﴿ نبذة من حكم الكبار ﴾

قال الامام على كرم الله وجهه وقد ساله زيد بن صوحان العبدى فقال يا أمير المؤمنين أى سلطان أغلب وأقوى . قال الهوى . قال فأى ذل أذل . قال الحرص على الدنيا - قال فأى فقد أشد . قال الكفر بعد الايمان . قال فأى دعوة أضل . قال الداعى بما لا يكون - قال فأى عمل أفضل . قال التقوى - قال فأى عمل أنجح . قال طلب ماعند الله - قال فأى صاحبك أشر . قال المزين لك معصية الله - قال فاى الخلق أقوى . قال الحليم - قال فاى الخلق أشقى . قال من باع دينه برضاء غيره - قال فأى الخلق أشح . قال من أخذ المال من غير حله فجعله في غير حقه - قال فأي الناس أكيس . قال من أبصر رشده من غيه . فمال إلى رشده - قال فمن احلم الناس . قال الذي لا يغضب قال فاى الناس أثبت رأيا . قال من لم يغره الناس من نفسه . ولم تغره الدنيا بشنوفها (١) قال فاى الناس احمق . قال المغتر بالدنيا وهو يرى مافيها وتقلب أحوالها قال فأي الناس أشد حسرة . قال الذى حرم الدنيا والآخرة . ذلك هو الخسران المبين - قال فاى الخلق أعمى . قال الذى عمل لغير الله

(١) أى زخارفها

يطلب بعمله الثواب من الله تعالى . قال فأى القنوع أفضل قال القانع بما أعطاه الله عز وجل اهـ

وقد قلت في هذا المعنى

هذا هو الارشاد حقا فاستمع * حكم الذى يبغى الفلاح لأمته
حِكَمَ الكبار دواء كل بلية * وكبارها حكم النبى وعترته
حكم الامام على لقد شهدت لها * أهل المعارف فاقتبس من حكمته
فمدينة العلم النبي وبابها * ذاك الامام بقدره وبلاغته
من وجهه قد كرم المولى كما * أعطاه فى الدارين حسن عطيته
هذا امام المرشدين عن النبي * رسم الطريق لاهله وأحبته
فطريقه الزم واتبع ارشاده * تنل السعادة والعلا بكرامته
رضى الاله عن النبي وآله * والمرشدين أولى التقى وصحابته

وأختم هذه التتمة بختام سورة الكهف تبركا وموعظة وذكرى قال الله تعالى

وتركْنا بَعْضَهُمْ يومئذٍ يَمُوجُ في بَعْضٍ ونُفِخَ في الصُّورِ فَجمعْناهُمْ جمْعاً * وعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَومَئذٍ للكافِرِينَ عَرْضاً * الذين كانت أعْيُنُهُمْ في غِطاءٍ عن ذِكرِى وكانوا لا يستطيعون سَمْعاً * أفَحَسِبَ الذين كفَروا أنْ يَتَّخِذوا عِبادِى من دونى أوْلياءَ إنَّا أعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً * قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأخْسَرِينَ أعمالاً * الذين ضَلَّ سعيُهم فى الحياةِ الدنيا وهمْ يَحْسَبونَ أنهم يُحسِنون صُنْعاً * أُولئكَ

الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً * ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً * خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً * قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً *

فوائد في فضل القرآن

روى البخاري عن أبي سعيد رافع بن المعلى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قراءة قل هو الله أحد والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن . وروى نحوه مسلم عن

أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه .

ورَوَى مُسْلِمٌ عن عُقْبَةَ بن عامر رضى الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الليلةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ قلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقلْ أعوذُ بربِّ الناسِ .

ورَوَى الشيخانِ عن أبي مسعودٍ البَدْرِيِّ رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مَنْ قرأَ بالآيتين مِنْ آخرِ سورة البقرة في ليلة كَفَتَاهُ قيل كَفَتَاهُ المكروه تلك الليلةَ وقيل كَفَتَاهُ مِنْ قيام الليلِ قاله الامامُ النَّوَوِى في رياضِ الصالحينَ . والآيتانِ المذكورتان هما آمَنَ الرسولُ بما أُنزِلَ إليْهِ مِنْ رَبِّهِ والمؤْمنونَ كلٌّ آمَنَ باللهِ وملائكته وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لانُفَرِّقُ بينَ أَحدٍ مِنْ رُسُلِه وقالوا سَمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ ربَّنا واليكَ المصيرُ * لا يكلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلا وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعلَيْها ما اكْتَسبتْ ربَّنا لا تُؤاخذْنا إِنْ نسينا أو أَخْطأْنا ربَّنا ولاَ تحْمِلْ علينْا إِصْراً كَما حمَلْتَهُ على الذين مِن قَبلِنا ربَّنا ولاَ تحَمِّلْنا مالاَ طاقةَ لَنا بِه واعْفُ عنَّا واغْفرْ لَنا وارْحمْنا أنْتَ مَوْلاَنا فانْصُرْنا على القوْمِ الكافرين * (آمين)

وروى مسْلمٌ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه أن رسول الله صلى اللهُ عليْه وسلَّمَ قال لا تجْعلوا بُيوتَكُم مقَابرَ إن الشَّيطانَ يَنْفِرُ

مِنَ البَيتِ الذى تُقرَأُ فيه سُورَةُ البَقَرَةِ

ورَوى مسْلِمٌ عنْ أُبَيِّ بن كَعْبٍ رضى الله عنه قال قال رسولُ الله ﷺ يا أبا المُنْذرِ أَتَدْرى أَىُّ آيَةٍ منْ كتابِ الله معكَ أَعْظَمُ قُلتُ اللهُ لا إِلٰهَ إلاَّ هُوَ الحىُّ القيُّومُ (أى آية الكرسى الخ) فضَرَبَ فى صدْرِى وقال لِيَهْنِكَ الْعلْمُ أبا المُنْذِرِ

ورَوى مسلِمٌ عن النوَّاس بن سَمْعانَ رضى الله عنه قال سمعْت رسُول اللّه ﷺ يقول يُؤْتى يومَ القيامةِ بالقُرْآن وأَهْلِهِ الذِين كانوا يعملون به في الدنيا تَقْدُمُهُ سورة البقرةِ وآل عمران تُحاجَّانِ عن صاحِبِهما .

وروى مسلم عن أبي الدَّرْداءِ رضى اللَّهُ عنه أن رسول اللَّهِ ﷺ قال مَنْ حفِظَ عَشْرَ أيات مِنْ أَوَّل سورة الكهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجال وفى رِواية لمسْلم أيضاً من آخر سورة الكهف

ورَوى مسلم عن ابن عباس رضى اللّه عنهما قال بينما جبريل عليه السلام قاعدٌ عند النبى ﷺ سَمِعَ نَقيضاً (أى صوتاً) مِنْ فوقه فرفع رأْسَهُ فقال هذا بابٌ مِنَ السماءِ فُتِحَ اليومَ ولم يُفتح قَطُّ إلاَّ اليومَ فينْزِلُ منهُ ملَكٌ فقال هذا مَلَكٌ نَزلَ إلى الأَرْض لم ينْزِلْ قطُّ إلاَّ اليومَ فسلَّمَ (أى الملك) وقال (أى للنبيّ) أبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتيتَهُما

لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته أي أعطيت ثوابه ومضمون طلبه

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم وفقنا لتلاوة القرآن والعمل به حتى تكون راضياً عنا يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والانبياء والمرسلين والداعين إلى الصراط المستقيم الى يوم الدين آمين

تنبيه

هذا وقد اطلعنا على درس من الدروس القيمة التي يلقيها صديقنا الفاضل مصطفى بك منير أدهم في الجمعية الجغرافية الملكية على اساتذة المدارس الاميرية وعنوان الدرس المذكور (القرآن الشريف ومنابع النيل) وهو يتفق مع موضوع هذا الوصل و يتفق أيضا مع الوصل الذى عقدناه وجعلنا عنوانه (مصر والنيل) ولما كان ارتباطه بالثانى أشد اخرناه لذكره فيه فنلفت اليه الانظار وفقنا الله لما فيه الصواب بجاه نبيه ﷺ آمين



الوصل الرابع عشر

في الرد على المسيحيين والتذكير ببعض ماجاء في التوراة والزبور والانجيل والقرآن عن عيسى عليه السلام . والبراهين القاطعه الدالة على تأييد القرآن والاسلام ونسخ ما سواهما من الكتب والاديان

(١) قال الله تعالى (لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّهِ وَلا المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عن عِبادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً * فَأَمَّا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وأَمَّا الذِينَ اسْتَنْكَفُوا واسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً ولا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيّاً ولا نَصِيراً * يا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً * فَأَمَّا الذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَاعْتَصَمُوا

الوصل الرابع عشر

شرح الآيات والاحاديث

قال الله تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله الخ)

سبب نزول هذه الآية أن وفد نجران قالوا يامحمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأى شيء أقول فيه قالوا تقول أنه عبد الله ورسوله فقال لهم أنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزل (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) وشبهتهم الكبرى التي قامت في أذهانهم برهانا على انه ابن الله أوهو ثالث ثلاثة أوهو الله أنه كان يخبر بالمغيبات ويحيي الموتى فقيل لهم أن عيسى مع كونه يقوم بهذه الأعمال

بهِ فَسَيُدْخِلُهمْ في رَحمَةٍ منهُ وفَضْلٍ ويهديهمْ إليهِ صِراطاً مُسْتَقيماً * آيات ١٧٢ - ١٧٥ سورة النساء

(٢) لَقَدْ كَفَرَ الذينَ قالوا إنَّ اللهَ هُوَ المَسيحُ بنُ مَرْيَمَ وَقالَ المَسيحُ يا بَني إسرائيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَربَّكُمْ إنهُ منْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ حرَّمَ اللهُ عليهِ الجنَّةَ ومأْواهُ النَّارُ وما للظَّالمينَ منْ أنْصارٍ * لَقدْ كَفَرَ الذينَ قالوا إنَّ اللهَ ثالِثُ ثلاثةٍ وَما منْ إلهٍ إلاَّ إلهٌ واحِدٌ وإنْ لَمْ يَنْتَهُوا عمَّا يَقولونَ ليمسنَّ الذينَ كَفَرُوا منهُمْ عذابٌ أَليمٌ * أَفلا يَتوبُونَ إلى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونهُ وَاللهُ غَفورٌ رَحيمٌ * ما المسيحُ بنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسولٌ قدْ خَلَتْ منْ قَبْلهِ الرُّسُلُ وامُّهُ صِدِّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ منْ دونِ اللهِ مالا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّميعُ الْعَليمُ * آيات ٧٢ الى ٧٦ سورة المائدة

لا يستنكف ان يكون عبداً لله وكذلك الملائكة المقربون الذين هم مطلعون على اللوح المحفوظ فهم أكثر إطلاعاً على الغيب من عيسى وكذلك تحمل ثمانية منهم عرش الله العظيم وهى قوة فوق قوة عيسى فالملائكة المقربون فى كلا الأمرين أقوى من عيسى عليه السلام وهؤلاء عباد الله (لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) (لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون) (لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون) وليست هذه الآية دليلا علي ان الملائكة أفضل مطلقاً من الرسل كما استدل بها

﴿ الأحاديث ﴾

(١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قالَ ما من مَوْلودٍ إلا يُولَدُ على الفطرَةِ فأبوَاهُ يُهَوِّدانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أوْ يُمَجِّسانِهِ * رواه البخاري

(٢) عن عطاء بن مِيناءَ عن أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عنْهُمْ أنَّهُ قالَ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابنُ مريَمَ حكَماً عادلاً فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّليبَ ولَيَقْتُلنَّ الخنْزِيرَ ولَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ ولَتَتركَنَّ القِلاصُ فلا يُسْعَى عليها ولَتَذْهَبَنَّ الشَّحناءُ والتَّباغُضُ والتَّحاسُدُ ولَيَدْعُوَنَّ إلى المالِ فَلا يَقْبلُه أحدٌ * رواه مسلم

(٣) عن جابرِ بن عبدالله قال سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول (لا تزال طائِفةٌ مِنْ أُمتي يُقاتِلونَ على الحق ظاهرِينَ إلى يَوْمِ القِيامةِ قال فيَنزِلُ عيسى بنُ مريمَ ﷺ فيقولُ أَميرُهُمْ تَعالَ صلِّ لَنا فيقولُ لا إنَّ بَعضَكُمْ على بعضٍ أُمرَاءُ تَكرِمةُ اللهِ هذه الأُمةِ * رواه مسلم

البعض لانها وردت في معنى خاص هو ماذكرناه من علم الغيب والقوة الخارقة للعادة فالملائكة في هذين أبرز وأظهر في التفوق على عيسى عليه السلام ثم قال الله (ومن يستنكف عن عبادته و يستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) وهو تهديد كبير والمعنى أنه يحشر الناس كلهم المطيع والمستكبر و بهذا تبين الاجمال في هذه الآية وقد فصله الله بعد ذلك بقوله (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) ثم خاطبهم معمما في

﴿ قال الراجي عفو ربه ﴾

الحمد لله الذى لم يتخذ * ولداً ولم يولد ولا كفوٌ له

وتقدست عن كل شبهٍ ذاته * جل الذى عرف الورى إفضاله

فاعبده لا تشرك به شيئاً وكن * متذكراً احسانه وعقابه

الشرك كالالحاد كفر بالذى * فطر السما والخلق طرا وحده

خَلقُ الخلائق آية لوجوده * كل له أجل مسمى عنده

ما كان شيء في الوجود وإنما * كان الاله ولم يزل سبحانه

أحيا جميع الخلق ثم يميتهم * ويعيدهم حقا فصدق بعثه

وعدا عليه اعادة الخلق الذى * أحياه فى الدنيا ليقضى بينه

فهو القدير وما قدير مثله * فالكون أنشأه وأبدع خلقه

مامن شفيع عنده الا اذا * أذن الاله له ونال رضاءه

وله يسبح كل شيء فى الورى * تعسا لمن يدعو إلها غيره

وقل اعملوا سيرى الاله فعالكم * كل يرى ماقدر المولى له

أثر الحياة لكل شخص فعله * وبه الشقاء أو السعادة بعده

الخطاب فقال (ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) البرهان الحجة يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم والمراد بالنور فى قوله (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) القرآن ثم قال (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) أى بدينه (فسيدخلهم فى رحمة منه) وهي الجنة (وفضل) وهو مايتفضل الله به عليهم مما لاعين رأت ولا أذن سمعت (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) فى الدنيا والصراط هو الدين الحنيف وقيل المراد بالرحمة والفضل اللذات الحسية الباقية و بالهداية اللذات الروحانية الدائمة وحذف الشق الاخر وهو الذين كفروا ولم يعتصموا بالله

فتزودوا بالبر والتقوى معا * وتذكروا أمر الاله ونهيه
فمن اهتدى فله النعيم مثوبة * ومن افترى فله الجحيم جزاءه
إن الغرور بغيه يُغويكمو * لينالكم شرٌّ كما قد ناله
والله يحفظ عبده دوما اذا * ما كان ذاك العبد يحفظ ربه
ياعابدا عيسى بن مريم قل لنا * هلا عبدت أباه آدم قبله
ان كان من روح الاله قد ابتدا * حقا ولم يمسس رجال أمه
فانظر لآدم انه أيضا نشا * من روحه بدأ وكان صفيه
سويته قال الاله وفيه من * روحى نفخت بذا أتم بناءه
سجدت له الاملاك ياأهل الحجا * فلم التغالى فى ابن مريم وحده
عيسى بن ام قد نشا بولادة * وأبوه(١) لم يولد فكيف عبدته
وكذلك حوا أخرجت من آدم * فبأى شىء قل لنا ميزته
فالله فاعبد وحده دوما ولا * تشرك به عيسى ولا مادونه
من يشرك المخلوق بالمولى يجد * نار الجحيم جزاءه وخلوده

الخ لانه معروف من الشق الأول والله سبحانه وتعالى أعلم

قال الله تعالى

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) وهذا قول اليعقوبية القائلين أن مريم ولدت إلها ولعل مرادهم أنه تعالى حل فى ذات عيسى أو اتحد به ثم حكى عن المسيح ماحكى ليكون حجة قاطعة على فساد مااعتقدوا فيه وذلك أنه لم يفرق بين نفسه وبين غيره فى المربوبية وفى ظهور دلائل

(١) أى آدم

اني نصحتك لا تكن متعنتا * وارجع لدين الحق واتبع سبله
سمع وعقل لا لدين عنده * لكن لدنياه يخصص سعيه
بالرفق فانصح لا تكن متشددا * والله يهدى من يشاء صلاحه
تنويع خلق الله من آياته * ودليل قدرته فعظم قدره
اذ ليس شيء مثله وهو الذى * خلق الخلائق كلها سبحانه
فتفكروا فى صنعه وتأملوا * إبداعه حقا تروا توحيده
فمن التراب بدا بآدم نشأة * وأتى بحوا لا بأم بعده
وأتى بعيسى نشأة من أمه * لا من أب نعم المصور خلقه
تلك الثلاثة من عجائب خلقه * وسواهمو من والدين ترونه
والكل يفنى ثم يبعث ثانيا * فهو القدير تدبروا قرآنه

الحدوث عليه ثم أكد ذلك المعنى بقوله (إنه من يشرك بالله) أى فى العبادة أو فى تجويز الحلول والاتحاد أو فى اجراء وصفه فى المخلوقين أو بالعكس (فقد حرم الله عليه الجنة) التى هي دار الموحدين أى منعه منها (ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) من كلام الله تعالى أو من حكاية قول عيسى عليه السلام لهم وفيه تعريض لهم لانهم كانوا يعتقدون أن لهم أنصارا كثيرين فيما يقولون و يعتقدون فنفى الله تعالي أو عيسى ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه

قال المفسرون (ثالث ثلاثة) معناه ثالث آلهة ثلاثة ليلزم الكفر وإلا فما من شيئين والا والله ثالثهما يحكى أن النصارى يقولون أب وابن وروح قدس والثلاثة إله واحد كما ان الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة قالوا إن الكلمة التى هى كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر وزعموا أن الاب إله واحد والابن

إذ أنه قانون أهل زمانه (١) * وبه انتهى حكم المنزل قبله
توراة موسى والزبور وغيره * قد أيدت قرآننا ونصوصه
اذ كلها نزلت لصالح خلقه * حسب الزمان وما يناسب أهله
كتب الأله بوحيه فاجزم بها * ان كنت تخشى بطشه وعقابه
اني موافيكم برأى المهتدى * منكم عسى أن تعقلوا أقواله
فى شرح هذا الوصل أبحاث له * دلت على كفر المخالف رأيه
واقرأ أناجيل المسيح تجد بها * قولا سديداً لابن مريم قاله
إن الاله الحكم رب الورى * وأنا عبيد الله جئت رسوله
وبآية من ربكم قد جئتكم * انى أنبئكم بما تخفونه
ببيوتكم ذخرا وإنى خالق * من طينكم طيرا وأنفخ روحه

إله واحد والروح إله واحد والكل إله واحد واعلم أن هذا الزعم معلوم البطلان بالبديهة لأن الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة فلا جرم رد الله مقالتهم بقوله (ومامن إله إلا إله واحد) فزاد من الاستغراقية والمعنى ما إله قط فى الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثانى له ولا شريك ثم زجرهم بقوله (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا) قال الزجاج يعنى الذين أقاموا على هذا الدين لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية فمن في قوله (منهم) للتبعيض ويجوز أن تكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن أقيم الظاهر مقام المضمر تكريراً للشهادة عليهم بالكفر ورمزا إلى أنهم من الكفر بمكان حتى لو فسر الكفار المعذبون عنوا بذلك خاصة ومعنى (عذاب اليم) نوع شديد الألم من العذاب (أفلا يتوبون) قال الفراء أنه أمر بلفظ الاستفهام وفيه تعجيب من إصرارهم على

(١) وزمان القرآن من بدء نزوله الى يوم القيامة

فيكون طيرا في السماء باذنه * وكذاك أحيي ميتكم فترونه
وكذاك اكمه أبرئن وأبرصا * بمعونة المولى ترون شفاءه
هي معجزات أعجزت حكماءهم * لبلوغ علم الطب حقا حده
اذ كل معجزة أتت من مرسل * تأتي على صفة تناسب وقته
هذا نظام الله في ملكوته * حكم بدت فيها ترى تدبيره
للناس حتى لا يكون لهم على * مولاهمو من حجة سبحانه
ارساله رسلا لهم هو حجة * لله حقا فاحذرن وعيده
لاسيما يوم القيامة انه * يوم يرى الانسان فيه جزاءه
ويقول فيه الله ياعيسى فهل * قلت اعبدوني معي أمي دونه
فيقول عيسى ربنا ماقلته * ماقلت الا ما أردت مقاله

الكفر بعد الوعيد الشديد ثم أحتج على ابطال معتقدهم بقوله (ماالمسيح بن مريم إلا رسول) وهذا ترتيب في غاية الحسن لأنه منعهم من المكفر أولا ثم حثهم على الاسلام ثانيا ثم شرع في حل شبههم ثالثا ومن هنا قيل ان المرتد يستتاب بلا مهل ولا مناظرة إن عنت له شبهة بل يسلم أولا ثم تحل شبهته ثانيا والمعنى ماهو إلا رسول من جنس الرسل الماضين لا يتخطى الرسالة إلى الالوهية كما لم يتخطوا فان كان خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وإن أبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى إلى غير ذلك من آيات ربه الكبرى (وأمه صديقة) كبعض النساء المؤمنات بالانبياء الصادقات في اقوالهن وأفعالهن وأحوالهن قال تعالى في وصفها (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) أى من الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه وهم المجتهدون في اقامة مراسم العبودية ففيه تكذيب لليهود المفرطين في شأنها حيث نسبوها إلى الهنات وإلى الكذب

قلت اعبدوا ربى وربكم الذى * خلق الورى فيه ترون صنيعه

أنت الشهيد لما أتيت وما أتوا * هذا هو الحق الذى قد قاله

لا ينفع الانسان الا صدقه * يوم الجزا يبدى الأله بيانه

لكنهم زاغوا وقالوا انه * ولد الاله ويعبدون صليبه

الا قليلا صدقوا الانجيل فى * كون المسيح عبيده ورسوله

والاعجب الصلب الذى قالوا به * كيف ارتضوا صلب الاله وقتلة

بل كيف يرضى والد قتل ابنه * أم عنوة غلبوا لضعف عنده

أم فدية عن ذنب آدم حينما * أغرته حوا أن يخالف ربه

قد قاله عبد المسيح وانهم * من أجل ذا عبدوا المسيح وأمه

قالوا الاقانيم الثلاثة قدسوا * وعنوا أبا وابنا وقدسا روحه

في أن عيسى خلق من غير أب وفيه أن من كان له أم فقد حدث بعد ان لم يكن فكان مخلوقا لا إلها ثم أكد حدوثهما وعجزهما بقوله (كانا يأكلان الطعام) فان المحتاج إلى الاغتذاء سيحتاج إلى مايتبعه من الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر و برهان باهر على حدوثهما ودخولهما فى حيز الامكان ثم عجب من غاية غوايتهم فقال (انظر) يامحمد أوكل من له أهلية النظر (كيف نبين لهم الآيات) الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم أى تبصر هذه الحالة وتفكر فيها ومثله (ثم أنظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق يقال أفكه بالفتح يافكه بالكسر أفكا بالفتح والسكون صرفه عن الشيء ومنه الافك بالكسر الكذب لأنه مصروف عن الحق وأرض مأفوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخي والبون بين العجبين أى بينا لهم الآيات بيانا عجيبا ولكن إعراضهم عنها أعجب ثم الصارف عن تامل الحق هو الله أو العبد فيه خلاف مشهور بين الأشاعرة والمعتزلة وانت قد عرفت التحقيق

تلك الثلاثة واحد فى عرفهم * خلط ثلاثى رأوا تركيبه
لاهوتهم قد حل فى ناسوتهم * رؤيا رآها البعض قالوا وحيه
أضغاث أحلام عليها قد بنوا * دين المسيح وأولوا انجيله
وشروا به ثمنا قليلا ليتهم * فطنوا لدعوته وصانوا عهده
بل أفرطوا وتفرقوا فرقا ترى * من قومهم بعضا يكفر بعضه
فالبعض كاتوليك والبعض الذى * يدعى برو تستنت خالف غيره
فالارتدكس ومن ذكرنا أولا * كل له نهج ويبغض خصمه
غفرانهم مع الاعتراف وسيلة * كى يعرف الحكام مايجرونه
أهل الفساد بأرضهم وليأخذوا * تدبيرهم فيمايرون وجوبه
هى فكرة القسس الذين تمكنوا * فى شعبه قبلا وسادوا قومه

في ذلك فى الجزء الأول ثم أقام حجة أخرى على فساد قول النصارى فقال (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا) اي شيئاً لايستطيع أو الذى لايقدر على مثل مايضركم به الله من البليات والمصائب او ينفعكم به من الصحة والخصب بواسطة أو بغير واسطة بل لم يملك شيئا من ذلك لنفسه فأن اليهود كانوا يقعدونه بالسوء ولم يقدر على دفعهم ومن مذهب النصارى أن اليهود صلبوه ومزقوا أضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل فى منخريه وكان عليه السلام مصروف الهمة إلى عبادة الله ولو كان إلها كان معبوداً فقط لاعابدا (والله هو السميع العليم) يسمع أباطيلهم و يعلم ضمائرهم ليجازيهم عليها وفيه من الوعيد مافيه وفى اية أخرى قبل هذه الآية فى نفس السورة يقول الله ردا على من قالوا (إن الله هو المسيح ابن مريم) (قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا) وهي أقوى حجة فى الرد على ادعاءاتهم الساقطة الكاذبة وأقام الدليل على

قدأوهموا تلك الشعوب بأنهم * نوّاب ربهمو وحازوا أمره

كم مرة غفروا وباعوا جنة * وبهااشتروا نزل الجحيم وناره

قد كان ذا فى الجاهلية قبلما * تتنور الأفكار فاعلم وقته

واحذر دسيسة الاعتراف وتب إلى * مولاك ان أذنبت واطلب عفوه

عمل حرام خلوة القسيس مع * نوع النسا ما لم تكن أزواجه

رهبانهم والراهبات أصابهم * ماحرم المولى عليهم فعله

فالبعض منهم راهب لكنه * حال الهوى تلقاه يتبع غيه

فاذا ابتليت بسيء فكن الذى * يبكى على اهماله احسانه

يمحو الاله السيئات كما أتى * فى الاى بالحسنات فاتل كتابه(١)

واستغفر الله القدير مخافة * من ان ترى يوم الجزاء عقابه

عظيم قدرته واستطاعته تنفيذ هذا التهديد بقوله (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير)

(١) فى الحديث الاول بين النبى صلى الله عليه وسلم ان كل مولود يولد على الفطرة وهي التوحيد الذى تشهد به العقول السديدة الرشيدة و ينتصر له العلم الصحيح أما الشرك ومنه ادعاؤهم ان المسيح بن الله والعزير بن الله ومنه المجوسية فهذا أمر طارئ على الفطرة تقلده المولود تقليداً وتكلفه تكليفا بحكم الوسط والبيئة بخلاف التوحيد فهوالأصل ولذا ترى أن كثيرين من المخالفين له يرجعون اليه بحكم فطرتهم إذا تخلصوا من اغلال الوسط والتقليد وتحرروا من قيود التأثير نعم ترى كثيرين من المسيحين واليهود واللادينيين أصلا يعودون إلي عقيدة الفطرة التى فطر الله الناس عليها مصداق قوله تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) والبعض يعلن هدايته

---

(١) يشير الى قوله تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات)

هو غافر الذنب العظيم وقابل * للتوب حقا فاستبق غفرانه
إذ لا غفور سوى الذى خلق الورى * فاعبده واصبر واستمع قرآنه
كفر الذى قال الإله ثلاثة * أو واحد منهم لحقر قوله
وأشدهم كفراً من استمع الهدى * ويظل بعد العلم يتبع غيه
واذا قرأت عليه من قرآننا * ولى كان لم يستمع الفاظه
والبعض منهم يقرأ القرآن لا * قصد التدين بل ليصلح نطقه
كتب الهدى دلت على توحيده * مالى أراهم أنكروا توحيده
نكر غريب لا يسلم أمره * عقل سليم فاعتقد بطلانه
واعلم بأن الله رب واحد * والمرسلون تراهمو عباده
منا على عيسى السلام وأمه * وعلى الحواريين اعنى صحبه

وانضواءه تحت راية الاسلام والبعض يكتفى بالوصول إلى الحقيقة لا يهمه إلا اعلان المبادئ الحقة وهذا الاعلان يشهد بانضمامه لجيش الحنيفة السمحاء و إن لم يصرح بهذا الانضمام أما رجوع الشخص عن دين الفطرة إلى غيره فرغم ندرته لا يكون إلا لأسباب لا تعلق لها بنفس الدين أرأيت كيف سأل هرقل ابا سفيان فقال له هل يرتد احد سخطة لدينه قال ابو سفيان لا ففسر هرقل هذا بأن الايمان إذا خالطت بشاشته القلوب تمكنت واستولت عليها (فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) وقوله صلى الله عليه وسلم (فأبواه يهودانه الخ) معناه ظاهر ولعلماء التربية وعلماء النفس فى تفسير هذا آراء مختلفة مبنية على خلافهم فى امر الاخلاق والصفات وهل هى وراثية أو غير وراثية فراجع كتبهم إن شئت وقد فسرنا الحديث بما يتفق مع الواقع والواقع خير شاهد لصحة ماقلناه والله أعلم

ولدته مريم فى الخلا وأتت به * قوما لها قد دنسوا ميلاده

قالوا لها يا أخت هارون الذى * جئتيه شيء منكر ياقبحه

فابوك لم يك أهل سوء مطلقا * وعفاف أمك فائق أمثاله

رمزت اليه فقال انى عبده * اتانى الله الكتاب وحكمه

برا بوالدتى ومبعوثا لكم * من عند ربي كى أبلغ شرعه

مادمت حياً فيكمو وعلى من * ربى السلام تكرماً سبحانه

فتعجبوا لكلامه في مهده * والله أنطقه وبرأ أمه

لما استوى عيسى أتاهم بالهدى * والمعجزات كما رأيت بيانه

ياعالما حال الضعيف وعجزه * كن عونه واشدد الهى أزره

سبحان ربى فهو رب قادر * والكل مفتقر ويطلب عونه

---

(٢) وفى الحديث الثانى اقسم صلى الله عليه وسلم ان عيسى لينزلن وذلك فى آخر الزمان قرب الساعة وأنه سيكون (حكما عادلا) فينشر العدل ويسود السلام بين العباد وتكثر الخيرات فمن مظاهر العدل والسلام ذهاب الشحناء والتباغض والتحاسد ومن مظاهر كثرة الخيرات ان القلاص وهى الابل تبرك فلا يذهب اليها أحد لاقتنائها بل تأكل من أعشاب الارض لا يرغب فيها أحد وأيضا يكثر المال وتدعى الناس لأخذه فلا يقبله أحد وتكون السجدة الواحدة عندهم خيرا من الدنيا ومافيها لاقبالهم على العبادة و زهدهم فى الدنيا كما فى بعض الروايات

واعلم أن نزول عيسى عليه السلام ليس معناه نسخ هذه الشريعة واتيانه بشرع جديد كلا فهو خليفة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحاكم من حكام هذه الأمة العادلين ولذلك يكسر الصليب الذى اخترعه المسيحيون وعظموه ويقتل الخنزير وكسر الصليب دليل كذبهم وكذب اليهود فى مسألة الصلب وكذلك

عيسى ومريم يأكلون كغيرهم * كل الطعام ويرزقون حلاله
والله قدوس كذا صمد(١) غني * واليه يصمد(٢) من يريد نواله
جل الأله عن النظير فلم يلد * حقا ولم يولد ولا كفؤ له
متكفل بالخلق طرا ربنا * كل ينال بفضله ماشاءه
عيسى ينام ولم ينم ربى ولو * نام الأله فمن يدبر ملكه
إن كنت تجهل شأن ربك فاستقم * وانظر لما فى الكون تعلم صنعه
لافضل بين الناس الا بالتقى * من يتق المولى ينل مرضاته
ومن التهى بالغى عن سبل الهدى * فله العذاب بلهوه ياويله
لما احس الكفر عيسى منهمو * قال الحواريون اعنى صحبه
نحن الذين يصدقون بربهم * وبكون عيسى عبده ونبيه

يضع الجزية فلا يقبلها وذلك لكثرة المال وحينئذ لا يقبل من أهل الكتاب الا الاسلام وإلا فالقتل

(٣) وفي الحديث الثالث يقول الرسول ﷺ (لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين) أى منصورين (إلى يوم القيامة) ثم قال فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول اميرهم أى أمير أمته لعيسى عليه السلام (تعال صل لنا) إماما فيقول عيسى عليه السلام (لا إن بعضكم على بعض أمراء) وقوله (تكرمة هذه الأمة) يحتمل أن يكون من كلام رسول الله ﷺ ويحتمل أن يكون من كلام عيسى عليه السلام شهادة لهذه الأمة بالكرامة والفضل وهذا دليل على ان شرعنا لا ينسخ بنزول عيسى عليه السلام وأنه إنما يدعو بدعاية الاسلام ويهدى بهديه نائبا عن نبينا ﷺ

---

(١) لا يأكل ولا يشرب (٢) يقصد فى الحوائج

فاشهد بانا مسلمون لربنا * والله يعلم مانقول وصدقه
فاكتب لنا تلك الشهادة ربنا * وامنن علينا بالرضا ياأهله
غضب الاله على اليهود لأنهم * قد كذبوا عيسى المسيح وأمه
نسبوا لها مالا يليق بقدرها * فخياتهم أن لامساس ونحوه
زعم اليهود بانهم صلبوه ما * صلبوه بل صلبوا الذى قد خانه
القى الاله على يهوذا(١) شبهه * والى السماء رفع المسيح نبيه
مكروا ومكر الله غالب مكرهم * قد خاب من خان المسيح وباعه
بالاسخر وطى حاق سيئ مكره * فالصلب كان نصيبه ياخزيه
سخروا به جهلا وساموه الاذى * ظنوه عيسى لا يهوذا نفسه
ياناصبا للشر فخاً فاستمع * فلصيد نفسك قد نصبت حباله

ومما يدل من القرآن على نزول عيسى على سبيل الاشارة قوله تعالى(و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته و يوم القيامة يكون عليهم شهيداً) والمراد بصدر هذه الآية أن اليهود والنصارى الذين يكونون فى زمان نزوله يؤمنون بانه عبد الله ونبيه وذلك قبل أن يموت و يدفن فى الارض فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الانبياء اخوة لعلات (٢) أمهاتهم شتى ودينهم واحد و إنى أولى الناس بعيسى بن مريم لانه لم يكن بينى و بينه نبى و إنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع(٣) الخلق إلى الحمرة والبياض سبط (٤) الشعر كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل

(١) هو يهوذا الاسخروطى أحد تلاميذ عيسى عليه السلام وسيأتى الكلام عليه مفصلا

(٢) قوله اخوة لعلات يفسره ما بعده أى أمهاتهم متعددة وأبوهم واحد والمراد بالاب الدين (٣) اى متوسط لا هو بالطويل ولا بالقصير (٤) ناعم

إن شئت حفظك من شرور الخلق لا. تعمل سوى خير وحاذر غيره
وسيبعث الله ابن مريم ثانيا * حكما وعدلا ناصراً أحكامه
فَيُكَسِّرُ الصلبان والخنزير بل * ويقيم شرع الله أعنى دينه
دين النبى محمد ياليتنى * فيه اتخذت مع الرسول سبيله
سيقوله يوم القيامة من أبى * لما يرى وعد الاله وصدقه
عيسى سينزل بالهدى من بعدما * تأتى العلامات المخيفة قبله
هذا اعتقاد المسلمين فلا تكن * متغاليا فى المدح واحذر ذمه
وابنُ النصارى واليهود كغيره * ياتى كما فطر الأله عباده
مستسلمين على السذاجة فطرة * فانظر حديث المصطفى وبيانه
حتى يُعمده أبوه وأمه * كل يُنصر أو يُهوِّد وُلده

بين ممصرتين (١) فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويقاتل الناس على الاسلام حتى يُهلك الله فى زمانه الملل كلها غير الاسلام ويهلك الله فى زمانه مسيح (٢) الضلالة الكذاب الدجال وتقع الأمنة (٣) فى الارض فى زمانه حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الغلمان والصبيان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث فى الارض ماشاء الله وربما قال أربعين سنة ثم يُتوفى ويُصلى عليه المسلمون ويدفنونه) اه

وقد سبق فى شرح الاحاديث الماضية مايستفاد منه معنى هذا الحديث كما سبق أن نزول عيسى عليه السلام وحكمه بين الناس إنما يكون بالنيابة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يلزم من هذا عزل عيسى عليه السلام عن النبوة كما

(١) لعل المعنى ينزل بين مصرين أى بلدين كبيرين
(٢) سمى مسيحا لانه يمسح الارض كلها ماعدا مكة والمدينة كما سيأتى وقيل غير ذلك (٣) الأمن والطمأنينة

قال اليهود عزيزٌ بن الله قد * زعموا كمن زعم المسيح بُنيَّه
فانظر سخافتهم وقبح فعالهم * فكلاهمو بالكفر أغضب ربه
عبد اليهود العجل لما أشربوا * بقلوبهم ذاك البهيم وحبه
هارون قال لهم فُتنتم فارجعوا * لله فهو الحكم سبحانه
وعليه ظلوا عاكفين بجهلهم * حتى أتى موسى الكليمُ فلامه
وبرأسه أخذ الكليم يجره * غضبا عليه لنقضهم ميثاقه
قال بن أم استضعفونى بينهم * وأراد قتلى بعضهم ياويله
لا تشمت الاعداء فينا وارتقب * نصر الاله وسل لنا غفرانه
فهناك خاطب زاجراً للسامرى * لما رأى العجل المعظم بعده
ماخطبك اذكر مافعلت أجابه * أنشأت جسما من حُلى مثله

فهم بعض المتكلمين لان نبوته ثابتة من قبل وليس فى عمله بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم مساس بمقامه عليه السلام إذ أن جميع الانبياء من لدن آدم إلى عيسى عليهم السلام نواب عنه لقوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) سورة آل عمران

قال بعض المفسرين المراد بالرسول فى هذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم وفى هذا المعنى يقول البوصيرى

وكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها * يُظهرن أنوارها للناس في الظلم

وقال بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) إن المراد أن الكتابى يهوديا كان أو نصرانيا لا يموت حتى يؤمن

ونبذت من اثر الرسول بقبضتي * في ذا فصار له الخوار كأنه
عجل فظنوه الاله وهكذا * لي سولت نفسي المسيئة فعله
قال اذهبوا لنحرقن الهكم * ولننسفن رماده وترونه
ولكم عقاب في الحياة معجل * هو لا مساس شعاركم ياخزيه
فترى اليهودى قاله سرا هنا * في كل يوم حين يذكر ورده
لكنه في القدس أيضا قاله * جهرا فزر تغنم وتسمع ذكره
هذا ملخص ماجرى للسامرى * فارجع لقصته تجد تفصيله
قد حرموا أخذ الربا من بعضهم * ومن السوى قد حللوه وأكله
ياليتهم قد عمموا تحريمه * ما كنت تبصر في البلاد فساده
لكنهم راموا لأنفسهم وما * راموا لنا ذا الامر فاحذر شره

بان عيسى عبد الله ونبيه وبهذا فسرها ابن عباس فقال له عكرمة فان أتاه (اى الكتابى) رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتي يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتي يؤمن به وعن شهر بن حوشب انه قال قال لى الحجاج (آية ماقرأتها إلا تخالج في نفسى شيء منها) يعنى هذه الآية المتقدمة وقال (إنى يؤتي إلىّ بالاسير من اليهود او النصارى فأضرب عنقه فلاأسمع منه ذلك) فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا ياعدو الله أتاك عيسي فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد ونبي وتقول للنصرانى أتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله أو ابن الله فيؤمن به ويقول انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان الحجاج متكئا فاستوى جالسا ونظر إلىّ وقال (عمن نقلت) قلت حدثني

كم من بيوت خربت بدخوله * فيها وذاقت ذله وهمومه
فاذا رأيت ممتعا من كسبه * فاعلم بأن الله ضاعف ذنبه
عُبَّاد عجل ليتكم لم تخلقوا * كنتم ارحتم نفسكم وعباده
فإلى متى هذا التمادى فى العمى * والحق لا يخفى فسيروا خلفه
فعليهمو غضب الاله لكفرهم * بكتابهم وبما اتاهم بعده
هلا انتهوا عن كل ماهو منكر * ولربهم تابوا ووفوا عهده
هلا يخافون اللظى ولهيبه * فهو الجزاء لمن يخالف ربه
لكن أضل الله قوما قدرأوا * فعل القبيح هو الجميل جميعه
هيأت وصلا للربا مستوفيا * فيما سيأتى فانظروا تبيانه
فحوادث الازمان تأتى طبق ما * يحكى لنا القرآن فاعلم صدقه

محمد بن على بن الحنفية (١) فأخذ ينكت الارض بقضيب ثم قال(لقد أخذتها من عين صافية او من معدنها) وأما قوله (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فمعناه أنه يشهد على اليهود بانهم كذبوه ففرطوا فى جانبه وعلى النصارى بانهم أفرطوا حيث زعموا أنه ابن الله او الله او ثالث ثلاثة *

وقد ورد فى القرآن الشريف نص هذه الشهادة قال الله تعالى فى سورة المائدة (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر

(١) هو أخو الحسن والحسين رضي الله عنهما لابيهما على بن أبى طالب كرم الله وجهه *

توراتهم نسخت ولكن كلهم * متمسكون بشرعها مع أنه
قد حرفوا بعض النصوص برأيهم * وكذلك الانجيل فافهم سرهٔ
ماإن سوى الفرقان أى قرآننا * باقٍ على التنزيل فاسمع قوله
اذقال عيسى يا بنى يعقوب(١)ها* انى رسول الله احمل امره
قد جئتكم بالبينات وبالهدى * لمن اتقى ربى وخاف عقابه
ومبشراً برسوله يأتيكمو * بعدى يسمى احمدا وحبيبه
يهديكمو للحق فى عيسى وفى * كل الامور فصدقوا أقواله
يدعى (ببارقليط)(٢) فى انجيلهم *انجيل (برنابه) لقدذكر اسمه(٣)
فيه البشارة بالنبى وشرعه * بصريح قول لم يغير نعته
سفر يُفَنِّدُ كل مااعتقدوا وما * جاء المسيح به أبان دليله

لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير)

قال بعض المفسرين إن قول الله لعيسى هذا الكلام يكون يوم القيامة بدليل قوله سبحانه وتعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم الخ)

ولا يعترض باستعمال (إذ) التي هى ظرف للماضي فى هذه الجملة لانه للحكاية ولا يعترض أيضا على الآية بأنه ليس هناك من النصارى من يقول بالوهية عيسى ومريم معا لان حالهم يؤخذ منه ادعاء الوهية مريم وإن لم ينطقوا بذلك لانهم كانوا يعتقدون انها خلقت الكرامات التي ظهرت على يديها

(١) هو اسرائيل على قول

(٢) هذا فى الطبعة الاولى وفى الثانية (الفار قليط) وفى الثالثة (المعزى)

(٣) وهو محمد كما سيأتى بيانه

قد بدلوه بظلمهم ويل لمن * لم يتبع القول السديد ونهجه
صنفان أعداء المسيح اذكرهما * نصران عظمه دعاه الهه
أما اليهود فحقروه وأمه * وكلاهما يوم الجزا خصم له
أهل الكتاب جميعهم لم يؤمنوا * الا لتابع دينهم خذ سره(١)
في كل طائفة ترى برهانه * كل يؤيد دينه وكتابه
تجدون اقربهم لنا بمودة * قوم النصارى لا اليهود فأنه
قد جاء في القرآن نص عنهمو * فارجع لمائدة تجد تصريحه
وترى كثيرا منهمو قد اسلموا * وتبينوا الحق المبين ونفعه
للناس كلهمو نحب الخير هم * إخواننا أضحوا لآدم نسله
ان الذين بربهم قد أشركوا * لن يؤمنوا حتى يذوقوا ناره

أما ادعاء ألوهية عيسى فظاهر

وقوله (تعلم مافى نفسي ولا أعلم مافى نفسك) معناه تعلم معلوماتى ولا أعلم معلوماتك وذكر النفس فى جانب الله للمشاكلة وهو من البديع

وأنت ترى أيها القارىء كيف يتبرأ عيسى عليه السلام مما ادعوا عليه حيث يقول الله حكاية عنه (سبحانك مايكون لى أن قول ماليس لى بحق) وحيث يقول (ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم) وأما قوله (فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم) فسيأتى شرحه بتوسع فى مبحث خاص من المباحث التى سنذكرها عقب هذا الوصل

وقوله (أن تعذبهم فانهم عبادك)معناه ظاهر وأما قوله (وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم) فقد اعترض عليه بعضهم بانه كيف يجوز لعيسى ذكر الغفران لهم وهم كفار والدليل السمعى يدل على ان الله لا يغفر الكفر وأجيب بان غفران

(١) يشير إلى قوله تعالى (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) على تاويل

من يعبد الطاغوت أو عيسى كمن * عبد الهوى أو كابه أو عجله
والنار والاصنام والخلق الخفى(١) * والشمس والقمر المنير ونجمه
أو مثل ذلك كله لا تعبدوا * غير الذى خلق الخلائق وحده
فالكل حقا مشرك بالله فى * نار اللظى فيها يرى اشياعه
شر مكانا من اولئك من نسى * مولاه واتبع الهوى لا دينه
من لا يخاف الله لا تحفل به * الا وقلبك منكر أحواله
أيشيدون بكل ريع(٢) آية * هم يعبثون ولم يخافوا بأسه
ودع الاغانى واعتزل اهل الهوى * واسمع كلام الله واتبع رشده
ولذى النهى فى الاعتكاف فضيلة * والسعى فى الخيرات أفضل عنده
وتتبع الدين الحنيف موصل * لسعادة الدارين فاتبع اثره
ان اعتزال المرء للناس اهتدا * مالم يكن للخير يسعى جهده
دعنى وشأنى اننى راض به * يامن يرانى فى الزخارف دونه

الكفر لعله كان جائزاً فى شرعه او لعل عيسى طلب ذلك لمن تاب وآمن منهم وقوله (فانك انت العزيز الحكيم) معناه القادر على كل ما تريده والمنفذ له بحكمتك و بقية الآيات معناها ظاهر

وقال بعض المفسرين ان مناقشة الله عيسى كانت فى الدنيا بعد رفعه إلى السماء وعلى هذا القول يكون استعمال (إذ) في محله كما يكون طلب المغفرة لمن يتوب واضحا

وروى في مسند احمد عن جابر بن عبد الله قال (يخرج الدجال في خفقة (٣) من الدين وادبار (٤) من العلم وله اربعون ليلة يسيحها فى الارض إلى

(١) الجن وغيره (٢) الربع المكان المرتفع
(٣) اى قلة وضعف (٤) اي ذهاب

ماذا فعلت بزخرف فانٍ وما * اسلفت من خير تريد ثوابه

ماذا صنعت بكثرة المال الذى * أبقيت بعد الموت هل زكيته

هلا اشتريت به نعيما دائما * هلا تخاف حريقه وعذابه

عمر يمر زمانه كلحيظة * والموت يطلبنا لنسكن قبره

فيه نعيم أو جحيم حسبما * قدمت من عمل ترى آثاره

ان المتاب الى الاله لواجب * فى كل وقت فاطلبوا غفرانه

بالطيبات الصالحات فطهروا * قبل الممات نفوسكم لاوقته

بصلاتكم لله فى اوقاتها * وصلاتكم ارحامكم وعباده

أستغفر المعبود من عملى الذى * قدأشرك الوسواس فيه غيره

هذا بيان للهدى وبه الشفا * لصدور قوم يفقهون حديثه

ما كان ظنى أن أقول وانما * شاء الاله فقلت ماقد شاءه

آمنت بالله العظيم ورسله * جمعا كما أبدى الكتاب بيانه

ان قال ويرد كل ماء ومنهل (١) إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه وقامت الملائكة بابوابهما إلى ان قال ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء تمطر فيما يرى الناس ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس فيقول للناس ايها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب فيفر الناس إلى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم (٢) جهدا شديدا ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيأتى فى السحر (٣) فيقول ايها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث فينطلقون فاذا هم بعيسى فتقام الصلاة فيقال له تقدم ياروح الله فيقول ليتقدم

---

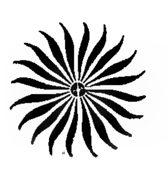
(١) الموضع الذى افيه الشرب

(٢) اى يتعبهم (٣) اى آخر الليل

من آدم حتى المسيح ومن أتى * ختما لهم اعنى النبى حبيبه
لا فرق عندى بينهم الا كما * قد بين القرآن فافهم نصه
قد خص أهل العزم منهم بالثنا * فاصبر كما صبروا تنل اكرامه
فعليهمو صلوات ربى دائما * رب رحيم مسبغ نعماءه
وعلى الكرام العاملين بشرعه * والشاكرين مع التقى آلاءه

إمامكم فليصل بكم فاذا صلوا صلاة الصبح خرجوا اليه فحين يراه الكذاب ينماع (١) كما ينماع الملح فى الماء فيقتله حتي ان الشجر والحجر ينادى ياروح الله هذا يهودى فلا يترك احدا ممن كان يتبعه الا قتله) وفي البخارى احاديث بهذا المعنى اه ذكره السيوطى

(١) اى يذوب



مباحث تتعلق بالموضوع

﴿ المبحث الاول ﴾

(فى الرد على اعتراض)

قد ظن بعض النصارى ان بين قوله تعالى على لسان عيسى (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) و بين قوله تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) تناقضا فقال ان الاية الاولى تفيد ان المسيح مات والثانية تفيد انه لم يمت

والجواب أن الآية الثانية لا تفيد أنه لم يمت لان نفى الصلب والقتل لا يستلزم نفى الموت فمن الجائز أنه لم يقتل ولم يصلب ومع ذلك يموت بمعنى ان الله يتوفاه بدون قتل ولا صلب ثم ان التوفى المذكور في الآية الاولى له معنيان حقيقى ومجازى فمعناه الحقيقى هو قبض الروح و يمكننا تفسير الآية بهذا المعنى بان نقول ان الله لما أراد رفعه اليه أماته أولا ثم رفعه إليه فلما وصل الى السماء أحياه ثانيا وانما فعل ذلك لئلا يحصل له فزع أو خوف حين رفعه ومعناه المجازى كثير فقد يكون بمعنى النوم أي أن الله رفعه اليه نائما لئلا يخاف حين رفعه ثم استيقظ وورد هذا المعنى فى قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها) و يكون غير ذلك فهذا ما وفقنا الله اليه فى هذا الباب والعلم لله على كل حال اه من الخلاصة البرهانية

وفى التفاسير حكاية القول المتقدم واقوال أخر منها ان معنى نتوفيك أي متوفى عمرك الذى تقضيه فى الدنيا اولا ثم رافعك الى حيا ومنها أن المعنى متوفيك بروحك وجسدك جميعا ومنها ان في الآية تقديما وتأخيرا والتقدير انى رافعك الى ومتوفيك بعد ذلك اذا نزلت الى الدنيا فى آخر الزمان مصداقا للاحاديث التي سقناها فى أول الوصل

﴿ المبحث الثانى ﴾

(فى إثبات تحريف التوراة والانجيل)

اعلم ان التحريف قسمان معنوى و لفظى وكلاهما حاصلان فى التوراة والانجيل الا ان النصارى لا ينازعوننا فى الاول ولذلك اردنا هنا ان نثبت الثانى الذى نازعونا فيه ولكن بغاية الاختصار لانه قد أثبته العلماء الاسلاميون في مطولات كبيرة منها كتاب اظهار الحق فان فيه ما يشفى العليل و يروى الغليل فنقول

(الشاهد الاول) قول متى ٢ ـ ١٥ (وكان هناك الى وفاة هيرودس لكى يتم

ماقيل من الرب بالنبي القائل ومن مصر دعوت ابنى) والمراد بالنبي القائل هو يوسع عليه السلام واشار الانجيلي الى الاية الاولى من الباب الحادى عشر من كتابه وهذا غلط لاعلاقة لهذه الآية بعيسي عليه السلام لانها هكذا (ان اسرائيل منذ كان طفلا أنا أحببته ومن مصر دعوت أولاده) كما فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ فهذه الآية في بيان الاحسان الذى فعله الله فى عهد موسى عليه السلام على بنى اسرائيل وحرف الانجيل صيغة الجمع بالمفرد وضمير الغائب بالمتكلم فقال ماقال وحرف لاتباعه مترجم العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ وغيره أيضا لكن لاتخفى خيانتهم على من طالع هذا الباب لانه وقع فى حق المدعوين بعد هذه الآية هكذا (كلما دعوا ولوا وجوههم وذبحوا للبعاليم وقربوا للاصنام) ولا تصدق هذه الامور على عيسى عليه السلام بل لاتصدق على اليهود الذين كانوا معاصريه ولا على الذين كانوا قبل ميلاده الى خمسمائة سنة لان اليهود كانوا قد تابوا عن عبادة الاوثان توبة جيدة قبل ميلاده عليه السلام بخمسمائة وست وثلاثين سنة بعد ما أطلقوا من أسر بابل ثم لم يحرموا حولها بعد تلك التوبة كما هو مصرح به فى التواريخ

(الشاهد الثانى) قول متي ٦ ١٣ (ولا تدخلنا فى تجربة بل نجنا من الشرير فان لك الملك والقدرة والمجد الى الابد آمين) وهذه الجملة * فان لك الملك والقدرة والمجد الي الابد * الحاقية وفرقة (رومن كاتلك) يحكمون بالحاقيتها جزما ولا توجد في الترجمة اللاطينية ولا فى ترجمة من تراجم هذه الفرقة فى اللسان الانكليزى وهذه الفرقة تلوم من الحقها وجعل لعبته هذه جزءا من كلام الرب غير مبال وردها ايضا محققوا فرقة بروتستنت فان كريسباخ وتستبين والمحققين الذين كانوا في علو رتبتها في التحقيق ردوها فعلى هذا ماترك المحرفون الصلاة المشهورة أيضا بدون تحريف فاذا كان تحريفهم أثر فى الصلاة المشهورة فما بالك بغيرها مما لم يكن مشهورا

(الشاهد الثالث) قول متى ١٢ * ٤٠ (لانه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان فى قلب الارض ثلاثة أيام

وثلاث ليال) و يونان هو يونس عليه السلام وهذا القول غلط صريخ وليس من كلام السيد المسيح لان المصلوب صلب قريبا من نصف النهار من يوم الجمعة المبارك كما يظهر ذلك من الاصحاح التاسع عشر من انجيل يوحنا ومات فى الساعة التاسعة وطلب يوسف جسده من بيلاطس وقت المساء فكفنه ودفنه كما صرح بذلك مرقس فى الاصحاح الخامس عشر من انجيله فكان دفنه فى ليلة السبت ومكث هذا الجسد فى القبر إلى قبيل الفجر من نهار الاحد كما صرح بذلك فى الاصحاح العشرين من انجيل يوحنا * إذا علمت هذا تعلم أن قوله يمكث فى قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال غلط يقينا فانه مامكث إلا يوما واحداً وليلتين على ماشهر به هذا الانجيل

(الشاهد الرابع) قول متى ٢٧ * ٩ (حينئذ تم ماقيل بارميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذى ثمنوه من بنى اسرائيل) وهذا غلط فان هذا القول لاوجود له فى كتاب أرميا أصلا بل لا يوجد هذا المضمون فى كتاب آخر من سائر كتب العهد القديم بهذه الالفاظ نعم يوجد فى العدد الثانى عشر من الاصحاح الحادى عشر من كتاب زكريا عليه السلام عبارة تناسب هذه العبارة لكن بين العبارتين فرق جلى ومع قطع النظر عن هذا الفرق لاعلاقة لعبارة كتاب زكريا عليه السلام بعبارة متى ومن راجع هاتين العبارتين وتاملهما يعلم حقيقة الامر وان ما نقله متى غلط يقينا وما قيل من ان اليهود كانت تسمي كتاب زكريا باسم أرميا ادعاء محض ومع ذلك فان متى لم يقل وحينئذ تم ماقيل بكتاب أرميا ولكن قال تم ماقيل بارميا النبي القائل وهذا نص صريح فى أن أرميا هو نفس القائل لاغيره وحينئذ لاوجه لتاويلهم وادعائهم الباطل*

(الشاهد الخامس) قول مرقس ١٦ * ١ و ٢ ان مريم المجدلية والنساء اللاتى كن معها أتين إلى قبر المصلوب حين طلعت الشمس وقول يوحنا ٢٠ * ١ إن مريم المجدلية أتت إلي القبر والظلام باق فتامل مابينهما من الاختلاف

(الشاهد السادس) قول مرقس ١٠ * ٤٦ وجاءوا الي اريحا وفيما هو خارج من اريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان بارتيماوس الأعمي جالساً على الطريق

يستعطي وقول لوقا ١٨ * ٣٥ ولما اقترب من أريحا كان أعمي جالساعلى الطريق يستعطي فبينهما اختلاف لان الاول يفيد أن المسيح وهو خارج من أريحا قابل الاعمى والثاني يفيد انه قابله لما اقترب من اريحا فتامل

(الشاهد السابع) : قول متى ٢ * ٢٣ وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكى يتم ماقيل بالانبياء انه سيدعى ناصريا وهذا غلط لانه لايوجد في كتاب من كتب الانبياء انه سيدعي ناصريا واليهود ينكرون هذا الخبر أشد الانكار لانهم يعتقدون أنه لم يقم نبي من الجليل المشتمل على مدينة الناصرة فضلا عن أن يقوم من الناصرة كما فى انجيل يوحنا ٧ * ٥٢ وقال علماء الكاتوليك أن هذا كان فى كتب الانبياء لكن اليهود ضيعوا هذه الكتب قصداً لعناد الدين المسيحى وهذا أيضا يثبت مقصودنا أن كتبا مقدسة قد فقدت قصداً للاغراض النفسانية ولعناد الملل الاخري

(الشاهد الثامن): قول مرقس ٢٥٠ فقال لهم أما قرأتم قط مافعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله فى أيام ابياثار رئيس الكهنة واكل خبز التقدمة الذى لايحل اكله إلا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضا وهذا غلط لان داود عليه السلام ماكان معه أحد بل كان منفرداً فقوله والذين معه غلط ولأن رئيس الكهنة في تلك الايام كان أخا ملك لا ابياثار وأما ابياثار فهو ابن اخي ملك فقوله في أيام ابياثار رئيس الكهنة غلط ويفهم كون هذين الأمرين غلطا من الباب الحادى والعشرين والثانى والعشرين من سفر صموئيل الاول

(الشاهد التاسع). قول بولس فى رسالته الاولى إلى أهل كورنتوس ١٥ * ٥ انه ظهر لصفا ثم للاثنى عشر وهو غلط لان يهوذا الاسخريوطى كان قد مات قبل هذا فما كان الحواريون إلا احد عشر ولذلك كتب مرقس فى الباب السادس عشر من انجيله انه ظهر لاحد عشر فتامل ومما تقدم ثبت عدة أمور

(١) إن النسخ الجديدة تخالف النسخ القديمة

(٢) ان النسخ التي عند النصارى تخالف التي عند اليهود

(٣) إن نسخ بعض فرق النصارى تخالف نسخ الفرق الاخرى
(٤) إن التحريف فى الزمن الاول كان سهلا جداً
(٥) ان أهل التثليث زادوا فى الانجيل ماليس فيه ليثبتوا عقيدتهم

فاذا سال سائل أين الانجيل الحقيقي وما سبب وجود أربع أناجيل لاشخاص مختلفة قلت ان الانجيل الذي نص القرآن الشريف على نزوله على المسيح ماهو الا عبارة عن الاحكام التى أوحيت الى المسيح عليه السلام ليبلغها للناس ليهتدوا بها وقد فعل ذلك فبلغ الناس ما أمر بتبليغه الا ان جميع ماقاله المسيح لم يكتب بل رواه الحواريون عنه للناس مشافهة فحفظ الخلق منه بعض أقوال أضافوا اليها مااستحسنوه من السير والقصص ونقصوا منها مالم يوافق أذواقهم وما زالت تنتقل هذه الروايات المختلفة من شخص الى آخر ومن زمن الى غيره حتى تشعبت وكتب منها أخيراً أناجيل شتى فاختارت الكنائس من ضمنها أربعة أناجيل جعلتها اصلية رسمية ومما تقدم تعلم أن المعتبر من هذه الاناجيل الاربعة هو أقوال المسيح من أمر بحكم او نهى عنه او موعظة او غير ذلك لاماضم اليها من القصص المختلفة وغيرها هذا اذا ثبت أن نسبة هذه الاناجيل الي الحواريين صحيحة وأنهم معصومون من الخطا فيما كتبوه وانه لم يقع فيها تحريف منذ كتبوها ودون ذلك خرط القتاد لانه قد ضاع سند هذه الكتب فلا يعلم أحد عنها على وجه التحقيق شيئا بل هم معتمدون على ظنونهم وان الظن لايغنى من الحق شيئا (والجواب) اذا عن السؤال المتقدم ان الانجيل قد ضاع كثير منه وما بقى لايعول عليه لاحتمال أن نسبته الى المسيح كذب او ذاله وقع فيه تحريف وتبديل وهذا ليس ببعيد لان التحريف كان في الزمن الاول سهلا جداً كما تقدم لقلة النسخ وقلة المطلعين عليها ولذلك وقع فيها من الغلط والاختلاف مالا يخفى وهب أنه لم يقع فيها تحريف فليس فيما قاله المسيح عليه السلام مايدل على عقائدهم الفاسدة بل فيه مايدل على فسادها كقوله عليه الصلاة والسلام فى انجيل يوحنا ١٧ * ٣ (وهذه هى الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته) فبين أن الحياة

الابدية هى أن يعرفوا انالله واحد وان المسيح رسوله ولم يقل ان الحياة الابدية ان يعرفوا ان ذاتك ثلاثة أقانيم وان عيسى إله وانسان او أنه إله مجسم وغير ذلك من العقائد الفاسدة فلو كاناعتقاد التثليث حقا لبينه ولو مرة واحدة فهذا الانجيل من أوله إلى آخره لايوجد فيه من قول المسيح عليه السلام مايدل على التثليث صراحة وما يظنه النصارى دليلا عليه يمكن تأويله بما يوافق العقل والنقل فتنبهوا أيها الغافلون فانكم عن الحق معرضون وعلى رب العزة ستعرضون فينبئكم بما كنتم تعملون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون اه من الخلاصة البرهانية بتصرف

﴿ انجيل برنابا ﴾

وننقل هنا بمناسبة التحريف مقدمة انجيل برنابا وهو أصح الاناجيل وبعض فصول منه قال مانصه :

﴿ المقدمة ﴾

نبي جديد مرسل من الله إلى العالم بحسب رواية برنابا رسوله

(١) برنابا رسول يسوع الناصرى المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الارض سلاما وعزا

(٢) أيها الاعزاء ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الايام الاخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى امر به الله دائما مجوزين كل لحم نجس الذين ضل في عدادهم ايضا بولس الذى لااتكلم عنه الا مع الاسى وهو السبب الذى لأجله اسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته اثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما اكتبه لتخلصوا خلاصا ابديا

وليكن الله العظيم معكم وليحرسكم من الشيطان ومن كل شر آمين اه

﴿ الفصل الحادي والتسعون ﴾

(١) وحدث في هذا الزمن اضطراب عظيم في اليهودية كلها لاجل يسوع

(٢) لان الجنود الرومانية أثارت بعمل الشيطان العبرانيين قائلين : ان يسوع هو الله قد جاء ليفتقدهم

(٣) فحدثت بسبب ذلك فتنة كبرى حتى ان اليهودية كلها تدججت بالسلاح مدة الاربعين يوما فقام الابن على الاب والاخ على الاخ

(٤) لان فريقا قال (ان يسوع هو الله قد جاء الي العالم)

(٥) وقال فريق آخر (كلا بل هو ابن الله)

(٦) وقال آخرون (كلا لانه ليس لله شبه بشري ولذلك لا يلد بل ان يسوع الناصري نبي الله

(٧) وقد نشأ هذا عن الآيات العظيمة التي فعلها يسوع

(٨) فترتب على رئيس الكهنة تسكينا للشعب ان يركب في مركب لابسا ثيابه الكهنوتية واسم الله القدوس التتغراماتن (١) على جبهته

(٩) وركب كذلك الحاكم بيلاطس وهيرودس

(١٠) فاجتمع في مزبه على أثر ذلك ثلاثة جيوش كل منها مائتا الف رجل متقلدي السيوف فكلمهم هيرودس اما هم فلم يسكنوا

(١١) ثم تكلم الحاكم ورئيس الكهنة قائلين (أيها الاخوة ان هذه الفتنة انما قد اثارها عمل الشيطان لان يسوع حي واليه يجب أن نذهب ونسأله أن يقدم شهادة عن نفسه وان نؤمن به بحسب كلمته

(١٢) فسكن لهذا ثائرهم كلهم ونزعوا سلاحهم وتعانقوا قائلا بعضهم لبعض (اغفر لي ايها الاخ)

(١٣) فعقد في ذلك اليوم كل واحد النية أن يؤمن بيسوع بحسب ماسيقول

(١٤) وقدم الحاكم ورئيس الكهنة جوائز كبرى لمن يأتي و يخبرهم اين يسوع

---

(١) اسم عظيم في بني اسرائيل

﴿ الفصل الثاني والتسعون ﴾

١ ففي هذا الزمن ذهبنا و يسوع إلى جبل سينا عملا بكلمة الملاك الطاهر ٢ وحفظ هناك يسوع الاربعين يوما مع تلاميذه ٣ فلما انقضت اقترب يسوع من نهر الاردن ليذهب الى اورشليم ٤ فرآه أحد الذين يؤمنون بان يسوع هو الله ٥ فصرخ من ثم باعظم سروره (إن إلهنا آت) ٦ ولما بلغ المدينة أثارها كلها قائلا (إن إلهنا آت يا أورشليم تهيأى لقبوله) ٧ وشهد انه رأى يسوع على مقربة من الاردن ٨ فخرج من المدينة كل أحد الصغير والكبير ليروا يسوع ٩ حتى أصبحت المدينة خالية لان النساء حملن أطفالهن على أذرعهن ونسين أن يأخذن معهن زاداً للاكل ١٠ فلما علم بهذا الحاكم ورئيس الكهنة خرجا راكبين وأرسلا رسولا إلى هيرودس ١١ فخرج هو أيضا راكبا ليرى يسوع تسكينا لفتنة الشعب ١٢ فنشدوه يومين فى البرية على مقربة من الاردن ١٣ وفى اليوم الثالث وجدوه وقت الظهيرة إذ كان يتطهر هو وتلاميذه للصلاة حسب كتاب موسى ١٤ فاندهل يسوع لما رأى الجم الغفير الذى غطى الارض بالقوم ١٥ وقال لتلاميذه (لعل الشيطان أحدث فتنة فى اليهودية)
١٦ لينزع الله من الشيطان السيطرة التى له على الخطاة ١٧ ولما قال هذا اقترب الجمهور ١٨ فلما عرفوه أخذوا يصرخون (مرحبا بك يا إلهنا) وأخذوا يسجدون له كما يسجدون لله ١٩ فتنفس يسوع الصعداء وقال (انصرفوا عنى أيها المجانين لانى أخشى أن تفتح الارض فاها وتبتلعنى و إياكم لكلامكم الممقوت) ٢٠ لذلك ارتاع الشعب وطفقوا يبكون

﴿ الفصل الثالث والتسعون ﴾

١ حينئذ رفع يسوع يده إيماء للصمت ٢ وقال (انكم لقد ضللتم ضلالا عظيما أيها الاسرائيليون لانكم دعوتمونى إلهكم وأنا إنسان)
٣ و إنى أخشى لهذا أن ينزل الله بالمدينة المقدسة وباء شديداً مسلما إياها للاستعباد

الغرباء ٤ ابن الشيطان الذى اغراكم بهذا الف لعنة ٥ ولما قال يسوع هذا صفع وجهه بكلتا كفيه ٦ فحدث على أثر ذلك نحيب شديد حتى لم يسمع أحد ماقال يسوع ٧ فرفع من ثم يده مرة اخرى ايماء للصمت

٨ ولما هدأ نحيب القوم تكلم مرة اخرى ٩ وأشهد امام السماء واشهد كل شيء على الارض انى برىء من كل ماقد قلتم ١٠ لانى إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله مكابد شقاء الاكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر ١١ لذلك متى جاء الله ليدين يكون كلامى كحسام يخترق كل من يؤمن بانى اعظم من انسان ١٢ ولما قال يسوع هذا رأى كوكبة من الفرسان فعلم من ثم أن الوالى مع هيرودس ورئيس الكهنة كانوا قادمين ١٣ فقال يسوع لعلهم هم قد صاروا مجانين ايضا ١٤ فلما وصل الوالى مع هيرودس ورئيس الكهنة الى هناك ترجلوا جميعا ١٥ واحاطوا بيسوع حتي ان الجنود لم يتمكنوا من دفع الجمهور الذين كانوا يودون ان يسمعوا يسوع يكلم الكاهن ١٦ فاقترب يسوع من الكاهن باحترام ولكن هذا كان يريد أن يسجد ليسوع ١٧ فصرخ يسوع حذار ماأنت فاعل ياكاهن الله الحي لاتخطىء إلى الله ١٨ أجاب الكاهن ان اليهودية قد اضطربت لآياتك وتعليمك حتى انهم يجاهرون بانك أنت الله فاضطررت بسبب الشعب إلى ان آتى إلى هنا مع الوالى الرومانى والملك هيرودس

١٩ فنرجوك من كل قلبنا ان ترضى بازالة الفتنة التى ثارت بسببك ٢٠ لان فريقا يقول إنك الله وآخر انك ابن الله ويقول فريق إنك نبي

٢١ أجاب يسوع وانت يارئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة ٢٢ هل جننت انت ايضاً ٢٣ هل أمست النبوات وشريعة الله نسيا منسياً أيتها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان

﴿ الفصل الرابع والتسعون ﴾

١ ولما قال يسوع هذا عاد فقال إنى أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن ...

على الارض أني بريء من كل ماقال الناس عني من أني اعظم من بشر ٢ لاني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله اعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام ٣ لعمر الله الذى تقف نفسي بحضرته إنك ايها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذى قلته ٤ ليلاطف الله بهذه المدينة المقدسة حتى لاتحل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة ٥ فقال حينئذ الكاهن ليغفر لنا الله اما انت فصل لاجلنا ٦ ثم قال الوالي وهيرودس ياسيد إنه لمن المحال ان يفعل بشر ماانت تفعله فلذلك لا نفقه ماتقول ٧ اجاب يسوع ان ماتقوله لصدق ان الله يفعل صلاحا بالانسان كما ان الشيطان يفعل شراً ٨ لان الانسان بمثابة حانوت من يدخله برضاه يشتغل و يبيع فيه ٩ ولكن قل لي ايها الوالي وانت ايها الملك انتما تقولان هذا لانكما اجنبيان عن شريعتنا لانكما لو قرأتما العهد وميثاق إلهنا لرأيتما ان موسى حول بعصاه البحر دما والغبار براغيث والندى زوبعة والنور ظلاما ١٠ ارسل الضفادع والجرذان(١) على مصر فغطت الارض وقتل الابكار وشق البحر واغرق فيه فرعون ولم افعل شيئاً من هذه ١٢ وكل يعترف بان موسى إنما هو الآن رجل ميت ١٣ اوقف يشوع الشمس وشق الاردن وهما مما لم افعله حتى الآن ١٤ وكل يعترف بان يشوع إنما هو الآن رجل ميت ١٥ وانزل ايليا النار من السماء عيانا وانزل المطر وهما مما لم افعله ١٦ وكل يعترف بان ايليا إنما هو بشر ١٧ كثيرون آخرون من الانبياء والاطهار واخلاء الله فعلوا بقوة الله اشياء لاتبلغ كنهها عقول الذين لايعرفون إلهنا القدير الرحيم المبارك الى الابد

﴿ الفصل الخامس والتسعون ﴾

١ وعليه فان الوالي والكاهن والملك توسلوا الى يسوع ان يرتقي مكانا مرتفعا ويكلم الشعب تسكينا لهم ٢ حينئذ ارتقى يسوع احد الحجارة

(١) نوع من الفيران

الاثنى عشر التي امر يشوع الاثنى عشر سبطا ان ياخذوها من وسط الأردن عند ماعبر اسرائيل من هناك دون ان تبتل احذيتهم ٣ وقال بصوت عال ليصعد كاهننا الى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامى ٤ فصعد من ثم الكاهن إلى هناك ٥ فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه (قد كتب فى عهد الله الحي وميثاقه ان ليس لالهنا بداية ولا يكون له نهاية) ٦ اجاب الكاهن لقد كتب هكذا هناك ٧ فقال يسوع (انه كتب هناك ان الهنا قدير كل شيء بكلمته فقط) ٨ فاجاب الكاهن انه لكذلك ٩ فقال يسوع و إنه مكتوب هناك ان الله لايرى وانه محجوب عن عقل الانسان لانه غير متجسد وغير مركب وغير متغير ١٠ فقال الكاهن انه لكذلك حقا ١١ فقال يسوع (انه مكتوب هناك كيف ان سماء السموات لاتسعه لان إلهنا غير محدود ١٢ فقال الكاهن (هكذا قال سليمان النبي يايسوع) ١٣ قال يسوع (إنه مكتوب هناك ان ليس لله حاجة لانه لايأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص) ١٤ قال الكاهن (انه لكذلك) ١٥ قال يسوع انه مكتوب هناك ان الهنا فى كل مكان وان لااله سواه الذى يضرب و يشفى و يفعل كل مايريد ١٦ قال الكاهن (هكذا كتب) ١٧ حينئذ رفع يسوع يديه وقال (أيها الرب إلهنا هذاهو ايمانى الذى آتى به إلى دينونتك شاهداً على كل من يؤمن بخلاف ذلك)

١٨ ثم التفت إلى الشعب وقال توبوا لانكم تعرفون خطيئتكم من كل ماقال الكاهن إنه مكتوب فى سفر موسي عهد الله إلى الابد ١٩ فأنى بشر منظور وكتلة من طين تمشى على الارض وفان كسائر البشر ٢٠ وأنه كان لى بداية وسيكون لي نهاية و إنى لاأقدر أن أبتدع خلق ذبابة

٢١ حينئذ رفع الشعب أصواتهم باكيين وقالوا : (لقد اخطأنا إليك ايها الرب إلهنا فارحمنا ٢٢ وتضرع كل منهم إلى يسوع ليصلى لاجل امن المدينة المقدسة لكيلا يدفعها الله فى غضبه لتدوسها الامم ٢٣ فرفع يسوع يديه وصلى لاجل المدينة المقدسة ولاجل شعب الله وكل يصرخ ليكن كذلك آمين)

﴿ الفصل السادس والتسعون ﴾

١ ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال (قف يايسوع لانه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكينا لامتنا) ٢ اجاب يسوع :(انا يسوع بن مريم من نسل داود بشر مائت ويخاف الله وأطلب أن لا يعطي الاكرام والمجد الا لله) ٣ أجاب الكاهن (أنه مكتوب في كتاب موسى ان إلهنا سيرسل لنا مسيا الذي سياتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله) ٤ لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق هل أنت مسيا الله الذي ننتظر ٥ أجاب يسوع : حقا ان الله وعد هكذا ولكني لست هو لانه خلق قبلي وسياتي بعدي ٦ أجاب الكاهن (اننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال انك نبي وقدوس الله ٧ لذلك ارجوك باسم اليهودية كلها واسرائيل ان تفيدنا حبا في الله بأية كيفية سيأتي مسيا) ٨ اجاب يسوع لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي اني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الارض كما وعد الله أبانا ابراهيم قائلا بنسلك ابارك كل قبائل الارض ٩ ولكن عند مايأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة اخرى هذه الفتنة الملعونة بان يحمل عادم التقوى على الاعتقاد باني الله وابن الله ١٠ فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا ١١ حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الاشياء لاجله ١٢ الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الاصنام وعبدة الاصنام ١٣ وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر ١٤ وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به ١٥ وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا

﴿ الفصل السابع والتسعون ﴾

١ ومع أني لست مستحقا ان احل سير حذائه قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه ٢ فاجاب حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين لا تزعج

نفسك يا يسوع قدوس الله لان هذه الفتنة لا تحدث فى زمننا مرة اخرى
٣ لاننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الرومانى المقدس باصدار أمر ملكى أن
لا احد يدعوك فيما بعد الله او ابن الله ٤ فقال حينئذ يسوع ان كلامكم
لا يعزينى لانه ياتى ظلام حيث ترجون النور ولكن تعزيتى هى فى مجيء
الرسول الذي سيبيد كل رأى كاذب فيّ ٥ وسيمتد دينه ويعم العالم باسره
لانه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم ٦ وأن مايعزينى هو أن لانهاية لدينه لان
الله سيحفظه صحيحاً ٧ أجاب الكاهن أياتى رسل آخرون بعد مجيء
رسول الله ٨ فاجاب يسوع لا ياتى بعده انبياء صادقون مرسلون من الله
٩ ولكن ياتى عدد غفير من الانبياء الكذبة وهو مايحزننى ١٠ لان
الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى انجيلى ١١ اجاب
هيرودس كيف ان مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل ١٢ اجاب
يسوع من العدل أن من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته
١٣ لذلك اقول لكم ان العالم كان يمتهن الانبياء الصادقين دائما واحب الكاذبين
كما يشاهد فى ايام ميشع وارميا لان الشبيه يحب شبيهه ١٤ فقال حينئذ
الكاهن ماذا يسمى مسيا وما هى العلامة التى تعلن مجيئه ١٥ اجاب
يسوع ان اسم مسيا عجيب لان الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها فى بهاء
سماوى ١٦ قال الله اصبر يا محمد لانى لاجلك اريد ان أخلق الجنة والعالم
وجما غفيراً من الخلائق التى أهبها لك حتى ان من يباركك يكون مباركا ومن
يلعنك يكون ملعوناً ١٧ ومتى ارسلتك إلى العالم أجعلك رسولى للخلاص
وتكون كلمتك صادقة حتى ان السماء والارض تهنان ولكن ايمانك لا يهن ابداً
١٨ ان اسمه المبارك محمد ١٩ حينئذ رفع الجمهور اصواتهم قائلين يا الله ارسل
لنا رسولك يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم

﴿ الفصل الثامن والتسعون ﴾

١ ولما قال هذا انصرف الجمهور مع الكاهن والوالي مع هيرودس وهم

يتحاجون في يسوع وتعليمه ٢ لذلك رغب الكاهن الى الوالى أن يكتب بالامر كله إلى رومية إلى مجلس الشيوخ ففعل الوالى كذلك ٣ لذلك تحنن مجلس الشيوخ على اسرائيل واصدر أمراً انه ينهى ويتوعد بالموت كل احد يدعو يسوع الناصرى نبي اليهود إلهاً او ابن الله ٤ فعلق هذا الامر في الهيكل منقوشاً على النحاس ٥ وبعد ان صرف الفريق الاكبر من الجمع بقى نحو خمسة ألاف رجل خلا النساء والاطفال ٦ لم يتمكنوا من الانصراف كالآخرين لان السفر أعياهم ولانهم لبثوا يومين بدون خبز إذ كانوا لشدة تشوقهم لرؤية يسوع نسوا ان يحضروا معهم شيئاً منه فكانوا يقتاتون بالعشب الاخضر ٧ فلما رأى يسوع هذا اخذته الشفقة عليهم وقال لفيلبس أين نجد خبزاً لهم لكيلا يهلكوا من الجوع ٨ اجاب فيلبس ياسيدى إن مئتى قطعة من الذهب لاتكفى لشراء ما يتبلغون به من الخبز ٩ حينئذ قال أندراوس هنا غلام معه خمسة ارغفة وسمكتان ولكن ماعسى ان تكون بين هذا العدد الجم ١٠ أجاب يسوع اجلس الجمع ١١ فجلسوا على الشعب خمسين خمسين واربعين اربعين ١٢ حينئذ قال يسوع باسم الله ١٣ واخذ الخبز وصلى لله ثم كسر الخبز وأعطاه للتلاميذ والتلاميذ اعطوه للجميع ١٤ وفعلوا كذلك بالسمكتين ١٥ فاكلوا كلهم وشبعوا ١٦ حينئذ قال يسوع اجمعوا الباقى ١٧ فجمعوا التلاميذ تلك الكسر فملأت اثنتي عشرة قفة ١٨ حينئذ وضع كل احد يده على عينيه قائلا (أمستيقظ انا ام حالم؟) ١٩ ولبثوا جميعهم مدة ساعة كأنهم مجانين بسبب الآية العظمى ٢٠ ثم بعد ان شكر يسوع لله صرفهم صرفهم ٢١ إلا اثنين وسبعين رجلا لم يشاءوا ان يتركوه ٢٢ فلما رأى يسوع ايمانهم اختارهم تلاميذ

﴿ الفصل التاسع والتسعون ﴾

١ ولما خلا يسوع بكهف في البرية في تيرو على مقربة من الاردن دعا

الاثنين والسبعين مع الاثنى عشر ٢ وبعد ان جلس على حجر اجلسهم بجانبه وفتح فاه متنفسا الصعداء وقال لقد رأينا اليوم اثما عظيما فى اليهودية وفى اسرائيل وهو إثم يخفق له قلبي فى صدرى من خشية الله ٣ الحق أقول لكم ان الله غيور على كرامته ويحب اسرائيل كعاشق ٤ وانتم تعلمون انه متى كلف شاب بامرأة لا تحبه بل تحب آخر ثار حنقه وقتل نده ٥ انى اقول لكم هكذا يفعل الله ٦ لانه متى ما احب اسرائيل شيئا بسببه نسى الله ابطل الله ذلك الشيء ٧ أي شيء احب الي الله هنا على الارض من الكهنوت والهيكل المقدس ومع هذا لما نسى الشعب الله فى زمن (ارميا) النبي وفاخروا بالهيكل فقط اذ لم يكن له نظير فى العالم كله اثار الله غضبه بواسطة نبوخذ نصر ملك بابل ومكنه وجيشه من المدينة المقدسة فاحرقها واحرق الهيكل المقدس ٩ حتى ان الاشياء المقدسة التي كانت انبياء الله يرتجفون من مسها ديست تحت اقدام الكفار المملوئين اثما ١٠ واحب ابراهيم ابنه اسماعيل اكثر قليلا مما ينبغى لذلك امر الله ابراهيم ان يذبح ابنه ليقتل المحبة الاثيمة فى قلبه وهو امر كان فعله لو قطعت المدية واحب داود ابشالوم حبا شديدا لذلك سمح الله ان يثور الابن على ابيه فتعلق بشعره وقتله يواب ١٢ ما ارهب حكم الله ان ابشالوم احب شعره أكثر من كل شيء فتحول حبلا علق به ١٣ واوشك ايوب البر ان يفرط في حب ابنائه السبعة وبناته الثلاث فدفعه الله الى يد الشيطان فلم يأخذ منه ابناءه وثروته في يوم واحد فقط بل ضربه أيضا بداء عضال حتى كانت الديدان تخرج من جسده مدة سبع سنين

١٤ واحب ابونا يعقوب ابنه يوسف اكثر من ابنائه الآخرين لذلك قضى الله ببيعه وجعل يعقوب يخدع من هؤلاء الابناء انفسهم حتى انه صدق ان الوحش افترس ابنه فلبث عشر سنوات نائحا

﴿ الفصل المائة ﴾

١ لعمر الله ايها الاخوان اني اخشى ان يغضب الله عليّ ٢ لذلك وجب عليكم ان تسيروا فى اليهودية واسرائيل مبشرين بالحق اسباط اسرائيل الاثنى عشر حتى ينكشف الخداع عنهم ٣ فاجاب التلاميذ خائفين باكين : (اننا لفاعلون كل ماتأمرنا به ٤ فقال حينئذ يسوع لنصلّ ولنصم ثلاثة ايام ومن الآن فصاعدا لنصل لله ثلاث مرات متى لاح النجم الاول كل ليلة اذ تؤدى الصلاة لله طالبين منه الرحمة ثلاث مرات لأن خطيئة اسرائيل تزيد على الخطايا الاخرى ثلاثة اضعاف ٥ اجاب التلاميذ (ليكن كذلك) فلما انتهى اليوم الثالث دعا يسوع فى صباح اليوم الرابع كل التلاميذ والرسل وقال لهم (يكفى ان يمكث معى برنابا ويوحنا ٧ اما انتم فجوبوا بلاد السامرة واليهودية واسرائيل كلها مبشرين بالتوبة لان الفأس موضوعة على مقربة من الشجرة لتقطعها وصلوا على المرضى لان الله قد سلطنى على كل مرض ٩ حينئذ قال من يكتب (يامعلم اذا سئل تلاميذك عن الطريقة التى يجب بها اظهار التوبة فبماذا يجيبون ١٠ اجاب يسوع اذا أضاع رجل كيسا أيدير عينه ليراه او يده ليأخذه او لسانه ليسأل فقط كلا ثم كلا بل يلتفت بكل جسمه ويستعمل كل قوة فى نفسه ليجده ١١ أصحيح هذا ؟ ١٢ فاجاب الذى يكتب (انه لصحيح كل الصحة)

﴿ تعليقات هامة ﴾

نقلنا الفصول المتقدمة من انجيل برنابا ليتبين للقارىء ان المسيحية الحقة والانجيل الصحيح يتفقان كل الاتفاق مع الدين الاسلامى وماجاء فى القرآن الشريف والسنة النبوية الكريمة فقد ادحض القرآن ادعاءآت النصارى على عيسى عليه السلام من الالوهية والقتل والصلب وغير ذلك

في الفصل ٩١ المتقدم ذكره في الآيات من ١ الي ٧ بيان كيف نشأت الفتنة

الكبرى التى جملت الابن يقوم على أبيه والاخ على أخيه لقتله بسبب مافعلته الجنود الرومانية من إثارة العبرانيين وقول بعضهم إن عيسى هو الله وقول فريق آخر انه ابن الله وقول فريق ثالث إنه نبي الله إذ ليس له شبه بشرى ولذا لا يرى

وفى الفصل ٩٢ فى الا يات ١٧ و ١٨ و ١٩ ردّ عيسى لكلامهم وانكاره أشد الانكار

وفى الفصل ٩٣ فى الآيات ١ إلى ١١ سرد عيسى الادلة الكافية على فساد اعتقادهم حيث قال (إننى برىء من كل ماقد قلتم لانى إنسان مولود من امرأة فانية بشرية ومُعرضة لحكم الله مكابد شقاء الاكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر

وفى الفصل ٩٤ فى الآيات ١ إلى ٤ كرر نفى اعتقادهم وأشهد على ذلك وبرأ نفسه من كل ماقالوا : وفى الفصل نفسه فى الآيات ٥ إلى ١٧ بين كيف ان الرسل قبله فعلوا أكثر مما فعل هو من المعجزات ولم يُدع أحدهم إلها حيث ان موسى حول بعصاه البحر دما والغبار براغيث والندى زوبعة والنور ظلاما وأرسل الضفادع والجرذان على مصر فغطت الارض وشق البحر وأغرق فيه فرعون وجنوده وأوقف يوشع الشمس وأنزل ايليا النار من السماء عيانا وأنزل المطر وكل شر

وفى الفصل ٩٥ فى الآيات ٤ إلى ٢٠ مناظرة عجيبة بين الكاهن وعيسى عليه السلام وفيها ترى كيف قال عيسى إنه مكتوب فى عهد الله أنه ليس له سبحانه وتعالى بداية ولا نهاية وانه قدير كل شىء بكلمته فقط وانه لا يُرى وانه محجوب عن عقل الانسان لانه غير متجسد وغير مركب وغير متغير وان سماء السموات لا تسعه لانه غير محدود ولانه لا يأكل ولا ينام ولا يعتريه نقص أما عيسى فبخلاف ذلك كله وقد صرح بانه لا يقدر أن يبتدع خلق ذبابة

وفى الفصل ٩٦ البشارة بنبينا محمد ﷺ حيث قال فى معرض البشارة به

ما نصه (ومع أني لست مستحقا أن أحل سير حذائه قد نلت نعمة و رحمة من الله لاراه) ومن هذه العبارة تعرف مقدار تواضع عيسى عليه السلام وفي آخر هذا الفصل تصريحه عليه السلام باسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وفي الفصل ١٠٠ في الآيتين ٦ و ٧ اختيار عيسى عليه السلام برنابا و يوحنا من بين جميع التلاميذ والرسل للمكث معه وهكذا جمع انجيل برنابا تعاليم المسيحية الصحيحة ولولا رعاية الاختصار لاثبتنا من فصوله الكثير المشتمل على رد مفتريات النصارى وابطالها ولذا نوصيك أيها القارىء الكريم بالاطلاع على هذا الانجيل الصحيح مكتفين بأن ندلك على المواضع المشتملة على الردود زيادة على ماتقدم

ففي الفصل ١٦٣ بشارة أخرى بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم باسمه الصريح

وفي الفصل ٢٠٥ بدء ظهور خيانة يهوذا الذي ألقى الله عليه شبه عيسى

وفي الفصل ٢٠٩ تصريح جبريل لمريم عليهما السلام بان الله سيحمي عيسى من خصومه

وفي الفصل ٢١٥ ذكر رفعه حيا بواسطة جبريل واخوانه الملائكة المقربين

وفي الفصلين ٢١٦ و ٢١٧ ذكر القاء الشبه على يهوذا وكيفية صلبه وقتله

وفي الفصل ٢١٨ ذكر اضطراب الناس وقولهم ان عيسى قتل ثم قام

وفي الفصل ٢١٩ ذكر استفهام والدته منه عن كيفية موته حيث كان قد نزل الى الارض لتراه

وفي الفصل ٢٢٠ إنه عانق والدته وقال انه لم يمت قط وان الله قد حفظه إلى قرب انقضاء العالم وكل هذا يوافق ماجاء في القرآن والاحاديث النبوية

وفي الفصل ٢٢١ وصية عيسى لبرنابا بكتابة الانجيل

وفي الفصل ٢٢٢ بيان كيف اختلفوا ثانيا وكيف فسد اعتقادهم وانهم خدعوا وفي جملتهم بولس هذا مارأينا اجماله ليتميز الحق من الباطل (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) ؏

﴿ تاريخ انجيل برنابا ﴾

هذا الانجيل كان موجوداً إلى القرن الخامس من الميلاد أى قبل ظهور النبي ﷺ وكان متداولا بين أبناء الملة المسيحية ومعمولا به عندهم إلى أن ظهر البابا جلاسيوس الاول فى القرن المذكور وحكم بتحريمه مع كثير من الاناجيل التى لم ترق فى نظره كما أشار الى ذلك الخورى نعمة الله اللبنانى فى أواخر الصفحة الخامسة والثلاثين من كتاب ذخيرة الالباب ترجمته المطبوع فى بيروت بالمطبعة العمومية الكاثوليكية سنة ١٨٨٢ ميلادية وقد ذكر زمن التحريم المذكور الكاتب المشهور جورجي أفندى زيدان مدير مجلة الهلال فى أول العدد العاشر من السنة الخامسة عشرة من السنة الخامسة عشرة من مجلته المذكورة بعد أن قال ما نصه (ويظن علماء الكتاب المقدس أنه (انجيل برنابا) مصطنع الفه بعض هراتقة المسيحيين فى القرون الاولى للميلاد أو محرف عن أصله لانه يخالف الاناجيل الاخر فى بعض القضايا المهمة اهـ

ونحن نقول ان هذا الظن باطل بالادلة القطعية عقلا ونقلا كما يظهر من اتفاقه مع القرآن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا



﴿ المبحث الثالث ﴾

(فى الرد على بعض ادعاءات المسيحيين)

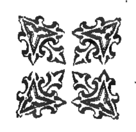
إن الذى حملنا على تحرير هذا ذيوع تلك العقيدة الفاسدة التى لا يقبلها العقل ولا تتفق مع النقل الصحيح بل ولا يشرف عيسى عليه السلام ذلك انهم ادعوا أن الاله سبحانه وتعالى ظهر متجسداً ومات مصلوباً برضاه وان ذلك تكفير

لخطيئة آدم الذى تاب عليه ورضى عنه واجتباه ونحن نقول ان ادعاء الحلول فى الجسد والصلب والموت قول باطل كما عرفت مما تقدم فى انجيل برنابا والدليل على بطلانه من الاناجيل التى بين أيديهم ماجاء فى انجيل يوحنا من العدد الثالث والخمسين إلى السابع والخمسين من الاصحاح الحادى عشر ونصه (فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه فلم يكن يسوع يمشى بين اليهود علانية بل يمضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها افرايم ومكث هناك مع تلاميذه وكان فصح اليهود قريبا فصعد كثيرون من الكورة الى أورشليم قبل الفصح ليطهروا أنفسهم فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم وهم واقفون فى الهيكل ماذا تظنون هل هو لايأتى إلى العيد وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمراً انه إذا عرف أحد اين هو فليدل عليه كى يمسكوه) وفى العدد الرابع عشر إلى السادس عشر من الاصحاح السادس والعشرين من انجيل متى مايفيد انيهوذا الاسخريوطى طلب الرشوة من رؤساء الكهنة فجعلوا له ثلاثين من الفضة لكى يدلهم عليه

وفى العدد السادس والثلاثين إلى التاسع والثلاثين من الاصحاح المذكور مانصه (حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضيعة يقال لها جثسيمانى فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا حتى أمضى وأصلى هناك ثم اخذ معه بطرس وابنى زبدا وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معى ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا ياأبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد انت) وذكر أيضاً فى العدد السادس والاربعين من الاصحاح السابع والعشرين مانصه (ونحو الساعة التاسعة خرج يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لم شبقتنى) أى إلهى إلهى لم تركتنى

ووجه الرد فيما سقناه من هذه النصوص انهم ادعوا أن عيسى بن الاله او الاله نفسه حل فى هذا الجسد وأنه صلب باختياره وقد رأيت اولا كيف حزن

واكتأب وثانيا كيف تمنى ان يرد الله عنه كاس المنون وثالثا كيف صرخ وقال إلهي إلهي لم تركتني فهذا يبطل ادعاء الصلب باختياره وقوله إلهي إلهي يدل على بطلان ادعاء البنوة والألوهية فان استدلوا بقوله باأبتاه فيلزم التناقض بين نصي انجيل واحد متفق على تعظيمة وتبجيله بينهم وهو انجيل متى ويلزم منه انهيار كل ادعاءآتهم ونحن وان كنا لانعتقد فى شيء من ذلك كله بل عقيدتنا ماذكره القرآن من انه عبد الله ورسوله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم إلا أننا سقنا هذه النصوص لترد على ادعاءآتهم من أناجيلهم ليظهر التناقض بين الادعاءآت والنصوص وليظهر ايضا التناقض بين النصوص وبعضها وإذا تدبرت انجيل متى ورأيت مافيه من اخبار الاهانات التى ألحقها اليهود بمن ادعى من النصارى ألوهيته من لكمه ولطمه واستهزائهم به وبصقهم فى وجهه لعلمت سخافة العقلية التى تجمع بين تصديق الالوهية وتصديق تلك الاهانات (فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً) هداهم الله للسداد والصواب انتهى بتصرف من سؤال المرحوم الشيخ احمد المليجى رضى الله عنه



﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ في سبب فساد الديانة المسيحية ﴾

قال فرقة من المؤرخين عندنا وعندكم أيضا ان اصل فساد الديانة العيسوية وتغييرها هو أن عيسى عليه السلام لما دعا بنى اسرائيل للايمان أجابه نفر يسير ثم رفع فاستحلى الناس كلامه حتى بلغ أتباعه سبعمائة رجل وكانوا يجاهدون فى بنى اسرائيل ويدعون الى الايمان فقام باولو اليهودى (ويسمى بولس)

وكان هو الملك فى بنى اسرائيل فهزمهم وأخرجهم من الشام الى الضروب فاعجزوه بحججهم القوية فقال بولس لقومه إن كلام هؤلاء يستحلي وقد قدموا على أعدائنا وسيردونهم الى ملتهم فينكرون علينا فتعاهدوني على كل شيء خيراً او شراً حتى اردهم عن طريقتهم فقالوا نعم فترك ملكه وخرج اليهم وقد لبس لباسهم ليضلهم فمسكوه وقالوا له الحمد لله الذي مكننا منك فقال لهم اجمعوا اكابركم فانه لم يبلغ من حمقي أن آتيكم إلا ببرهان فقال اكابرهم مالك قال لقيني المسيح عند منصرفي عنكم فاخذ بسمعي و بصرى وعقلي فلم أسمع ولم أبصر ولم أعقل ثم كشف عنى فاعطيت الله عهداً ان ادخل فى امركم فأتيت لاقيم بينكم واعلمكم التوراة واحكامها فصدقوه وامرهم ان يبنوا له بيتا و يفرشوه رماداً ليعبد الله تعالى ففعلوا وعلمهم ماشاء الله ثم أغلق الباب على نفسه يوما فطافوا به وقالوا نخشى ان يكون رأي شيئا يكرهه ثم فتح الباب بعد يوم فقالوا أرأيت ماتكرهه قال لا ولكني رأيت رأيا أعرضه عليكم فان كان صوابا نخذوه وان كان رديئاً فردوه وهو هل رأيتم سارحة تسرح إلا من عند ربها وتخرج إلا من حيث تؤمر به قالوا نعم قال فانى رأيت الصبح والليل والشمس والقمر والبروج إنما تأتى من هاهنا واشار الى الشرق الحقيقي وذلك احق الوجوه ان يصلى اليه قالوا صدقت فردهم عن قبلتهم (بيت المقدس) الى الشرق المحض ثم بعد ذلك بيومين أغلق الباب ففزعوا أشد من الاول وطافوا به ففتح الباب فقالوا أرأيت شيئا تكرهه قال لا ولكني رأيت رأيا قالوا هات قال ألستم تزعمون ان الرجل اذا أهدى إلى الرجل هدية فردها شق عليه ذلك وان الله تعالى سخر لكم مافى الارض جميعاً وما فى السماء والله تعالى احق أن لا يرد عليه فما بال بعض الاشياء حلال و بعضها حرام إن مابين البقة إلي الفيل حلال هدية من الله تعالى الينا فكلوا واشربوا ماترغبون فليس حراماً البتة قالوا صدقت فاتبعوه فى اباحة المحرمات ثم اغلق الباب بعد ذلك ثلاثا ففزعوا اشد من الثانية فلما فتح لهم قال إنى رأيت رأيا قالوا هات قال ليخرج كل من فى البيت الا يعقوب ونسطور وملكون والمؤمن ففعلوا فقال هل علمتم أحداً من الانس خلق من الطين فصار نفساً

قالوا لا فقال هل علمتم أحداً من الانس أبرأ الاكمة والابرص واحيا الموتى قالوا لا قال فانى ازعم ان الله هو المسيح تجلى لنا ثم احتجب فقال بعضهم صدقت وقال بعضهم لا ولكنه ثلاثة والد وولد وروح القدس وقال بعضهم إله وولده وقال بعضهم هو عبدالله ورسوله فافترقوا على اربع فرق (فاما يعقوب) فاخذ بقول بولس إن الله هو المسيح وعنه اخذت شيعته وهم اليعقوبية (وأما نسطور) فقال المسيح ابن الله على وجه الرحمة وبه اخذت شيعته النسطورية إلا ان شيعته لم يعتقدوا انه ابن على سبيل الرحمة بل على سبيل البنوة المعلومة (وأما ملكون) فقال ان الله ثالث ثلاثة وبه اخذت شيعته وهم الملكونية (فقام المؤمن) وقال لهم عليكم لعنة الله والله ماحاول بولس هذا إلا لافسادكم ونحن اصحاب المسيح قبله وقد رأينا عيسى عليه السلام ونقلنا عنه وإنما هذا يضلكم فقال بولس للذين اتبعوه قوموا بنا نقاتل هذا المؤمن ونقتله هو واصحابه والا افسد عليكم دينكم فخرج المؤمن الى قومه وقال ألستم تعلمون ان المسيح عبد الله ورسوله وكذا قال لكم قالوا بلى قال فان بولس اضل هؤلاء القوم وركب بولس وقومه ليقيموا الباطل ويخفوا الحق فهزموا المؤمن واصحابه فخرجوا إلى الشام فاسرتهم اليهود فاخبروهم الخبر وقالوا انما خرجنا اليكم لنأمن فى بلادكم ومالنا فى الدنيا من حاجة إنما نلتزم الكهوف والصوامع ونسيح في الارض فتركوهم ثم فعل بعض الذين كفروا مثل اصحاب المؤمن اعنى اتخذوا الصوامع وساحوا فى الارض واظهروا البدع وقد ذكر الله سبحانه وتعالى لنا ذلك فى القرآن بقوله (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون) وكان مهرب المؤمن فى جزيرة العرب وادرك نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم من اصحاب المؤمن ثلاثون راهباً فاتبعوه وماتوا على الاسلام وفيهم نزل قوله تعالى (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) اى بالحجة وكانت هذه الوقائع بعد المسيح عليه السلام بخمسين سنة تقريبا ولما تمكن بولس من هؤلاء الثلاثة دعاهم واحداً واحداً بحيث لا يعلم الواحد الآخر وقال لكل

واحد منهم انت اخلصت لى وانت على الحق وقد رأيت عيسى عليه السلام فى المنام ورضى عنى وعنك وامرنى ان اذبح نفسى غداً فادع الناس الى نحلتك بكل ما استطعت ثم دخل المذبح فذبح نفسه وبعد ذلك دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة طائفة فاختلفوا واقتتلوا وكان ذلك سبب فساد الديانة النصرانية ووصف المسيح عليه السلام بصفات الالوهية ثم لم يزل الامر كذلك لم يستقر للجميع قدم إلى زمن الملك قسطنطين قيصر بعد رفع المسيح عليه السلام بمائتين وثلاثة وثلاثين سنة فكثر عدوه وكاد ملكه يذهب لاختلاف رعاياه عليه وضعفهم وكسلهم عن نصرته فرام جمعهم على شريعة واحدة فاشار عليه اهل الرأى من دولته ان يتعبد القوم بطلب دم ليكون ذلك أنسب لنصرته فوجد اليهود يذكرون فى تواريخهم أن رجلا جاءهم يدعى نسخ التوراة والانفراد بالتأويل فطلبوه وهو فى نفر يسير ممن اتبعه فظفروا بواحد منهم وشهد رجل بانه المطلوب فصلبوه ولم يحققوا انه هو إلا لكونه لم يوجد بعد ذلك فحينئذ عمد قسطنطين الى من ينتسب الى دين المسيح عليه السلام فوجدهم قد اختلفت آراؤهم وتفرقت كلمتهم فاستخرج ما بقي من شريعتهم المنسوبة للمسيح عليه السلام وجمع عليها وزراءه فاثبت ما أعجبه منها وتحكم فيها باختياره وما وافق مقصده كالقول بالصلبوت ليتعبد قومه بطلب دم المصلوب وكترك الختان لانه شأن قومه ثم أكد ذلك برؤيا ادعى انه رآها فجمع رعاياه من الروم على رأس سبع سنين من ملكه وقال رأيت انى انتصر لهذا الشكل واغلب الامم وأشار الى الصليب فعظموا ذلك وكان فى أمته كاهنة بعث اليها فقالت مثل ذلك فتأكد قوله ومنامه ولم يعلم الناس ما سر ذلك الشكل حتى غزا غزوة به فغلب فهول عليهم ووعظهم وبالغ فى ذلك فسألوه عن سر الشكل وألحوا عليه فقال لهم أوحى إلى في نومى ان الله تعالى كان هبط الى الارض من السماء فهالهم ذلك مع ما تقدم عندهم من تصديقه فانقادوا اليه انقياداً حسناً وتاكدت أسباب دولته وشرع هذه الشرائع التي بايديهم الى اليوم او أكثرها ولعل أكثر ما فى الانجيل من تلفيقات قسطنطين وهذه التواريخ لا تنكرها النصارى من حيث

الجملة وان انكر بعضهم بعض تفاصيلها ولا يقدرون ان يجحدوا محاربة بولس اليهودي ولا انجلاءهم عن الشام ولا أفعال قسطنطين وقد كان بولس هذا هو المفسد لدينهم بعد التوحيد والمغير لمعالم شرائعهم والحال لنظام احكامهم فى الختان وغيره وهو أصل القول بالتثليث ومع ذلك فانتم أيها النصارى له فى غاية الاجلال وعلى رأيه واقواله فى غاية الاقبال



﴿ المبحث الخامس ﴾

(فى إثبات نسخ الشرائع بعضها لبعض)

ينكر النصارى أن شريعتنا نسخت شريعتهم مدعين ان النسخ محال كأنه غير معروف فى سبيل الانبياء عليهم السلام ولا معمول به فى مللهم ولا فى نحلهم ولا منصوص عليه فى التوراة وسائر الكتب التى بايديهم وليس كذلك ففى التوراة التى بايديهم وأيدى اليهود (خروج ص ٢٠ * ٩) ذكر السبت وتحريم العمل فيه والحروب وغير ذلك من الاشغال والسبت آكد فروض التوراة وأهم لوازمها ثم قال فى آخر التوراة (عدد ص ٢٨ * ٩) لهرون فى يوم السبت تذبح كبشين اثنين ابنى سنة كاملة وتهيء لى سميداً يعجن بالزيت وهذا عمل وشغل ممتد من ذبح وسلخ وتفصيل وعجن السميد وتقريصه بعد اللت بالزيت وفى التوراة ايضا يأمرهم بطاعة يوشع ثم يأمر يوشع بمحاربة اريحا في جميع الايام المتصلة وأمره بتضعيف المحاربة يوم السبت وان يتسور فيه على اريحا مع الائمة وسائر العسكر سبع مرات باشد المحاربة فقال فى نص التوراة (يشوع ص ١١٦) ويحيطون بالمدينة للقتال ويتسورون عليها مرة واحدة يصنعون ذلك فى الستة الايام ويحمل سبعة أئمة سبعة ابواق والشمع بين يدى الصندوق

وفى اليوم السابع يحيطون بالمدينة سبع مرات والائمة يضربون الابواق . فاعتبرفى التوراة الناسخ والمنسوخ اوضح من الصبح لذى عينين وأخبرنى ان كان النسخ منكراً قبل نزول القرآن فكيف جاز لهم ان يبدلوا الختان تغطيسا والسبت أحداً وهما من فروض التوراة وبم حرموا حلالها وحللوا حرامها بما تقدم شرحه ولم قال المسيح فى الانجيل الذى بايديهم (متى ص ٥ * ٣١) معرضا بما قالت التوراة أما بلغكم انه قيل للقدماء من طلق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق وأما أنا فأقول لكم من طلق منكم امرأته إلا لعلة الزنا فقد جعل لها سبيلا للزنا ومن تزوج امرأة مطلقة فهو فاسق أما بلغكم انه قيل للاولين كذا وكذا الجمل من الامر والنهى ينسخ فيها حكم التوراة فكيف جاز لهم مع هذا أن يقولوا ان شريعة الانجيل ليست ناسخة لما شرعت التوراة وانما هى متممة هذا تنكيس بالالفاظ عن موضوعها أن يسموا التبديل تتميما وهل التتميم إلا استيفاء الشىء وإحكامه مع إقراره على ماكان عليه اهـ من كتاب الفاصل بين الحق والباطل بتصرف

ومما تقدم يظهر ظهور الشمس فى رابعة النهار فساد مايدعون من صلب وقتل وتثليث وان شريعتهم شريعة الخلاص دون غيرها وانها لم تنسخ وعجيب أن يتشبثوا بهذا وهم يعلمون أن الشرائع الوضعية ينسخ بعضها البعض على وفق مقتضيات الاحوال فكيف ينكرونه وقد ثبت بالعقل وبالنقل من كتبهم كما قدمنا فالعقيدة الصحيحة المنجية ان الله واحد وان موسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عباد الله ورسله بعثهم لهداية الخلق وارشادهم إلى مافيه صلاحهم فى الدنيا والآخرة وان ماوافق تعاليم القرآن من الكتب الاخرى يعمل به وماخالفه فهو منسوخ وان القرآن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد نسأل الله الهداية للطريق القويم وأن يثبتنا على العقيدة الحقة ويحفظنا من الزيغ والشك والارتياب آمين

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ فى شهادة المستشرقين الافرنج ببلاغة القرآن الشريف وفضله ﴾

(وفيه حكمة مشروعية القتال لنشر الدين الاسلامى)

نذكر لك فى هذا الفصل ماقاله الدكتور موريس الفرنسي فى شأن القرآن رداً على المسيو ريناش حينما رمى القرآن بانه غير فصيح ولا بليغ إلي آخر ماقال وقد تعجلنا بنقل ذلك لمزيد علاقته بموضوعنا الذي سنشرع فيه حتى تعلم مقدار القرآن فى نفوس علمائهم ومكان ذلك القسيس من الجهل والتعصب

والدكتور موريس من كبار المستشرقين متضلع فى اللغة العربية واقف على آدابها وأسرار بلاغتها مجيد فى الترجمة منها إلى لغته حتى أن حكومة فرنسا قد كلفته أخيراً بنقل القرآن إلى اللغة الفرنسية *

قال نقلا عن جريدة (لاباورد فرنسيز رومان) لقد قلقت نفسي واضطربت حواسى لقول المسيو (ريناش) إن القرآن غير فصيح ولا بليغ إذ لو جاز لامرئ غير مسلم أن يرتاب فى صدق القرآن وصحة دعواه فلا يجوز له أبداً أن يرتاب فى صحة عبارته وكونه فى الذروة والسنام من الفصاحة والبلاغة ومن لم يسلم بهذا كان مخطئا بل كان متهما فى اخلاصه وان شئت قلت فى عقله .

ان كان للقرآن صفة لا يشوبها نقص فهي الفصاحة والبلاغة اوكان له مزية عظمى يفتخر بها ثلاثمائة مليون من البشر فهي استعلاؤه على سائر الكتب السماوية من حيث بلاغة مبانيه وكمال معانيه : بل لنا أن نقول إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الازلية لبنى البشر فهو قد تضمن أناشيد لاسعادهم خيراً من أناشيد فلاسفة اليونان وقد استوعب بين دفتيه الثناء على مبدع السموات والارض وتمجيد الله الذي أعطي كل شيء خلقه وهدى كل شيء الي مايطمح اليه استعداده إن القرآن بمثابة ندوة علمية للعلماء . ومعجم لغة للغويين وأجرومية نحو لمن أراد تقويم لسانه . وكتاب عروض لمحب الشعر وتهذيب العواطف واسكلوا

بيـديا (دائرة معارف) عامة للشرائع والقوانين . وكل كتاب سماوى جاء قبله من لدن (داود) الى زمن (جان باتموس) لا يساوى أدنى سورة من سوره فى حسن المعانى وانسجام الالفاظ . ومن أجل ذلك ترى رجال الطبقة الراقية فى الامة الاسلامية يزدادون تمسكا بهذا الكتاب واقتباسا لآياته يزنون بها كلامهم و يبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعة في القدر و نباهة فى الفكر . و وطن هؤلاء القوم نفوسهم على حب القرآن وتقديسه وما غدوا يفكرون قط فما أوتيت الامم الاخرى من كتب او شريعة ولا يحسدونهم على شىء من ذلك فقد رأوا فى كتابهم غنية عن كل كتاب وفى فصاحته و بلاغته مجتزءاً عن كل فصاحة و بلاغة فى سواه يدلك على صحة قولنا انك ترى كبار الكتاب والقراء الاسلاميين يطأطئون رءوسهم أمام بلاغة كتابهم و يكادون يسجدون لعجائبه التى تتجدد وأسراره التي لا تنفد و يعدونه فخرهم الباقى الى منتهى الازمان و بحرهم الزاخر بفصيح الـكلام ورفيع المعانى وكنت أتمنى للمسيو ريناشن أن يتمهل فلا يحكم على القرآن حكمه القاسى ريثما تتم ترجمتى له فيعرف منها مبلغ درجته فى البلاغة وسمو المعانى و يتحول ارتيابه فى صحته الى اعتقاد ثابت وايمان سليم والا فان عدم معرفته بلاغة القرآن غير كافية للحكم عليه كما أن اقتصاره على ترجمتى (سافارى وكازمرسكى) لا يوصله إلى الغرض المطلوب ولا يعطيه حقيقة أمر القرآن

وان رجلا عادلا منصفا (كالمسيو ريناش) قضى حياته فى خدمة الادب والتأليف لا يأنف من اتباع الحق بعد ان يتضح له فيصحح خطأه و يرجع عن فريته التى ألصقها بالقرآن وغاظ بها العالم الاسلامى إلى آخر ماقال وقد تكلم (أمرش) فى مواضيع كثيرة من تآليفه عن القرآن بكلام يشف عن الوقار وعبارات الاحترام وهاك (جويث) قد رأى أن القرآن كتاب يكل منه القارىء فى بادىء الامر ثم ينجذب بمحاسنه وأخيراً لا يلبث أن يتصبب فيه تصببا شديدا و يولع به ولعا زائداً لـكثرة فصاحته و بلاغته (وكارليل) يقول « إذا أتيت مرة بهذا القرآن الحسن ترى كناياته الجوهرية تاخذ فى الظهور وتكشف عن محيا بيانها بنفسها وفى هذا من الفضـل العظيم مالا يوجد فى كتاب علمى » ولقد يكون

لبعض الكتب المؤلفة شيء من التأثير على الاذهان على أن التصانيف والمؤلفات ليست بشيء يذكر فى جانب ذلك الكتاب وان الانسان ليقول ان مزايا القرآن الاولية وأركانه الاساسية إنما هي من صحة وحقيقة مبانيه ومن أنه كتاب لاريب فيه وان الاحساسات الصادقة الشريفة والنوايا الكريمة تظهر لى فضل القرآن الفضل الذى هو أول وآخر فضل وجد فى كتاب تاتى منه جميع الفضائل على اختلافها لا بل هو الكتاب الذى يقال عنه فى الختام وبه فليتنافس المتنافسون لكثرة مافيه من الفضائل المتعددة

إذا رضيت عنى كرام قبيلة * فلا زال غضبانا علىّ لئامها

اه نقلا عن كتاب الجواب المنيف لفضيلة الاستاذ العلامة الشيخ الدجوى

قال الكونت هنرى دى كاستري فى كتاب الاسلام (ولقد أصاب جان جاك روسو حيث يقول من الناس من يتعلم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو أنه سمع محمداً ﷺ يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذى يطرب الآذان ويؤثر فى القلوب والتفت إلى أنه كلما بدت أحكامه أيدها بقوة البيان وما أوتيه من بلاغة اللسان لخر ساجداً على الارض وناداه أيها النبي رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والاخطار فنحن من أجلك نود الموت او الانتصار)

قال (بولا تفيلير) إنى لأعترف انه من الصعب أن يظن الانسان ولا يتحير فى أمره أرقوة الفصاحة الانسانية تؤثر ذلك التاثير خصوصا وانها تصدر عالية بغير ضعف أبداً وتتجدد رفيعة معجزة إذ تقصر دون تمثيلها رجال الارض وملائكة السماء الى أن قال

وقد شاهدنا أن أناسا وماكان اكثرهم أميين قاموا فى أمة العرب وادعوا النبوة منهم مسيلمة الذى ادعى انه قرين محمد أتى بسورة سخر العرب منها ولو لم يكن فى القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولى على الافكار ويأخذ بمجامع القلوب . أتى محمد بالقرآن دليلا على صدق رسالته وهو لا يزال إلى يومنا هذا سر من الاسرار التى تعذر فك طلاسمها ولن يسبر

غور هذا السر المكنون الا من يصدق بانه منزل من الله الى أن قال

ولو رجعنا الى ماوضحه الحكماء عن النبوة ولم يقبله المتكلمون من المسيحيين لامكننا الوقوف على حالة مشيد دعائم الاسلام وجزمنا بانه لم يكن من المبتدعين فمحمد كما قال (أيوالد) عن أنبياء بني اسرائيل اعتقد أن روحا من الله استولت على لبه فلم يعد يشعر بان له فكرا خاصا بل انه أوتيه من عند ربه واختفت في نظره أنانيته ولم يعد يسمع غير صوت ذات فوق ذاته ومن الصعب أن تقف على حقيقة سماعه لصوت جبريل عليه السلام هل كان ذلك في الحلم أو غيبوبة في عالم التصورات الالهية على أن معرفة هذه الحقيقة لاتغير موضوع المسألة لان الصدق حاصل في كل حال الى أن قال

ولقد نعلم أن الصوت الذي كان يسمعه نبي المسلمين شبيها بالصوت الذي أيقظ أيوانس من قبله فقال له (ياأيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) الى أن قال

ومن ذلك الحين أخذت شفتاه تنطلق بالفاظ بعضها أشد قوة وأبعد مرمى من بعض والافكار تتدفق من فمه على الدوام الى أن يقف لسانه ولا يطيعه الصوت ولا يجد من الالفاظ مايعبر به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الانسان وسما عن أن يترجمه قلم أو لسان وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية فظن بعضهم أن به جنة وهو رأى باطل لانه بدأ رسالته بعد الاربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أي اعتلال في الجسم او اضطراب في القوة المادية الى أن قال

وليست حالة محمد (صلى الله عليه وسلم) في انفعالاته وتأثراته بحالة ذي جنة بل كانت مثل التي قال نبي بني اسرائيل في وصفها (لقد شعرت بان قلبي أنكسر بين أضلعي وارتعشت مني العظام وصرت كالنشوان لما قام بي من الشعور عند سماع صوت(١) الله واقواله المقدسة وقال السر وليم موير

---

(١) أي كلام

القرآن كتاب طافح الحجج كثير البراهين المنزلة من جانب القدرة الالهية لاقامة الدليل والبرهان على وجود الله وعلى أنه هو الحاكم القوى والسلطان الاكبر ولانفاذ أحكامه الجليلة علي الانسان وبيان المكافأة على العمل الصالح والقصاص على الخبيث في العالم الآتى ووجوب اتباع الفضيلة واجتناب الرذيلة وطاعة الخلق وسعادتهم في عبادة الخالق والسجود له وهكذا من أمثال هذه النبذ الموضحة بعبارات الرقة والانسجام والفائضة بالبلاغة الحقة ولقد أشار (واشنطون ارفنج) الى هذا الموضوع بقوله القرآن فيه قوانين زكية سنية بهية (١) وقال جيبون القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاتلانتيكي الى نهر الجانجس بانه الدستور الاساسي ليس لاصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الانساني وترتيب شؤنه وبعبارة أخري هو القانون العام للعالم الاسلامي فهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية والجزئية ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل أمر من الامور الدينية الى أمور الحياة الدنيوية ومن حفظ النفس الى صحة الابدان ومن حقوق الرعية الى حقوق كل فرد ومن منفعة الانسان الذاتية الي منفعة الهيئة الاجتماعية ومن الفضيلة الي الخطيئة ومن القصاص فى هذه الدنيا الي القصاص في الآخرة (٢) وأن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا في أحكامها من أعظم ملك الى أقل صعلوك فهي شريعة حيكت باحكم وأعلي منوال شرعى لا يوجد مثله قط في العالم (٣) وعلى ذلك فالقرآن يختلف ماديا عن الكتب المسيحية المقدسة التي بناء على ماقرره كومب ليس فيها شيء من الاصول الدينية بل هى في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختباط عظيم في الامور التعبدية وصفات أدبية الا انها غير معقولة وعديمة التأثير ولقد كان محمد مقتنعا

---

(١) انظر كتاب حياة محمد في الانجليزية
(٢) انظر كتاب حياة محمد والقرآن تأليف دافنبورت
(٣) انظر شكوي وارن هاستنج

بالاضرار الناجمة من رجال الكهنوت في المسائل السياسية ومن مصالحهم الشخصية افساد جميع الحكومات فلم يستحسن وجود مثل هذه الامور في ديانته ورغب في ان كل مسلم يجب ان يكون معه نسخة من القرآن ويجعلها نصب عينيه والقرآن يقول ان جميع الناس على حد سواء عند الله

(يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)

والاسلام يقول بعدم التمييز في الجنس او اللون فلا تمييز فيه بين من كان ابيض او اسود او بين ابن مدينة او جندي أو بين حاكم او محكوم فكل فيه على حد سواء وقال الفيلسوف كارليل

ولقد قيل كثيرا في شأن نشر محمد دينه بالسيف فاذا جعل الناس ذلك دليلا على كذبه فشد ما اخطأوا وجاروا فهم يقولون ما كان الدين لينتشر لولا السيف ولكن ماهو الذى أوجد السيف هو قوة ذلك الدين وأنه حق والرأي الجديد أول ماينشأ يكون في رأي رجل واحد فالذي يعتقده هو فرد . فرد دون العالم أجمع فاذا تناول هذا الفرد سيفا وقام في وجه الدنيا فقلما والله يصنع شيئا وأرى على العموم أن الحق ينشر نفسه باية طريقة حسبما تقتضيه الحال أو لم تروا أن النصرانية كانت لاتأنف أن تستخدم السيف أحيانا وحسبكم مافعل شارلمان بقبائل السكسون(١) وأنا لاأحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان ام

(١) وفي كتاب الاسلام للكونت هنري الفرنسي أن القديس (أغستان) مثل المنشقين من أهل البدع بفغال تعض وترفس قوما يعالجونها مما أصابها وهم ماجؤن الي تعذيبها ليتمكنوا من تضميد جراحها وان الطفل الصغير لاتتيسر تربيته بغير السياط والايلام الجثماني فالاضطهاد الذي يستعمل ضد الاشرار لردهم الى طريق الخير أكبر خير يصنع معهم ، وقال عيسى ان احراق مدينة لأفضل من أن يترك فيها عادة رديئة لانه لأجل مثل هذا يغضب الله على رؤساء وملوك الارض الذين أعطاهم الله سيفا ليفنوا الآثام . ولم يبق يوشع على المدن التي أحرقوها لان القرحة المزمنة يستعمل لها الكي

باية آلة اخري فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة او بالصحافة او بالمار لندعها تكافح وتجاهد بايديها وارجلها واظافرها فانها لن تهزم الا ما كان يستحق ان يهزم وليس في طاقتها قط ان تفني ماهو خير منها بل ماهو احط وادنى الى ازقال ولو نظرنا الى ما كان من سرعته الي القلوب وشدة امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في العروق لايقنا انه كان خيرا من تلك النصرانية التي كانت اذ ذاك في الشام واليونان وسائر تلك الاقطار والبلدان ـ تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس بضوضائها الكاذبة وتترك القلب ببطلانها قفرا ميتا على انه قد كان فيها عنصر من الحق ولكنه ضئيل جدا وبفضله فقط آمن الناس بها وحقا أنها كانت ضربا كاذبا من النصرانية كالداعى بين الاصلاء الى أن قالوان دينا آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم

هذا وقد نشرت جريدة الفتح بعددها رقم (٤٤) العبارة الآتية نقلها بنصها قالت

اتصل بنا أن المؤتمر الذي عقده رجال المعارف في فلسطين واشترك فيه عدد كبير من الاساتذة تداول في كثير من شؤن التعليم والقيت فيه المحاضرات والخطب المجتمعة ، ومن أهم ماحدث فيه أن أحد أفاضل المسيحيين المشتغلين بالتعليم فى فلسطين ذكر مالقراءة القرآن في الصغر من حسن الأثر فى تربية ملكة اللغة العربية ، ثم طلب من مديرى سياسة التعليم في تلك الديار أن لا يحرموا ناشئة المسيحيين العرب من هذه الميزة ، واقترح باصرار أن يكون تعليم القرآن للمسيحيين فى المدارس الاميرية اجباريا فكان لاقتراحه تأثير حسن

وقد اذكرتنا هذه الحادثة كلمة لحضرة الاديب الكبير صاحب العزة انطون بك الجميل سكرتير وزير المالية المصرية طالما رددها على مسامع جلسائه اذا تحدث عليهم في موضوع البيان وصحة الانشاد وجمال الديباجة . فيقول ان ماراه غالبا من التفاوت في هذا الباب بين الكاتب المسلم والكاتب غير

المسلم ناشيء عن انطباع بيان القرآن في ذاكرة الاول منذ الصغر وحرمان الثاني منه . فاذا شك الكاتب المسلم في موضع استعمال لفظة غريبة او في وجه استعمالها . او اشتبه عليه النطق بعين الفعل فانه يرجع الى ذاكرته فيستمد من آيات القرآن ما ينيله طلبته ويزيل ريبته . وهي نعمة القرآن على المسلمين قلما انتبهوا لها وعرفوا قدرها

قال بعض المستشرقين الفرنسيين ان في الدين الاسلامي دواء ناجعا لتخفيف ويلات الفوضويين الذين هددوا بناء العمران وزعزعوا أركان الامن العام في ربوع أوروبا ذلك مافرضه الاسلام في مال الاغنياء للفقراء كل عام (يعني الزكاة) واجب على الحاكم أن يأخذه منهم ولو بقتال كتنفيذ الاحكام القضائية اه

ولقد أثني على الاسلام ثناء عاطرا كثير من فلاسفة أوروبا منهم تولستوى الروسي والدكتور موريس الفرنسي والكونت هنري فاستلي والمسيو تشارلس والفيلسوف توماس كرليل الانجليزي قال الاخير يخاطب قومه المسيحيين (لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي الى مايقال من ان دين الاسلام كذب وان محمدا خداع مزور وان لنا ان نحارب مايشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة فان الرسالة التي اداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتي مليون من الناس . أفكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء اكذوبة وخدعة . اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأي ابدا ولو ان الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل هذا القبول فما الناس الا بله ومجانين . وما الحياة الا سخف وعبث واضلولة كان الاولى بها ان لا تخلق ـ فوا اسفاه ماأسوأ هذا الزعم . وما اضعف اهله . وأحقهم بالرثاء والرحمة (وبعد) فعلى من اراد ان يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ان لايصدق شيئا البتة من أقوال اولئك السفهاء فانها نتائج جيل كفر وعصر جحود والحاد . وهي دليل على خبث القلوب

وفساد الضمائر وموت الارواح في حياة الابدان . ولعل العالم لم ير قط رأيا اكفر من هـذا وألأم . وهل رأيتم قط معشر الاخوان ان رجلا كاذبا يستطيع ان يوجد دينا وينشره عجبا والله ان الرجل الكاذب لايقدر ان يبني بيتا من الطوب . فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت وانما هو تل من الانقاض وكثيب من اخلاط المواد ، نعم وليس جـديرا ان يبقي على دعائمه اثني عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الانفس . ولكنه جدير ان تنهار اركانه فينهدم ، فكأنه لم يكن واني لأعلم ان على المرء ان يسير في جميع امره طبق قوانين الطبيعة والا ابت ان تجيب طلبته وتعطيه بغيته ، كذب والله مايذيعه أولئك الكفار وان زخرفوه حتي خيلوه حقا وزورا وباطلا وان زينوه حتى اوهموه صدقا ومحنة والله ومصاب ان ينخدع الناس شعوبا وامما بهذه الاضاليل وتسود الكذبة بهاتيك الاباطيل

أما الرجل الكبير فاني اقول عنه يقينا انه من المحال ان يكون كاذبا فاني ارى الصدق أساسه واساس كل مابه من فضل . الي ان قال ـ وعلى ذلك فلسنا نعد محمدا هذا قط رجلا كاذبا متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل الى بغيته ويطمح الي درجة ملك اوسلطان او الى غير ذلك من الحقائر والصغائر . وما الرسالة التى اداها الاحق صراح وما كلمته الاصوت صادق صادرمن العالم المجهول ـ كلا . ماحمد بالكاذب ولا الملفق وانما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة فاذا هي شهاب قداضاء العالم اجمع . ذلك امر الله (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وهذه حقيقة تدفع كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين ثم لا ننسى شيئا آخر وهوانه لم يتلق دروسا على استاذ ابدا وكانت صناعة الخط حديثة العهد اذ ذاك في بلاد العرب (وعجيب وايم الله امية محمد) ولم يقتبس محمد من نور اي انسان آخر ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك الا كجميع اشباهه من الانبياء والعظماء أولئك الذين اشبههم بالمصابيح الهادية في ظلمات

الدهور . وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ صادق العزم بعيد الهمم كريما برا رءوفا تقيا فاضلا حرا . رجلا شديد الجد مخلصا وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة جم البشر والطلاقة حميد العشرة حلو الايناس بل ربما مازح وداعب وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق . لان من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب اعماله واقواله وما كلمة مثل هذا الرجل الا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة فاذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية وكل كلام ماعدا ذلك هباء . وكل قول جفاء الي أن قال لقد جاء الاسلام على تلك الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها وحق له ان يبتلعها لانه حقيقة خارقة من قلب الطبيعة . وما كاد يظهر الاسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل مالم يكن بحق ، فانها حطب ميت اكلته نار الاسلام فذهب والنار لم تذهب الي ان قال ، أيزعم الافاكون الجهلة انه مشعوذ ومحتال ، كلا ثم كلا ، ما كان ذلك القلب المحتدم الجائش كانه تنور فكر يضور ويتأجج ليكون قلب محتال ومشعوذ لقد كانت حياته في نظره حقا وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة ، والاخلاص المحض الصراح يظهر لي انه فضيلة القرآن التي حببته الى العربي المتوحش وهي اول فضائل الكتاب ايا كان وآخرها ، وهي منشأ فضائل غيرها بل لا شيء غيرها يمكنه ان يبعث للكتاب فضائل اخري الى ان قال . مثل هذه الاقوال وهذه الافعال ترينا في اخا الانسانية الرحيم . اخانا جميعا الرؤف الشفيق وابن أمنا الاولي وابونا الاول ، واني لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأى لا يعول الا علي نفسه ، ولا يدعي ماليس فيه ولم يك متكبرا ولكنه لم يكن ذليلا ضرعاً ، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم واكاسرة العجم ، يرشدهم الى مايجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة . وكان يعرف لنفسه قدرها . ولم تخل الحروب الشديدة التي وقعت له مع الاعراب من

مشاهدة قسوة . ولكنها لم تخل كذلك من دلائل رحمة وكرم وغفران . وكان محمد لا يعتذر من الاولى ولا يفتخر بالثانية الى ان قال ، وما كان محمد بعابث قط ولا شاب شيئا من قوله شائبة لعب ولهو ، بل كان الامر عنده امر خسران وفلاح ومسألة فناء وبقاء وفي الاسلام خلة اراها من اشرف الخلال واجلها وهي التسوية بين الناس وهذا يدل على أصدق النظر واصوب الرأي . فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الارض والناس في الاسلام سواء . الى ان قال وسع نوره الانحاء وعم ضوءه الارجاء . وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب وما هو الا قرن بعد هذا الحادث حتى اصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الاندلس . واشرقت دولة الاسلام حقبا عديدة ودهورا مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة ورونق الحق والهدي على نصف المعمورة اه نقلا عن كتاب رسائل السلام لفضيلة الاستاذ الشيخ الدجوي باختصار

هذه الخطبة التى فاه بها كاين تيلر بتاريخ ١٧ ـ اكتوبر سنة ١٨٨٧ قال ان الاسلام قد سبق النصرانية بمراحل شاسعة من اكثر جهات العالم ـ همهمة ـ ودمدمة ليس فقط من جهة المسلمين الذين كانوا وثنيين واسلموا اكثر من الذين تنصروا . كلا بل لان النصرانية في بعض الجهات اخذت فى التقهقر الى الوراء امام الدين الاسلامي في حين ان الوسائل التى تستعملها لتنصير الامم الاسلامية يفشل امرها والشباك التي تنصبها لهم تنقطع حبالها فاننا لا نرجع فقط بصفقة المغبون بل ربما خسرنا راس المال ويصدق علينا قول من قال . على نفسها جنت براقش . والدين الاسلامي يمتد الآن من مراكش الى يافا ومن زنجبار الى الصين ويخطو فى داخل افريقيا خطوات كبيرة وتعتنقه امم كثيرة وقد خطا بنفسه وثبتت اقدامه في الكونغو وزامبيري وصارت بلادا (وحبذا) أقوي البلاد السودانية واشدهن بأسا اسلامية باجمعها . اما في الهند فان التمدن الغربي الذى كان يهدم اركان الوثنية انما يمهد الطريق للدين الاسلامي لاغير فكان الهند البالغ قدرهم ٢٥٥ مليون نسمة منهم ٥٠ مليوناً الآن مسلمون ، وسكان افريقيا باجمعهم اكثر من النصف

منهم مسلمون . وليس هذا باول تقدم للاسلام يلزم بيانه والبحث في سرعة انتشاره بل هو عدم الخلط والخبط في أصوله وبنيانه — الامر الذي جعل له مكانا ثابتا في قلوب اهله وكل من تدين به بخلاف النصرانية فانها مزعزعة الاركان قلما يكون لها ثبوت عند الانسان لما فيها من التبديل والتغيير والتحريف والتحوير . أجل فقد اعتنق الاسلام امة بجذافيرها في افريقيا صفقة واحدة ولم ترتد الى الوثنية قط ولم تعتنق النصرانية ونشر راية المساواة والاخوية وهذه الادلة نذكرها نقلا عن تقارير الموظفين من الانجليز وعما كتبه اغلب السياح عن النتائج الحسنة التي نتجت من الدين الاسلامى وظهرت آياتها منه فانه عند ماتتدين به امة من الامم السودانية تختفى من بينها في الحال عبادة الاوثان واتباع الشيطان والاشراك بالعزيز الرحمن وتحرم اكل لحم الانسان وقتل الرجال ووأد الاطفال وتضرب عن الكهانة ويأخذ اهلها في أسباب الاصلاح وحب الطهارة واجتناب الخبائث والرجس والسعي نحو إحراز المعالى وشرف النفس ويصبح عندهم قري الضيف من الواجبات الدينية وشرب الخمر من الامور الغير مرضية ولعب الميسر والازلام محرمة والرقص القبيح ومخالطة النساء الرجال بدون تمييز منعدمة . يحسبون عفة المرأة من الفضائل ويتمسكون بحسن الشمائل . ثم قال ختام لا تنظر الى المصاريف الباهظة والا نفس الغالية التي تذهب سدي في سبيل تنصير افريقيا مع ان النصرانية اذا اعتنقها الف فالاسلام يعتنقه مليون اه

وخطب القس لوازون الفرنسى الشهير في حاضرة البلاد التونسية على ملأ من العظماء والعلماء والوجهاء من مسلمين وغير مسلمين عن الدين الاسلامي فخلب الاسماع وسحر الالباب حيث قال

لقد جل نور حكمة القرآن الذى انزل الله على صدر نبيه المبعوث لامحالة لارشاد البشر والله يعلم حيث يجعل رسالته . فمحمد بلا التباس ولا نكران من النبيين والصديقين وهو رسول الله القادر على كل شئ . بل وانه نبي عظيم جليل القدر والشان امكنه بارادة الله تكوين الملة الاسلامية واخراجها من العدم الي

الوجود بماصير اهلها ينيفون عن الثلثمائة مليون من النفوس وداسوا بخيولهم سلطنة الرومان وبرماحهم قطعوا دابر أهل الضلالة الي أن صارت ترتعد من ذكرهم فرائص المشرق والمغرب وإذا أدركتم الآن الاسلام فعلى أن أزيدكم ايضاحاً بأن أقول لكم إن معنى الديانة النصرانية شيئان وهما بنوة عيسى (تعالى الله عن ذلك) ووجود الخالق تعالى في الاول يقول المسلمون كلاماً معقولا وهو - إن المسيح ليس ابناً لله وانما هو من روح الله لأن الله لم يلد ولم يولد . وأما الشئ الثاني الذى هو وجود الخالق وتنزيهه عن الند والنظير مع وصفه بالقدرة والعلم والعلو والوحدانية فالاسلام والنصرانية فيه سواء سوي أن المسلمين لما عرفوا جلال الله القادر على كل شئ بسطوا أكف الضراعة وأقروا بعجزهم وطلبوا منه الرحمة والمغفرة والعافية في الدنيا والعفو في دار السلام والنصاري جهلوا خالقهم وزاغوا عن الطريق المستقيم ولذلك تجد المسلمين في رفعة عن النصاري من هذه الحيثية . ولا ترى فيهم واحداً يكفر بالله كما تفعل النصاري في كل حركة وسكون وما اهتدى مئات الملايين الى الاسلام الا ببركة محمد الذي علمهم الركوع والسجود لله وابقي لهم دستوراً لن يضلوا بعده أبداً وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم ولخير أخراهم اه

وقد خطب أيضاً هذا القسيس الشهير (لوازون) خطبة شائقة عن الدين الاسلامي في الأوبرا الخديوية بمصر في ٢١ فبراير سنة ١٨٩٦ وهاك طرفاً منها لا يخفى أن المسيحيين بوجه العموم لا يعرفون الاسلام بل وكثير من المسلمين قليلو المعرفة بدينهم أو هم يعرفون على غير وجهة الحق وحينئذ فلا بد للوصول الى حقيقة هذا الدين من الرجوع الى أصله والكلام على واضعه ان صح أن يقال ان محمداً واضع الاسلام على أن محمداً يتبرأ من ذلك كما في آية (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) ولقد كان ابراهيم واسماعيل بحكم القرآن مسلمين . ويروى عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال (كل مولود يولد على

الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) وجاء في القرآن (ولكل أمة رسول) وورد فيه أيضاً (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) ومحمد بعث رسولا من العرب أى من جنس العرب ، وليس من قبلهم . وليس محمد نبي العرب فقط بل هو أيضاً أفضل نبي قال بوحدانية الله فان دين موسى وان كان من الاديان التي أساسها الوحدانية الا انه كان قومياً محضاً وخاصاً ببني اسرائيل ولم يكن التعبد عليه ممكناً الا في بيت المقدس . أما محمد فقد نشر دينه بقاعدتيه الاساسيتين وهما الوحدانية والبعث وقد أعلنه لعموم البشر في أنحاء المسكونة وانه لعمل عظيم يتعلق بالانسانية جملة وتفصيلا عند من يدرك غايته . فالديانة المحمدية إذاً مع كونها من بعض الوجوه خاصة بالعرب وبعصر ظهورها هى للنوع الانساني الديانة العامة الخالدة ولقد دون جماعة من جهابذة الكتاب تقاريظ فاخرة في مؤلفاتهم عن القرآن وعن مشتملاته وها هو أحدهم(١) يقرأ بنفسه عما نصه — من حسن الحظ الوحيد في التاريخ دون غيره هو أن محمداً أسس في وقت واحد ثلاثة أشياء من عظائم الأمور وجليل الاعمال فانه مؤسس لأمة وامبراطورية وديانة ومع انه أمي وقلما كان يقدر ان يقرأ او يكتب . فمع ذلك اتى بكتاب هو آية في البلاغة ودستور للشرائع وللصلاة والدين في آن واحد وهذا الكتاب مقدس الى هذا اليوم عند سدس جميع العالم ومعتبر معجزة في علو انشائه وحكمه وصدق عباراته وهو المعجزة التى يتمسك بها محمد — معجزته القوية كما يقول وحقاً انه لمعجزة . وفي دائرة المعارف(٢) العامة نبذة نصها كما يأتي : ان لغة القرآن معتبرة بأنها من افصح ماجاء في اللغة العربية فان مافيه من محاسن الانشاء وجمال البراعة جعله باقيا بلا تقليد ودون مثيل اما احكامه العقلية فانها نقية زكية اذا تأملها الانسان بعين البصيرة عاش عيشة هنيئة .

(١) انظر صحيفة ٣٤٣ من كتاب « حياة محمد » تأليف بوسورت

(٢) انظر صحيفة ٣٢٦ من الجزء الثامن من دائرة المعارف العامة

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ الدخول فى الاسلام ﴾

اما وقد نقلنا لك ما قاله المستشرقون والأفرنج فيالقرآن وبلاغته والاسلام وحضارته والرسول صلي الله عليه وسلم ومكانته وتعاليمه وتبين من ذلك مقدار احترامهم للقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم فليس غريبا ان تري الناس يدخلون في الاسلام افواجا من شرقيين وغربيين

فقد نقلت جريدة الفتح الصادرة في القاهرة بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٣٤٥ ٣ مارس سنة ١٩٢٧ عن جريدة صوت الحق الهندية ان (رحا سا كباره) من امراء الهند قد تشرف بالدخول في الهداية الاسلامية وقد تبعه أهله واقاربه البالغ عددهم ثلاثين شخصا وتسمي باسم (عبد الرحمن) وقالت ايضا ان اربعة من كبار الهند فيمقاطعة (دها دراد) دخلوا فىالدين الاسلامي وهم (١) ابناجي (٢) كاجي بهائى (٣) لكشمن راو (٤) راه جبي وذكرت بعض الصحف ان جماعة من مسيحي السوه دخلوا اخيرا في الدين الاسلامي أفواجا

وقالت ايضا بتاريخ ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ و٢٦ مايو سنة ١٩٢٧ نقلا عن جريدة (لسان الشعب التونسية) أن المسيو (شوتز) السوسرى البالغ احدي وعشرين سنة ذهب الى الديوان المعمور في تونس واعلن فضيلة شيخ الاسلام أنه اعتنق الدين الاسلامي الحنيف وتسمي باسم (صلاح اندين شوتز) وقد نطق بين يدي شيخ الاسلام بالشهادتين واصبح عضواً فى الأسرة الاسلامية

ونقلت ايضا بتاريخ ٢٩ المحرم سنة ١٣٤٦ ﻫ و ٢٨ يوليه سنة ١٩٢٧ م مسيحيا فى فرشوط اهتدي الى الدين الحنيف واهتدت اخته من قبل ومنذ اسبوع اهتدى اخ له ايضا ويقال ان اباهم سيسلك طريقهم القويم وان كثيرين غيرهم من المسيحيين متشوقون الى ان يصبحوا مسلمين

المبحث الثامن

في بشائر الكتب القديمة بظهور سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين

يحسن بنا أن نذكر لك شيئا من بشائر الانبياء به صلى الله عليه وسلم وتنويه الكتب القديمة بشأنه لدي أرباب الملل المختلفة والامم المتباينة ولو تتبعنا تنويه بشارات الانبياء به واخبار الكهنة والرهبان وغيرهم ببعثه صلى الله عليه وسلم مثل سطيح ووهب بن منبه وكعب الاحبار والمقوقس وهرقل والنجاشي وتُبع وأمية بن أبي الصلت وغيرهم لضاقت بها المجلدات . حتى أنها لشيوعها وكثرة ما كان يذكره الانبياء فيها لم تخل منها كتب اليهود والنصاري وان كانوا قد حرفوا كثيراً منها تحريفاً لم يضر (والحمدلله) بجوهر المعني . مثل تغيير الفارقليط بالمعزي مثلا . وكان ذلك من العناية الالهية بشأنه صلى الله عليه وسلم ، واني لأدرى متي يجيء الرسول المنتظر الذي بشر به المسيح وأخبرهم أنه اقترب وقته ان لم يكن هو محمدا صلى الله عليه وسلم . وقد ذكرنا لك جملة مختصرة من ذلك حتى تفهم ماأخبر به تعالي من أنهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وأنهم ليعرفونه كما يعرفون أبناءهم ولذلك كانوا يستفتحون به على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به . وقد صرح باسمه صلى الله عليه وسلم في انجيل برنابا في مواضع كثيرة وكذلك في كتب اشعياء ودانيال وحزقيل وغيرها وقد تقدم لك مافي انجيل برنابا من البشارات والتصريحات الواضحة وفي الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا (وقال جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران ومعه ألوف الاطهار) فمجيئه من سيناء اعطاؤه التوراة لموسي عليه السلام واشراقه من ساعير اعطاؤه الانجيل لعيسي عليه السلام واستعلانه من جبل فاران انزاله القرآن على محمد عليه السلام لان فاران جبل من جبال مكة . ولذلك قال في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في أخبار اسماعيل عليه السلام (وسكن برية فاران وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر) وفي الفقرة العشرين من الباب السابع عشر

من سفر التكوين فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ في وعد الله لابراهيم في حق اسماعيل عليهما السلام . مايصرح بانه سيكون من أولاده من يتبعه شعب كبير ولم يكن من أولاد اسماعيل رئيس لشعب كبير غير نبينا صلي الله عليه وسلم

وفي الفقرة العاشرة من الباب التاسع والأربعين من سفر التكوين هكذا ترجمة عربية سنة ١٧٢٢ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ (فلا يزول القضيب من يهوذا حتي يجيء الذى له الكل واياه تنتظر الامم)

وفي الزبور الخامس والاربعين هكذا خطابا لنبي سيظهر بعد (انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله الى الدهر . تقلد سيفك على فخذك أيها القوي نبلك مسنونة أيها القوى في قلب أعداء الملك (أى الله) الشعوب تحتك يسقطون بنات الملوك في كرامتك) وليس ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأما عيسى عليه السلام فلم يكن نبي القوة والسيف . ولا سقطت تحته الشعوب . بل كان يتواري من اليهود حيث لاملجأ . وقد أهانوه كل الاهانة وقتلوه أشنع القتل على مايزعمون

وفي الباب السادس عشر من انجيل يوحنا هكذا ٧ (لكني أقول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق لاني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط)

وفي الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا ١٥ (ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي) ١٦ (وأنا أطلب لكم من الأب فيعطيكم) فارقليط (١) آخر ليثبت معكم الى الأبد ٣٠ والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون) والفارقليط الآخر الذى يوصيهم بالايمان به ويبقى معهم الى الابد انما هو النبى صلى الله عليه وسلم اذ لم يجيء بعد عيسى عليه السلام غيره ولا يتأتي أن يكون منتظراً لم يجيء حتي الآن لانه كثيراً ما كان يذكر أنه قد اقترب

هذا واستلفت نظرك الى قوله يبقى معكم الى الأبد وقوله (انه خير لكم أن أنطلق لانى ان لم أنطلق لم يأتكم الفار قليط)

---

(١) هو الفارق بين الحق والباطل

وقال الفاضل حيدر علي القرشي في كتابه المسمى بخلاصة سيف المسلمين في الصفحة ٦٣ و ٦٤ (ان القسيس وسطان الارمنى) ترجم كتاب أشعيا باللسان الارمني في سنة ١٦٦٦ وطبعت هذه الترجمة فى سنة ١٧٣٣ في مطبعة (انتوني برتولى) ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والاربعين هذه الفقرة في بيان صفة النبي الذى سيظهر بشريعة جديدة (وأثر السلطنة عليه واسمه أحمد) وهذه الترجمة موجودة عند الأرمن فانظروا فيها اه نقلا عن كتاب رسائل السلام لفضيلة الاستاذ الدجوي

وذكر الأستاذ الدجوي في كتابه الجواب المنيف بعض بشائر الكتب القديمة بظهوره صلى الله عليه وسلم ننقل منها مالا يتكرر مع ما نقلناه عن كتاب رسائل السلام قال :

وفي الزبور المائة والتاسع والاربعين هكذا (فليفرح اسرائيل بخالقه وبنو صهيون يبتهجون بملكهم ـ تفتخر الابرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم ـ وسيوف ذات فمين فى أياديهم ـ ليصنعوا انتقاما في الأمم وتوبيخات في الشعوب ليقيدوا ملوكهم بالقيود واشرافهم باغلال من حديد) وبنو صهيون هم العرب وهذه الاوصاف المذكورة من وجود السيوف ذات الفمين في أيديهم وتوبيخ الشعوب وتقييد الملوك والاشراف بقيود من حديد الي آخره لم تكن الا لأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتحقق ذلك فى نبي بعد داود غير نبينا عليه الصلاة والسلام

وفي الباب الرابع من انجيل متي هكذا ١٧ (صار يسوع يقول توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات الي آخر مافيه من الفقرات الكثيرة ومثله في الباب العاشر من انجيل لوقا فأنت تراه كان يأمر العصاة بالتوبة وينذرهم باقتراب ملكوت السموات ولم يجئ بعد عيسى عليه السلام من يصح أن يطلق عليه ملكوت السموات الذي كان منه الانتقام الشديد من اليهود والنصاري الا النبي صلى الله عليه وسلم اه من الجواب المنيف

ونقل لنا السيد محمد عبدالله أحد معارفنا الافاضل من انجيل يوحنا الرؤيا المذكورة

في الاصحاح ١٩ آية ١١ يقول من ضمن الرؤيا (ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب) قال العاقل وهذه بشارة بظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ففيها التنويه بالبراق وباسمه لانه كان يدعي في الجاهلية الأمين الصادق وكان يحكم بين العرب بالعدل ولم يأت بعد عيسى نبي محارب غيره اه

المبحث التاسع في فلسفة الاسلام

الاسلام بريء من التعصب

نشأ الاسلام والناس في أشد ما يكون من ضروب الفوضى والتعسف في الدين والاخلاق والسياسة . وقد اختفى في ظلمات ذلك الجو الشديد الظلام مصباح التوحيد ، وتوارى عن الوجود دين ابراهيم . جاء ليدعو العالم باسره الى توحيد الله في أسمائه وصفاته وأفعاله وصرح بان دين التنزيه هو دين الله من لدن آدم ونوح وابراهيم والاسباط وموسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين . وصرح بان عباد الله كلهم متساوون في أصل الخلقة لافضل لعربي على أعجمي . ولا لأبيض على أسود ولا فرق بين غني وفقير . ولا تفاضل بين صعلوك وأمير . ماداموا يعبدون الها واحداً لايشركون به شيئاً . ويؤدون الحقوق فيما بينهم على شريطة العدل والاحسان . حيث يقول الله سبحانه وتعالي (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

وترى أن الله سبحانه وتعالى قد صدر هذه الآية الكريمة بقوله ياأيها الناس يريد النوع جامعا كل الخليقة ، ولم يقل ياأيها المسلمون فقط وماذلك الا لكون الاسلام جاء بالهدى والنور للناس كافة . وقد دلت الاية في عجزها على أن أكرم عباد الله عنده هم الأتقياء الخيرون . بلا فرق بين أمة وأمة . ولا فريق من الناس وفريق لان الاسلام جاء للجميع . ورسوله أرسل الى العالمين كافة هاديا ومبشرا ونذيراً ومذكرا أهل الديانات السابقة بوجوب العمل بما أرسل به الرسل من

البينات (وما أرسلناك الا كافة للناس ـ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وما هو الا القليل من الزمن حتي سطع صبح الحقيقة . وظهرت سماحة الاسلام وغلب التوحيد على الشرك، وانبعث نورالايمان الى القلوب وأفرد بالعبادة علام الغيوب بعدشديد المناوأة للاسلام وأهله من أهل الديانات الاخرى . وخصوصا المشركين ، فدخل الناس في الاسلام لسماحته أفواجا من كل صوب وحدب . فامرهم بتوحيد الله لايشركون به شيئاً وتنزيهه عن الشبيه والمثيل والنظير وحثهم على العدل والاحسان الى الغير . والاصلاح بين الناس . وفرض عليهم تعلم العلم . وأمرهم بتعليمه للناس وارشادهم غير مميزين بين مسلم وغير مسلم . ولا ذامين لدين من الاديان . ولا مكذبين لرسول من الرسل . ولا مفرقين بين أهل الانسانية . بل أراد أن يفرغ عليهم جلبابا من الأدب العالي . ليكونوا مثال العدل والانصاف بين الامم فخاطبهم قائلا (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) فاعتق بذلك الهمم من أغلال الشهوات . وفك العزائم من الخمول وخلص النفوس من أسر الاستعباد . وأخذ كل يطلب من الكمالات ماأهله له استعداده الموهوب من بارئ النسم . وأخذ المعتقدون بالتنزيه يشرفون من شرافات الايمان على اسرار الوجود . ويمزقون بالاسلام حجب الاوهام عن أعين القلوب ويتصلون مباشرة بمنابع العلم والعرفان من الايمان الخالص والنظر الصحيح والفكر المنظم والدين القويم معلنين العالم بوجوب الطاعة لله وحده وتحرير رقاب المستضعفين من عبادة الرؤساء والزعماء . الذين اغتصبوا اموالهم واستلبوا دماءهم وعقولهم . وملكوا عليهم جميع أمرهم . قائلين لمن حولهم من أهل الاديان بلسان القرآن (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) ثم رأوا أن المخالفين لهم في دينهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام : كفار ومشركون وذميون . فالكفار هم الذين كفروا بالله أو بما جاءت به الرسل من عنده ، والمشركون هم الذين أشركوا بالله غيره فعبدوا الاوثان والاصنام والنجوم والكواكب ، والذميون هم أهل ذمة المسلمين من اهل الكتاب .

فاما الكافرون فضرب الرقاب حتى يفيئوا الى أمر الله . وأما المشركون فالقتال حتي لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله .وأما أهل الكتاب من المسيحيين واليهود الذين لم يحاربوا المسلمين ولم يظاهروا عليهم أحدا فحمايتهم ومحاسنتهم والوفاء لهم (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (المسلمون يسعي بذمتهم أدناهم)

ومن تأمل في الآية الشريفة وجدها تنص صراحة على ان الله لم ينه المسلمين عن اسداء البر لمخالفيهم في الدين ومعاملتهم بالاحسان والانصاف في ضروب المحاولات ورأى فى الحديث الشريف مايوجب على المسلمين الوفاء لاهل ذمتهم والمدافعة عنهم . ويتبين من كل ذلك أن التسامح الدينى في الاسلام يحمل المسلم على احترام مخالفه في الدين . ويحرّم عليه ماله ودمه الا بالحق وذلك مايقتضيه نظام الكون ومراد الخالق وتمام الحكمة . وقد صرح الله في كتابه بان الناس لايجتمعون على دين واحد . وأن هذا الاختلاف مقصود له سبحانه وتعالى لحكمة بالغة فقال (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم)

والذي يحمل المسلم على اسداء المعروف لمخالفيه واكرامهم والاحسان اليهم والوفاء لهم هو التأدب بآداب الكتاب والتأسى بصفات الرسول والاتباع للخلفاء الراشدين واجماع جميع المسلمين على الاحسان والرحمة بجميع العالمين ولان لاختلاف الاديان حكمة عالية هى من متممات عمار الكون ومكملات نظام الحياة فلا يحقد المسلم على مخالفه في الدين ولا يتعصب عليه ولا يسعى في إيذائه لعلمه أن ذلك الاختلاف من ارادة ربه وترتيب شؤنه في خلقه

ألم تر أن من قواعد العقائد في الملة الاسلامية الايمان بالله وما أنزل من كتاب وما أرسل من رسول . وان معنى الاسلام هو اسلام القلب والشعور والعواطف كلها خالصة لله ومن وظيفة المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بين جميع العالم على السواء بصرف النظر عن أديانهم وملاهم وبان يدعوا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن لايجادل اهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ، وقد اوصى النبي صلى الله عليه وسلم أمته باهل الذمة خيراً فى مواضع كثيرة من كلامه ووصاياه وقد جاملهم بنفسه صلى الله عليه وسلم فقد كان يكرم رهبان النصرانية وأحبار اليهودية ويجاملهم ويحاسنهم ويصبر على اذاهم . وقد آمنهم على اموالهم ودمائهم وصوامعهم ومعابدهم وقد قال صلى الله عليه وسلم (الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعباده) وكان احد اليهود من جيران النبي صلى الله عليه وسلم كثير الاذي للرسول حتيانه كان يضع الاقذار فيطريقه اذا خرج الى المسجد فمرض ذلك اليهودى وفقده النبي بفقد ما كان يضع في طريقه . فسأل عنه فقيل انه مريض فذهب صلى الله عليه وسلم لعيادته فلمارأي اليهودى كرم أخلاقهصلى الله عليه وسلم وعطفه عليه وهو مخالف له في الدينقال له : تالله ان من كان مثلك لاينبغى أن يأتى الا بحق وانيأشهد أنلااله الا الله وأنكرسول الله حقا وصدقا .

وروي أيضاأن يهوديا آخر أراد اختبار خلق النبي صلي الله عليه وسلم فاشتري منه تمرا الي أجل وأعطاه التمر . ثم جاء يطالبه بالتمر قبل انقضاء الاجل بيومين . فأخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم ونظر اليه بغضب قائلا ألا تقضيني حقى يامحمد فوالله انكم مطل يابني عبد المطلب . وكان عمر رضي الله عنه حاضرا فوبخ اليهودى واستل سيفه وأراد أن يهم بقتله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بكل سكينة وهدوء . أنا وهوأحوج اليغير هذا منك ياعمر . تأمرني بأحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضي . اذهب به فاقضه حقه وزده عشرينصاعا مكان ماروعته . فاسلم اليهودى عند مارأى ذلك وحسن اسلامه .

وكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من لطيفة ومكرمة مثل هذه . كيف لا وقد أدبه الله تعالى بقوله (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقال سبحانه وتعالى واصفا لشريف سجاياه وكريم أخلاقه (وانك

لعلى خلق عظيم) وقال عليه الصلاة والسلام (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) وقال الله سبحانه وتعالي (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله) وقال سبحانه وتعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي)

ويروي أن يهوديا جاء الي الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو سيدنا على كرم الله وجهه مدعيا دينا عليه . ولما أراد أمير المؤمنين أن يحكم بينهما رأى عليا كرم الله وجهه جالسا واليهودى واقفا فقال له . قم فساو خصمك

ويروى أيضا أن ابن فاتح مصر عمرو بن العاص كان يتسابق مع المتسابقين فسبقه قبطى فاخذته العزة فلطمه قائلا . أنا ابن الاكرمين فبلغ الخبر عمر رضي الله عنه فكتب لعمرو : ياعمرو مذ كم تعبدتم الناس وقد وضعتهم أمهاتهم أحراراً ثم استقدم الخصمين الي المدينة وأوقفهما أمامه وأمر القبطى أن يضرب خصمه قائلا : اضرب ابن الأكرمين . وكيف لا يكون الاسلام بريئاً من التعصب وبينما اليهود والنصارى يشتدون في ايذاء الرسول وأصحابه . واذا بالقرآن يقول (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) ويقول (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) الآية ويقول (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابؤن والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ويقول فى حق النصارى خاصة (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) ويقول أيضاً تأديبا للمؤمنين (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

هذا وقد كان المسلمون في كل عصورهم حبا في نشر العلم وخدمة الانسانية وعملا بمبدأ التسامح الديني الذي نص عليه كتابهم واوصت به سنتهم يجالسون العلماء والفضلاء من اهل كل دين ويكرمونهم بصرف النظر عن مللهم ونحلهم وانسابهم وقد كان فيهم النصراني واليهودى والصابئ والسامري والمجوسي . فكان

الخلفاء يعاملونهم بالرفق والاكرام مما يصح ان يكون مثالا صالحا للاعتدال والحرية والمساواة . وقدوة حسنة لجميع أهل الاديان في كل العصور والازمان . ومن ذلك أنه وفد في عصر العباسيين كثير من علماء النصارى واليهود والصابئين والهنود وغيرهم على بغداد واختلطوا بالمسلمين ودخلوا في خدمتهم لما آنسوه من العدل في دولتهم واطلاق حرية الاديان لرعاياهم والمساواة بين الناس بلا فرق بين المسلم وغير المسلم حتى كثيرا ما كانوا يوسطونهم في فض الخلاف بين طوائفهم وأساقفتهم فاكرمهم الخلفاء واستخدموهم في دواوينهم وولوهم تطبيبهم وترجمة مانقلوه من الكتب اليونانية واللاتينية والعبرية والفارسية وغيرها . ومن أولئك جرجيس بن بختيشوع طبيب المنصور وابنه بختيشوع بن جورجيس استقدمه الرشيد من جند يسابور . ومنهم حنين ومنهم قطا بن لوقا البعلبكي وهو من نصارى الشام ماسرجويه وهو يهودي المذهب وسرياني اللغة . وابن عيسى بن ماسرجويه وثابت بن قره الحراني وهو من الصابئة . وكان في خدمة المعتضد العباسي وكان المعتضد يضعه في منزلة فوق وزرائه وخاصته . وابنه سنان وكان مقدما عند القاهر بالله . والحجاج بن مطر وكان من تراجمة المأمون وعبد المسيح بن عبد الله الحمصي القاعمي . واسطفان بن باسيل وموسى بن خالد وسرجيس بن بختيشوع وهو من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم ، والبطريق وكان في أيام المنصور ويحيى ابن البطريق وكان في أيام الحسن بن سهل . وأبو بشر متي بن يونس من أهل دير قنى : ويحيى بن عدى وغيرهم .

هذا قليل من كثير وانا نختم هذه العجالة بذكر شيء مما جاء في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الى رهبان دير القديسة كاترينا فقد جاء في أول الرسالة هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بشير ونذير وأمين الخلق أجمعين لوديعة الله في خلقه كي لا تكون حجة على الله بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما . كتبه عهدا في ذمة من هم على دينه لاولئك القوم الذين هم على دين النصرانية في مشارق الارض ومغاربها : بعيدهم وقريبهم : مجهولهم ومعلومهم

هذا كتاب ماعهده اليهم . فمن خالف مافيه من العهد يكون مخالفا ومفسدا لعهد الله وميثاقه ومستحقا للعنته : ان يكن سلطانا أو كان غيره من المسلمين المؤمنين : فمتي كان راهب أو سائح مجتمعا في جبل أو واد أو مغارة أو معمور أو سهل أو كنيسة أو معبد فنحن من ورائهم وهم في ذمتنا : وإني لأذب عنهم بنفسي وأعواني وأنصاري هم وأموالهم ومعابدهم إذ أنهم من رعيتي وأهل ذمتي . فلا يسلب أحد سياحهم ولا يهدم بيتاً من بيوت كنائسهم ولا يتافه ولا يدخل شيئاً منه الى بيوت المسلمين وكل من أخذ شيئا من ذلك فيكون قد أفسد عهد الله وخالف رسوله ولا يطرح خراج على قضاتهم ولا رهبانهم ولامن كان مشتغلا بالعبادة منهم . ولا شيء آخر غرامة خراجا كان أو مظلمة فأني أحفظ ذمتهم في البر والبحر والمشرق والمغرب والشمال والجنوب أينما كانوا وهم في ذمتي وميثاق اماني من جميع ما يكرهون . الى أن قال : ولا يكلفهم أحد بسفر أو يلزمهم بحرب أو نقل سلاح . إنما المسلمون يحاربون عنهم ولا يجادلوهم إلا على أحسن وجه اتباعا للآية (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) فيعيشون مرحومين . ويمنع عنهم ما يكدرهم أو يضيق عليهم أينما كانوا أو في أي محل نزلوا : واذا تزوجت امرأة نصرانية بمسلم فلا يكون ذلك الا برضاء تلك المرأة ولا تمنع من الذهاب الى كنيستها لاجل الصلاة · وتحترم كنائسهم فلا يمنعون من تعميرها ولا من ترميم أديرتهم ولا يلزمون بشيء مما يجب على المسلمين وإنما المسلمون يذبون عنهم ولا أحد من الامة يخالف هذا العهد الى يوم القيامة وانقضاء الدنيا : هذا العهد الذى كتبه محمد بن عبد الله الى جميع ملة النصاري واشترط جميع ذلك لبفى به ومعه أيضا الذين أثبتوا أسماءهم وشهادتهم وقد اشهد الصحابة العظام عليه فى آخره وهم علي بن أبي طالب ، أبو بكر بن قحافة . عمر بن الخطاب عثمان بن عفان أبو الدرداء ، أبو هريرة . عبد الله بن مسعود . عباس بن عبد المطلب . الفضل ابن عباس . الزبير بن العوام . طلحة بن عبيد الله . سعيد ابن بن معاذ . سعيد ابن عبادة . ثابت بن نفيس . زيد بن ثابت . أبو حنيفة .

ابن عتبة . هاشم بن عبيد معظم بن قريش . الحارث بن ثابت . عبد العظيم بن حسن . عبد الله بن عمرو ابن العاص . عامر بن ياسر

وقد كتب هذا العهد بخطه في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب

انتهى من مجلة لواء الاسلام

هذا هو الاسلام أسلم واتبع * سبل النبي محمد وصحابته
واقرأ كتاب الله إذ فيه الهدى * بتدبر المعني وحسن تلاوته
والرجز فاهجر والملاهي واصطبر * لعبادة الرحمن رب بريته
فتكون من خير الخلائق عنده * ويتم نعمته عليك بجنته
يحييك في الدنيا حياةَ من ارتضى * وتفوز في الأخرى بنعمة رحمته
فمن ابتغى دينا سوى الاسلام ذا * لا يقبل المولى جميعَ ديانته
هو خاسرٌ حسناته مهما تكن * وله عذابٌ مؤلمٌ مع حسرته
وبصالح الاعمال يُجزى في الدنا * حقا ولا حظٌ له في جنته
فنعيم دنيا زائل مهما يكن * وعذابُ أخرى دائم في شدته
الا لمن شاء الالهُ له الرضا * فيكون بعد عقابه في ساحته
أما السوى فمخلد في ناره * لا يستطيع خروجه من حفرته
ويل لمن لم يتخذ مع ربه * عهدا به يلقاه يوم قيامته
ياغافلا قم واستمع شرع النبي * واعمل بصدق كي تفوز بنعمته
قد ضل من لم يتبع أحكامه * فهو المهذب للنفوس بحكمته
فمن اقتدى بالمصطفى نال الرضا * بُشرى لنا بنبينا وشريعته

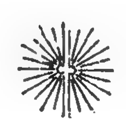
وختام هذا الوصل قرآن أتى * في سورة الاعراف فُز بقراءته
واطلب لنا الغفران من ربي عسى * أن يستجيب بفضله وبرحمته
هو ربنا رب الورى لا نبتغي * من دونه أحداً سواه لِوَحْدَته
واختم دعاءك بالصلاة على النبي * إن كنت تؤمن بالرسول وشرعته
صلى عليه الله فى كتب الهدى * قد أُنزلت بنعوته وفضيلته
توراتهم جاءت بوصف نبينا * وكذاك إنجيل أتي ببشارته
فاقرأ مباحثنا التي قد فُصلتْ * فيما مضي تجد البيان بصحته
صلى عليك الله ياعلم الهدى * يامن أنار العالمين بسنته
وعلى النبيين الكرام وآله * والمرشدين الي الهدى بطريقته

قال الله تعالى جل ثناؤه (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) ولما سكت عن موسي الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم

إصرَهم والاغلالَ التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النورَ الذى أُنزل معه أولئك هم المفلحون قُل يا أيها الناسُ اني رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبيّ الاميّ الذى يُؤمنُ بالله وكلماته واتّبعوه لعلكم تهتدون) سورة الأعراف من آية ١٥٢ - الي ١٥٨

﴿ دعاء مأثور مستجاب ﴾

اللهم يامن كرمه لا يُحد وقضاؤه لا يُرد وصفاته قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أسألك أن تفعلَ بى ما أنت أهلهُ ولا تفعلْ بى ما أنا أهلهُ إنك أهلُ التقوى وأهل المغفرة وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم



﴿ الوصل الخامس عشر في ذم الارتداد والالحاد ﴾

والرد على مفتريات الدكتور طه حسين

(١) قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يُحبّهم ويُحبّونه أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين يُجاهدونَ في سبيل الله ولا يخافون لومةَ لائمٍ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ والله واسعٌ عليمٌ . إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يُقيمون الصلاةَ ويؤتونَ الزكاة وهم راكعون . ومنْ يتولّ الله ورَسوله والذين آمنوا فان حزب الله همُ الغالبون) سورة المائدة آيات ٥٤ ـ ٥٦

﴿ شرح الآيات ﴾

(١) قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا) أى صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (من يرتد منكم عن دينه) فيبدله باليهودية أو النصرانية أو أي نوع من أنواع الكفر فلن يضر الله شيئا وليعلم أن الله تعالى يأتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه وقال الحسن في سبب النزول علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم أنه سبحانه سيأتي (بقوم يحبهم ويحبونه) فتكون الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا

وقوله تعالى (يحبهم ويحبونه) معني يحبهم يرضى عن أفعالهم فيؤيدهم وينصرهم

(٢) وقال جل ثناؤه (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمناً يوم القيامة اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير . إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ما يقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) سورة فصلت آيات من ٤٠ ـ الى ٤٣

﴿ وفى الحديث الشريف ﴾

(١) روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم

على من خالفهم ومعني يحبونه يطيعونه ويعملون على تأييد دينه وهذا تفسير بلازم المحبة وانما قدم محبته على محبتهم لأن محبتهم اياه نتيجة محبته الازلية اياهم فتلك أصل وهذه فرع والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف معناه فسوف يأت الله بقوم مكانهم أو بقوم غيرهم قوله (أذلة على المؤمنين) أهل رقة على أهل دينه (أعزة على الكافرين) أهل غلظة على من خالفهم في دينهم وهذا كقول الله (أشداء على الكفار رحماء بينهم) (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) أما الواو فى قوله (ولا يخافون) فاما أن تكون للحال أى يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين حيث يخافون لومة أوليائهم اليهود وإما أن تكون للعطف كقوله * الى الملك القرم وابن الهمام * أي هم الجامعون بين المجاهدة لله وبين الصلابة في الدين اذا شرعوا في أمر من أمور الدين لا يرعبهم اعتراض

وأموالهم والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه .

(٢) وروى البخاري أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار ملعون كل قتات ملعون كل نمام ملعون كل منان (صدق رسول الله ﷺ)

﴿ قال الراجي عفو ربه ﴾

ايماننا بالله والكتب التي * قد أنزلت هو واجب في شرعته
والانبيا والمرسلين وما أتى * ببيان طه في الحديث وسنته
وكذاك إجماع الأئمة حجة * في ديننا ودليله من آيته
من يكفرن بكل ذا أو بعضه * أعماله حبطت وباء بخيبته

معترض وفي وحدة اللوم وتنكير اللائم مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام (ذلك) الذي ذكر من نعوت الكمال من المحبة والذلة وغيرها (فضل الله يؤتيه من يشاء) أي إحسانه وتوفيقه (والله واسع عليم) تام القدرة كامل العلم يعلم أهل الفضل فيؤتيهم الفضل

(واعلم أن للمفسرين خلافا في أن القوم المذكورين في الآية من هم قال الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم أبو بكر وأصحابه لانهم الذين قاتلوا أهل الردة وقال السدى نزلت في الانصار وقال مجاهد هم أهل اليمن لانها لما نزلت أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى أبي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقال آخرون هم الفرس لما روي أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فضرب يده علي عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله

فالكفر إنكار لأمر ثابت * في الدين معلوم لنا بضرورته
أرأيت متخذ الهوى مولىً له * وأضله ربى بطمس بصيرته
من ذا الذى يهديه من بعد العمى * غيرُ الأله بفضله وعنايته
وعناية المولى لمن يأتي له * مستسلما يخشاه مُخْلصِ نيته
منهم على علم ولكن قد عَموْا * عن دينهم بمتاعهم وبزينته
ظن الغبيُّ بأن تُهمةَ ديننا * من غير ماحقٍّ تُسيء بسمعته
فيحوز مرضات الكثير ليُغدقوا * نِعما عليه وذا قُصارى بُغيته
لاسيما فى بؤْرة الألحاد اذ * فيها يَرى أعوانه في نُصْرته
فى عصرنا ظهر الفساد بكثرة * عصرِ الخروج عن الحياء وحشمته
فاهجره لا تحفل به مهما يكن * من شأنه فهو المضل بفتنته

رجال من أبناء فارس وقالت الشيعة نزلت فى على رضي الله عنه وكرم الله وجهه لماروي أنه صلى الله عليه وسلم دفع الراية الى على يوم خيبر وكان قد قال لأدفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ولأن مابعد هذه الآية نازلة فيه باتفاق أكثر المفسرين

وفى رأينا أن هذه الآية تصلح لجميع هذه الأقوال بل يتجدد مافيها من الوعد بتجدد الظروف والحوادث الي يوم القيامة وما ذلك على الله بعزيز وقوله تعالي (إنما وليكم الله ورسوله الخ) معناه ظاهر والله أعلم

(٢) قال الله تعالى (ان الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا) الالحاد هو الميل والانحراف عن الحق فالالحاد فى الآيات الخوض فيها بالباطل وقد ذكر الله وعيد الملحدين في آياته المنحرفين عن الجادّة بقوله (لايخفون علينا) وكفى به وعيدا

شرّ من الشيطان يدعو للردى * وخسارة الدارين ضَلّ بدعوته
فتذكروا ثم احذروا فتن الذى * سيبوء بالخسران حسب جريئته
من كذّب الكتب التى قد أنْزِلت * فى بعض ما اتفقت عليه بصحته (١)
ومن افترى كذبا على الله الذى * خلق الخلائق كلها بمشيئته
ان لم يتب عن ذنبه ياويله * من فعله الممقوت ذا وضلالته
ان الذين قد افتروا لن يُفلحوا * ومتاعهم فيها يزول لقلته
وعقابهم ان لم يكن فى عاجل * فمؤجّل في النار يومَ قيامته
وصُرَاخهم فيها كثير والنّدا * هلاّ رُجوعا للقيام بطاعته
فلعلنا يارب نَعملُ صالحا * غير الذى كنا عليه لخسته
قال اخسؤا فيها ولا تتكلموا * أو لم نعمرْكم لذكر عقوبته

ثم أكده بالاستفهام على سبيل التقرير وهو قوله (أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة) ثم هددهم بقوله (اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم وقوله (إن الذين كفروا بالذكر) القرآن (لما جاءهم) من عند الله على لسان رسوله وخبر ان محذوف تقديره يجازيهم بكفرهم مثلا (وانه) اى القرآن (الكتاب عزيز) والعزيز معناه الغالب القاهر بقوة حجته على ماسواه من الكتب والمراد أنه عديم النظير لأن الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته ثم أكد هذا الوصف بقوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال صاحب الكشاف هو تمثيل أي لا يتطرق البطلان اليه بجهة من الجهات فلا

(١) يشير الى قصة ابراهيم المتفق عليها فى الكتب المنزلة والتي كذبها طه حسين

قد جاءكم رسلي فكذبتم بهم * فالآن ذوقوا مره مع شدته
لقداعتدى رجل السخافة وافترى * عام أربعين وخمسة من هجرته
من بعد الف والمئات ثلاثة * زورا أتي في قوله وعبارته
بكتابه الشعر العتيق الجاهلي * فيه افتراءٌ قد بدا بضلالته
أستاذُ جامعةٍ مضلٌ جمعها * بلسانه الغاوى وخبثِ طويته
قد كذّب التوراة فيما أوردت * من قصة ابراهيم رافع كعبته
بل كذّب القرآن أيضا إذ نفى * ماجاء فيه عن الخليل وقصته
زعم المضل بأن تاريخَ الملا * ما فيه ذكر للخليل وعترته
فلذاك لم يحفَلْ بقرآن ومن * أولى بتصديق فيا لغباوته
قدفضل التاريخَ عن كُتب الهدى * وهى الهدى لمحصّن لعقيدته

ينقص منه شيءٌ ولا يزاد عليه شيءٌ وقيل أراد أن لا تكذبه الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل ولن يجيء بعده مايخالفه نوع من البطلان ولا يخفي ضعفه (تنزيل) أي هومنزل (من) إله (حكيم) في جميع أفعاله (حميد) الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه ثم سلى نبيه عليه السلام بقوله (مايقال لك الاماقد قيل للرسل من قبلك) أى مايقول لك كفار قريش الا مثل ماقال للرسل كفار قومهم من المطاعن فيهم وفى كتبهم قوله (ان ربك لذو مغفرة) لمن رجع الى الحق (وذوعقاب اليم) لمن أصر على الباطل لقوله تعالي (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافرفاولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والا خرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذه الآيات تجر بذيلها علي ملحدى هذا العصر وسننقل فى آخر هذا الوصل ما كتبه بعض الفضلاء من الردود القيمة التى فتكت بزاعم

اصٌ انقل كتابه بحروفه * من قول بعض الملحدين بخُفْيته
إنكارُ بعض الآى من قرآننا * كفر بدين المصطفى ورسالته
ومن الغريب حصوله من مدّعٍ * للعلم والاسلام بين عشيرته
هذا أضرّ على العوام من الوبا * والدين أيضا فاحترس من فتنته
فالله يحمى المسلمين بفضله * من مثْل ذا الغاوى وشر دسيسته
منْ يُضْلل المولى فلا هادٍ له * ويَرى الضلال هدى لطمس بصيرته
مَن حجّ أوربا وطاف بارضها * سلبتْه حبَّ بلاده وعشيرته
ولربما متدينٌ مذ حجها * قد عاد مفتونا بغير ديانته
ومرافقا لقرينة غربية * قصدْ التعاون فى إصابة بُغْيته
فاصابه خزىٌ لسوء صنيعه * من بعد ماظن البلوغ لغايته

طه حسين فتكا ذريعاً وأدحضت مفترياته ادحاضا (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبي الله الاأن يتم نوره ولو كره الكافرون ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثما مبينا) (ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قويٌ عزيز لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم

مِثْلَ الذى ثبتت عليه جرائمُ * بكتابه المشؤم أسِّ مصيبته
كرهته أهل الارض طُرًّا والسما * حتى أبوهُ وأمّهُ مع إخوته
إلا الذى هو مُلحد من حزبه * ويل له ولحزبه بضلالته
أعمى ويخطب فى المراسح كلما * أغراه سلطانُ الهوى بغوايته
حبًّا لدُنْيا والمتاعِ وزخرفٍ * كلٌّ يميل لما يحب بفطرته
خزىٌ له فى ذى الحياة وبعدها * إن لم يتب عن غيّهِ فى خطته
فانظر الى كتب الافاضل إنها * تقضى عليه بكفره وبخيبته
هذا الذى بلغ النهاية فى العمى * بصراً وقلباً في الضلال وظُلمته
أعمالهِ من سوءها دلت على * خُلُق ذميم معْ خباثة نيته
أملى له المولى ليطغى في الدنا * ويزيده إثما لسوء عقوبته

﴿شرح الاحاديث﴾

في الحديث الأول يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (المسلم) الكامل الاسلام (من سلم المسلمون من لسانه ويده) فلا يتعرض لأحوالهم بعيب ولا لأعراضهم بتنقيص أما الذى يؤذى المسلمين بلسانه فى أحوالهم واعراضهم أو يؤذيهم بيده بضرب او كتابة او نحوهما فليس كامل الاسلام لان الاسلام لو تمكن من قلبه لتحاشي هذا الايذاء

وبقية الحديث ظاهرة المعنى

وأما الحديث الثانى ففيه لعن أصحاب الوجهين ومنهم المنافقون في الاسلام الذين

عذراً اذا فاه اللسان بذمه * اذذاك من غضب الفؤاد وثورته

فلقد أساء لديننا فدفاعُنا * متحتم شرعا لمنع إساءته

فالجهر بالسوء الذى هو مبغَض * عند الاله خلافُ ذاك آيته

يا أمة الاسلام هذا جاحدٌ * لا ينبغى أن يستهان بحالته

ضَرْبا على يده لنصرة ديننا * ويل لمن يرضى به وبشيعته

ماذا يجيب القادرون على الجزا * وإقامةِ الدين الحنيف ونُصرته

يا ويلهم من ربهم يوم اللقا * وعقابُهم بعد السؤال ودقته

في شرح هذا الوصل فاقرأ واستمع * قَولا سديدا ثابتا بأدلته

واحكم على الباغى وأرباب الهوى * حُكم المحب لدينه وعشيرته

من حارب الله القوىَّ ودينَه * يُبلى بخزى والعذاب بغلظته

(إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون)

ومنهم المنافقون فى الصداقة الذين يلقوْن الناس بوجه حسن فاذا خلوْا الى غيرهم عبسوا عند ذكرهم وتأففوا فكل هؤلاء ملعونون مطرودون من رحمة الله فلا يدخلون الجنة أصلا كالفريق الأول أو لا يدخلونها مع السابقين بل بعد استيفاء ما عليهم من العقاب كالفريق الثاني

وفيه لعن لاصحاب اللسانين الذين يلقوْن الناس بلسان المدح فاذا انصرفوا عنهم وقعوا فى أعراضهم والشغار الذي يحرش للعداوة بين الناس بذكر ما أساء به فريق الي فريق والقتات (بتاءين الاولى مشددة) هو النمام فالجملة الخامسة مؤكدة لما قبلها والمنان الذى اذا أحسن لشخص ذكره باحسانه وتحدث بذلك بين الناس ومن هذين الحديثين يعلم ما يجلبه اللسان على الانسان من ضرر ولذا يقول الرسول

ولقد سمعنا منكرات قد بدت * أسبابها الالحاد جا بحضرته
رجل تسرى بابنة لشقيقه * حتى أتت منه ببعض سلالته
فتهودت قالت لوالدها الذى * قد حار فيما قد رأى لشناعته
هذا ومرتكب الجريمة حائز * لشهادة عليا ورفع وظيفته
فترى المفاسد غالبا ممن همو * متفرنجون بتركهم لشريعته
قد حرم المولى علي الانسان من * تلك النساء الأمهات واخوته
وبناته عماته خالاته * وبنات إخوته كما فى آيته
فاقرأ لآخرها بسورتها التى * تدعى النسا تعلم أوامر شرعته

صلى الله عليه وسلم اذا أصبح ابن آدم فان الأعضاء كلها تفكر اللسان فتقول اتق الله فينا فانما نحن بك فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا رواه ابن خزيمة عن أبي سعيد ويقول صلى الله عليه وسلم أيضا ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالي لا يُلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايرى بها بأسا فيهوى بها فى جهنم سبعين خريفا رواه الحاكم عن أبي هريرة (والخريف) السنة ويقول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الترمذى عن معاذ بن جبل حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخله الجنة فقال تعبدُ الله لاتشرك به شيئاً وتقيمُ الصلاة وتؤت الزكاة وتصومُ رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير. الصوم جُنة والصدقة تُطفئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا قوله تعالى تتجافي جنوبهم عن المضاجع ثم قال ألا أخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يارسول الله قال رأس الأمر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يارسول

لـكنّ بعضِ الناس ضل عن الهدى * وأتوا بمـا لم يتفق مع حكمته
كرئيس تُركيّا يُقال بأنه * قد قال لا دينٌ لجمهوريته(١)
وَسيُحذَفُ اسمُ الدين من دستورها * لمّا يَحين الوقتُ قصد إماتته
أسفًا على تلك البلاد وأهلها * كم جاهدوا فى الدّين بغية نصرته
فابعث الهى من يُعيد لديننا * فى ذى الديار وغيرها من قوته
استغفر الله العظيم مخافةً * من سُخْطِ مولانا وبغض خليقته
ثم الصلاة على النبى وآله * ومن اهتدى بالله حق هدايته

الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يانبى الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناسَ فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائدُ السنتهم اللهم ثبتنا على الايمان واعصمنا من زلل اللسان واجعل هوانا تبعا لما جاء به سيد ولد عدنان . مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم لايؤمن أحدكم حتى يكونَ هواه تبعا لما جئتُ به .

---

(١) جاء بكوكب الشرق الصادر في يوم الاثنين ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٢٧ بالتلغرافات العمومية أن مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية خطب خطبة طويلة في ٢١ اكتوبر المذكور صرح فيها أن الدولة التركية ليست مقيدة باي دين أما النص الوارد فى دستور الجمهورية وهو ان الاسلام دين الدولة فلم يكن سوى تسوية وتفاهم مع النظرية القديمة التي كان يظن منذ ثلاث سنوات أنه من المستحسن وضعها موضع الاعتبار ولـكن هذا النص سيلغى حالما تسنح الفرصة لحذفه وقد اغرورقت عيناه حال نزوله من الخطابة والله يعلم حقيقة امره ؟

الردود على مفتريات طه حسين

(أولا - ملخص رد فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوى)

نشرت جريدة الفتح بتاريخ ١٣ جمادى الاول سنة ١٣٤٥ مقالا لفضيلته تحت عنوان (حول كتاب الشعر الجاهلى)

وقد استهله بقوله (تهور الدكتور طه في كتابه تهورا خاليا من الذوق والأدب والعقل فقال على الله ماشاء وعلى أنبيائه وكتبه ماأراد وعلى رجال التاريخ ماتخيل وكأنه توهم نفسه حاكما مستبدا لايراجع فيما يقول ولا يسأل عما يفعل فحكم على كثير من أشخاص التاريخ (بالاعدام) ومحا أسماءهم من الوجود بلا ذنب ولا جريمة أو نقول جادّين بلا دليل ولا برهان ولكنه شاء ذلك فكان الى أن قال وما عجبت لشيء عجبي لدعوى الايمان بعد هذا التكذيب الصريح للقرآن والتوراة واذا كان هذا لايخرجه عن الايمان فاى شيء يخرجه بعد ذلك وهل يقبل الله منه تلك الدعوة الكاذبة بعد مانسب الاحتيال اليه وجوز المحال عليه ولعله يجيز الغفلة على الله كما أجاز عليه الحيلة ثم قال (وبعد) فلست أريد أن أبين أن مافى الكتاب من مسألة ابراهيم واسماعيل مسروق من جهلة المبشرين كصاحب كتاب (مقالة في الاسلام) ولا أن ماذكر فيه عن الشعر الجاهلى مسروق من كلام متعصبي المستشرقين كمرغوليوث فالفكرة على سخافتها ليست له في الموضعين وكذلك لاأريد أن أتعرض في كلمتي هذه لبيان مافي الكتاب من العبارات التي كذّب بها القرآن والتوراة ووجود الاساطير فيهما وذكرهما وقائع غير صحيحة ونسبة الاحتياج الى الله واستغلاله ما كان شائعا من الأكاذيب فان ذلك ظاهر لكل أحد ولو قرأ الكتاب متوحش من زنوج افريقيا وامريكا لم يخالجه ريب فى أن الكتاب يقطر كفرا ويفيض الحادا وأن الروح السائدة عليه السارية في كل فصوله وجميع أبوابه انما هى روح خبيثة تريد أن تصور الامة

المحمدية ودينها ونبيها وقرآنها بابشع الصور وأقبح المناظر الى أن قال فأمر الكتاب واضح لكل من يقرأه ولو كان غير متعلم ثم تكلم مع الدكتور في نقط ثلاث

﴿ الجيولوجيا والقرآن ﴾

رد فيها ماسفسط به الدكتور وليسه على الناس بما قرره علماء الجيولوجيا من خلق الأرض وتكونها على نحو ماهى عليه في مدد طويلة جدا والكتب المقدسة تقول (إن السموات والأرض خلقتا في ستة أيام) فقال فضيلته (فليعلم أولا إن علماء الجيولوجيا لم يروا ذلك باعينهم ولم يقيدوا عليه دليلا حسيا ولا برهانا منطقيا وما أكثر خطأهم عند مايستنبطون أو يتخيلون) الى أن قال (وقد أصبحوا يجوزون الاستحالات الفجائية حتي فى الأحياء ويجوز أن تكون هناك نواميس لايعرفونها وأسباب الانقلابات السريعة لم يصلوا اليها وهى جائزة لاشك فيها على أن قدرة الله صالحة لكل شيء وقد قال تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال (ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) والعلم معترف بقصوره والعلماء الراسخون الذين لايغشون أنفسهم ولا يغشون الناس يعترفون بتلك الحقيقة مرددين صدا قول الله تعالى (وما أوتيتم من العلم الاقليلا) ثم قال على ان هذه الأيام غير معروفة المقدار فيجوز ان يراد بها الأدوار التي مرت عليها الأرض وقد قال بعض السلف أنها من أيام ربك وفى القرآن نفسه (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) وفي آية أخرى (فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) فسمي ذلك كله يوم وقد قرر علماؤنا أنه يستحيل حمل الايام على هذه الايام المعروفة لانها لم توجد الا بعد خلق الارض والسماء والشمس والكواكب فكيف تكون مخلوقة فيها وهى متوقفة عليها وهل هذا الا الزور بعينه وقد أثبت فضيلته في هذه النقطة جهل الدكتور وفساد قياس نفسه على الباحثين والمكتشفين فانهم نفعوا وماضروا واكتشفوا ولم يسفهوا أماالدكتور فهو على العكس من ذلك فضلا عن تخبطه في استنتاجاته

﴿ التناقض والدكتور ﴾

قد بين في هذه النقطة عقلية الدكتور وأثبت أنه يجمع بين النقيضين ويتصور ما يأبى أن يتصوره الطفل الصغير بل الحيوان الاعجم حيث يقول الدكتور أنه يؤمن بما جاء في القرآن كمسلم وبما يقرره العلم كعالم ومعنى ذلك أنه يصدق بالنقيضين فيقول مثلا ان وجود ابراهيم واسماعيل حق لانه ورد في القرآن وباطل لأن العلم يقضي ببطلانه وهل رأيت أعجب من هذا الى آخر ما ال

(فساد تأويلات الدكتور وعدم نفعها من الوجهة القانونية)

وهنا ذكر فضيلته ما يريده القانون من وضع تلك المادة التي يعاقب الطاعن على دين محترم حيث قال (فالذي لاحظه القانون واحتاط له وعاقب عليه متحقق في كتاب الدكتور طه بكل معانيه ولا تنفع هذه التأويلات غير المعقولة شيئاً في تهدئة الخواطر وتسكين العواطف والأمر جلي لايحتاج الى تطويل)

ثم ختم مقاله ملفتا نظر القارئ الى أن الدكتور يقول ان العلم لايثبت وجود الله تعالى (فويل للناس من العلم وويل للعلم من الدكتور) مع أن دلالة الأثر على المؤثر والنظام على المنظم بديهية والبرهان على الله عقلي .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

بقوله وكل من لايأخذ العلم الا عن المحسوسات فهو من شر الدواب فان البهائم هي التي لا تعرف غير الحس وليس لها من العقل ماتتصرف به بل هو شر مكانا وأضل عن سواء السبيل أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا

ولولا خوف الاطالة لاستوعبنا هذه المقالة لما فيها من الفوائد العظيمة الخ ولفضيلته رد آخر نشر في جريدة كوكب الشرق لغراء بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٢٦ وهو مثبت في مجموعة الردود المطبوعة بمطبعة السماح الواقعة بشارع محمد على بالسيوفية بالمناصرة وقد اكتفينا بالاشارة اليه مراعاة للاختصار اهـ

﴿ ثانياً ـ ملخص رد السيد محب الدين الخطيب ﴾

(ثانيا) ونشرت جريدة الفتح في العدد نفسه بامضاء السيد المذكور مقالا انتقاديا تهكميا بعنوان (ماأعرفه عن طه حسين) أتى فيه على أطوار حياة الدكتور الأدبية وبين كثيرا من مخازيه وأضاليله ـ فقد ذكر الدكتور عن نفسه أنه كان ينتقد (النظرات) للسيد المنفلوطي في مقالات أسبوعية امتازت بطلاوتها وجمال ديباجتها ونبل مقاصدها فنالت الحظوة بذلك عند قراء العربية في مصر وغير مصر ولكن الحقيقة كما بينها السيد محب الدين أنه لما ظهرت الطبعة الاولى (من النظرات) وجد فيها بعض الافاضل من رجال الحزب الوطني فقرات آلمتهم فرأوا أن تعمل صحيفتهم على انتقاد النظرات والحط من شأنها فدفعوا الى الاستاذ محمد صادق أفندي عنبر أحد محرري صحيفة العلم أوالشعب يومئذ كتاب النظرات لانتقاد مافيها وكانت الصحافة التي يودعها علمه في اللغة والبلاغة والأدب تعطى يوما بعد يوم الى طه حسين الطالب الازهري المنصرف عن دروسه العلمية في الأزهر الى التردد على أبواب الصحف فيفرغها هذا في فصول كان الناس يقرؤنها فينتفرون مافيها من سلاطة طه حسين وهذره لما فيها من علم صادق عنبروأدبه ـ وكان من نتائج تردده على أبواب الصحف اثناء دراسته الازهرية خروجه صفر اليدين منها ولعل عدم نجاحه في الازهر كان خميرة عداوته له وحنقه على أهله ولقد قال عنه أستاذه الشيخ محمد المهدى أيام ان كان طالبا بالجامعة المصرية اذ كان يشكو من جرأة طه حسين على المناقشة في مباحث دقيقة لم يستكمل أدوات العلم بها ولا عماد له في المناقشة غير السلاطة والذكاء (ان رأس هذا الفتى كالقدر الفارغة تحتها نار تتلظى فلا هو يشفق على القدر فيملؤها بما يقيها جور النار ولا هو يبقى على النار الى ان يتسنى له الانتفاع بها في الوقت المناسب) يريد أن طه حسين يشرع في اقتحام المباحث العلمية مخدوعا بذكائه مكتفيا بما يقع تحت يده من كتب قريبة المأخذ ظانا أن فيها العلم كله ثم بين بعد ذلك ـ أن اجازته العلمية

التى أخذها من أوربا لم يأخذها باستحقاق وجدارة وأن الأساتذة الذين امتحنوه سلكوا معه مسلك التسامح لاعتبارات تمثلت في أذهانهم ككونه رجلا شرقيا مكفوف البصر منسوبا ـ بالحق أو الباطل الى معهد اسلامى هو الازهر والعادة المتبعة في الجامعات الأوربية تقضى على أساتذتها بان لا يتقيدوا كثيرا في منح الشرقيين الشهادات كما هى الحال عندنا بالنسبة للغرباء ـ وأما الرسالة التي قدمها الي أساتذته في مدرسة (السوربون) عن ابن خلدون فقد قيل عنها أنها مملوءة بالفضائح منها أنه كذب ابن خلدون في دعواه أن من الكتب التي درسها في صباه كتابا اسمه (مختصر ابن الحاجب في فروع المالكية) ولكون حضرة الدكتور لم يسمع بهذا الكتاب اعتبره أنه غير موجود في الدنيا ومن ثمة يجب أن يكون ابن خلدون كاذبا مع العلم بان ابن الحاجب له مختصران أحدهما في الاصول والثاني في الفروع وتلك حقيقة يعلمها طلاب العلم بجامع الزيتونة والازهر من المالكية وقال عنه السيد محب الدين (لو كان هذا الدكتور الجرىء متمرنا على طرق التحقيق ومستأنسا باساليب البحث المأمونة العواقب لتأنى كثيرا قبل أن يهجم هذه الهجمة الخائبة المخزية على طود عظيم في الاسلام كابن خلدون ولدفعته السليطة العلمية الي مراجعته كشف الظنون على الاقل الخ ثم أتى بعد ذلك على مفتريات الدكتور في كتابه الشعر الجاهلى ـ وقد أثبت جهله وخطأه فى استنتاجاته خصوصا فيما قرره بين يدى النيابة بقوله (ان الحوادث الواردة فى القرآن تنقسم الى قسمين فما كان منها معاصرا للقرآن فهو صحيح وما كان منها متقدما على نزول القرآن فغير مأذون له بالدخول في حرم التاريخ) فلقد أبطل كلامه في هذه المسألة وختمه بقوله (ان تمحيص هذه المسألة وجلاء غوامضها من متممات الابحاث التى تعرض لها الاستاذ فى كتابه الشعر الجاهلى ويبقى كتابه ناقصا ودروسه على أبنائنا في الجامعة مشوهة ومضحكة اذا لم يعلن للناس قوله الفصل فيما التمست منه توضيحه) ـ ثم أشار بعد ذلك الى مزية أخرى للدكتور طه حسين لا يشاركه فيها غيره فانه مع عدم سنوح

الفرصة له فى أيام شبابه بتلقى مبادئ الدروس الثانوية استطاع أن يتولى منصب الافتاء فى علوم لا يعرفها كعلم الطبيعة والكيمياء والفلك وطبقات الارض والنبات والحيوان وما يتوقف عليه بعض هذه العلوم كالجبر والمثلثات المستوية والكروية واللوغاريتما والهندسة بجميع أنواعها فتراه مع جهله هذه العلوم يكتب المقالات الضافية في أنها تناقض الدين وتنافيه وقد قال بالتنا مهماو توافقهما جمهرة الاختصاصيين مثل ماتنيبون استاذ الكيمياء في كوليج واندره بلندن العالم الطبيعي وشال ريشه أستاذ كلية الطب فى باريس واضرابهم فهؤلاء لايزالون يعتقدون أن الدين والعلم صنوان لا يفترقان كما كان يقول بذلك ابن رشد ثم الشيخ محمد عبده ولعلهم يقولون ذلك لانهم بلهاء صغار العقول لا يوثق بعلومهم وأما طه حسين فمع عدم درسه لهذه العلوم أصح منهم معرفة بها وأبعد نظرا وأقوم تفكيراً

ثالثا ــ رد العلامة فريد بك وجدى

وضع العالم الاجتماعى الكبير الاستاذ محمد بك فريد وجدى كتابا سماه (نقد كتاب الشعر الجاهلى) لخص فيه فصول كتاب طه حسين ثم نقدها نقدا علميا هادئا متواضعاً وقد ذكر في مقدمته أنه قرأ فى الصحف أولا تقاريظاً لكتاب الشعر الجاهلى ثم انتقادات على احواه من اتباع سبيل غير المؤمنين وجحوده بعض مانص عليه القرآن المبين وأنه قرأ أيضا أن علماء الازهر اجتمعوا وقرروا أن فى كتاب الدكتور طه حسين كفرا صريحا وطلبوا من الحكومة مصادرة الكتاب ومنع مؤلفه من التدريس لئلا يفتن ناشئة الامة بما يبثه فيها من الاضاليل وان الدكتور رغم هذا أعلن فى الجرائد أنه لم يقصد الطعن فى الدين وانه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وانه من اجل هذا كله قرأ الكتاب ووجد فيه اخطاء اجتماعية وبسيكولوجية وفلسفية لا يصح السكوت عليها وان الدكتور عول فى مؤلفه على كتب المحاضرات وهى مراءة الاكاذيب ومستنقع المفتريات من كل نوع وان الدكتور بفعله طمس معالم أكبر ثورة اجتماعية حدثت

في العالم وهي ظهور الديانة الاسلامية ثم نقل فصلا من كتاب الدكتور يدعى فيه أنه أول من شك في الشعر الجاهلى ففند فريد بك دعواه التى ادعاها ونقل أن جماعة من الأدباء الاقدمين شكوا في الشعر الجاهلى منهم المفضل الضبى من أكبر علماء اللغة المتوفى سنة ١٨٦ هجرية والامام الجاحظ المتوفى سنة ٢٢٥ هجرية والعلامة ابن سلام والاصمعى وأخيرا ماأثبته الاستاذ مصطفى صادق الرافعى في كتابه المسمى تاريخ آداب العرب الذى نشره سنة ١٩١١ فليست طريقة بحث الدكتور جديدة في عالم الادب ثم نقل فصلا اخر قال الدكتور فيه أنه يسير على مذهب (ديكارت) وساق عبارات علق فريدبك بأنها مفرغة فى قالب الخروج على الجماعة وأنحى بالأئمة على الباحثين المتأخرين فى أنفتهم من الانتماء للقران والدين الاسلامى مع أن مذهب (ديكارت) في البحث هومذهب القران الشريف فقد محق القران التعصب للقوميات والشخصيات بقوله (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) كما نهى عن اتباع الظن وأوجب الاخذ باليقين في الابحاث فقال (ولا تقف ماليس لك به علم) وقال (ان الظن لايغنى من الحق شيئا) فكان الواجب على الدكتور أن يقول أنه سيسلك المذهب القرانى فى البحث

ونذكر هنا بعض فقرات من كتاب الدكتور يتبين جليا أن الكفر والالحاد يقطران من كل حرف من حروفها مع رد العلامة فريد بك وجدى ملخصاً

يقول الدكتورطه حسين (اننا مضطرون أن نرى فى قصة هجرة اسماعيل الى مكة ونشوء العرب المستعربة بها نوعا من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الاسلام واليهودية والقران والتوراة من جهة أخرى وأقدم عصر يمكن ان تكون قد نشأت فيه هذه الفكرة أنما هو العصر الذى أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلادالعربية . فنحن نعلم أن حروبا عنيفة شبت بين اليهود وبين الذين كانوا يقيمون في هذه البلاد وانتهت بشيء من المسالمة

والملاينة فليس ببعيد أن يكون هذا الصلح منشأ هذه القصة التي ستجعل اليهود والعرب أولاد أعمام) ثم قال (أمر هذه القصة اذا واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام واستغلها الاسلام لسبب ديني . وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضا) وهنا قال فريد بك في الرد عليه ان شمال بلاد العرب لا يسكنه العدنانيون من ذرية اسماعيل وحدهم بل يساكنهم فيه العرب القحطانيون فكان بنو غسان في بادية الشام وهم أول من لقيهم اليهود من العرب في طريق هجرتهم . وكانت قبيلتا الاوس والخزرج سكان المدينة الذين اختار اليهود جوارهم من القحطانيين أيضا . وكان في شمال بلاد العرب من القبائل القحطانية بنو مذحج في أطراف الحجاز . وبنو الازد في منى . وبنو خزاعة بجوار مكة وجل هذه القبائل اشتركت في اصلاء اليهود نيران الحروب وكانت أشدها عليهم فاذا كانت قصة هجرة اسماعيل الى مكة قد اخترعها اليهود لاثبات قرابتهم للعرب بقصد رد عاديتهم عنهم فلماذا جعلوا هذه القرابة خاصة ببعض العرب دون البعض الآخر وكلهم كانوا سواء في خصومتهم . بل كان أول من قابلهم في طريقهم القبائل اليمنية وقد اختاروا أن يجاوروا تلك القبائل بقرب يثرب . ومادام أساس هذه القصة الخدع والتزوير وقد حدثت قبيل ظهور الاسلام أى بعد هجرة القبائل اليمنية الي شمال بلاد العرب فأى داع جعلهم يقتصرون في الخدع على بعض القبائل دون البعض الآخر . ثم لو كانت هذه القصة حيلة من اليهود افتعلوها ليعيشوا مع العرب بسلام آمنين لكانوا حين أجمعوا على الهجرة الى بلاد العرب . وجعلوا ترويجها بين العرب باكورة أعمالهم لأن يبدءوا هجرتهم بالحروب العنيفة حتى اذا طحنتهم المعارك سنين ابتكروها لتكون سببا في اجتلاب عطف خصومهم عليهم

وهل ابتكارها بعد تلك المعارك الطاحنة لا يثير في نفوس العرب الشك في صحتها بل الجزم بانها حيلة يراد بها خضد(١) شوكتهم وثلم حميتهم ، وعلى أى أساس طاف بمخيلة اليهود أن هذه الحيلة ترد عادية العرب عنهم . أآنسوا ام

(١) أي كسر

يكبرون شأنهم الى حد أنهم يفخرون بقرابتهم لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ليطردوهم من بلادهم . أرأوهم يباهون بالاعتزاء الى أب أجنبي عنهم فاتوهم من جهة ميلهم هذا وأوهموهم أنهم أبناء اسماعيل لا أبناء رجل عربي صميم . وهم معروفون منذ أقدم أيامهم بكراهة الدخلاء . وتحقير الملحقين والادعياء حتي أنهم ليسمون من كانت أمه عربية وأبوه أجنبيا بالهجين تحقيراً له

أشاهدوا أن العرب يعظمون اليهودية ويعتبرونها ديناسماويا صحيحا فيسرهم أن يكرموا وفادة الآخذين به فزوروا لهم هذه القرابة

أأحسوا أن العرب يعظمون ابراهيم ويعدونه نبيا ويسرهم أن ينتسبوا اليه فقاموا بتزوير هذه النسبة لهم توسلا بها لنيل مرضاتهم

أعلموا أن العرب كانوا يحبون التوحيد حبا جما ويحبون كل داع اليه . ويسرهم أن يكونوا أقرباء زعمائه الاولين فاختلبوا البابهم بتمويه هذه الحيلة عليهم وهم المعددون للالهة القائلون لمحمد عليه الصلاة والسلام (اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب) الآيات وقالوا (أئنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون) كما ورد في القران عنهم فى سورتى (ص) (والصافات)

ومما يدل دلالة تكاد تكون محسوسة على أن قريشا لم يطف بخيالها هذا الترويج قط عدم عنايتها بتسمية أولادها بابراهيم واسماعيل وأنت خبير أن هذه التسميات ذات دلالات قوية على تطور الحوادث الاجتماعية حتى أنها وحدها لتشيرالي مبلغ تشيع الشعوب لبعض الافراد الممتازين ، أوالى دور انتقال جديد أو الى اتجاه الامة نحو مثل أعلى فى الحياة الأدبية . أما الذى أحيا هذا التاريخ القديم فى البلاد العربية . ووصل بين حلقات الحوادث الخاصة به . وأشار بذكر ابراهيم واسماعيل فهو القرآن وحده لانه جاء بالتوحيد وابراهيم كان أشهر الداعين اليه فى الاولين . وهو مع هذا الجد الاعلى لكثير من القبائل العربية . وباني الكعبة فكان من مصلحة الدعوة الاسلامية ترويج هذا التاريخ الصحيح واشاعته بكل مافى الوسع من بيان وتأثير

فالقرآن هو الذي أحيا اسمي ابراهيم واسماعيل في بلاد العرب . ونوه بديانتهما الحنيفية القائمة على التوحيد والتنزيه . ودعا ذريتهما العرب الى الأخذ بها ونشرها في العالمين حتي أن الدين قرن اسمه في التشهد في الصلاة باسم خاتم النبيين وهو (اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد)

وقد أنتج التنويه بابراهيم واسماعيل نتيجته الطبيعية فاخذ الناس بدينهما وأكثروا من التسمي باسميهما . هذا هو الترويج لتاريخهما ودينهما ، وهذا أثره في حياة أمة برمتها لا ما كان عليه الحال في الجاهلية .

لهذا الترويج لزعماء المذاهب فائدة لا تنكر فهذا هو الدكتور طه حسين نفسه يكثر من ذكر (ديكارت) ويروج اسلوبه في البحث ترويجا رآه بعضهم (بغير حق) داعيا الى السخرية . فما ظنك لو كان ديكارت هذا جدا أعلى للأمة المصرية أكانت دعاية الدكتور طه حسين له تقف عند حد . وهل كان يلومه عاقل على استهتاره ذلك وبلوغه منه أقصى مايحتمله الوسع . ويقول الدكتور طه حسين (إن قصة هجرة اسماعيل الى مكة نوع من الحيلة لاثبات الصلة بين الاسلام واليهودية واليهودية والقرآن والتوراة)

ونحن نسأله أكان الاسلام . لأجل أن يقوم بما انتدب له من هداية العرب ورفعهم الى مستوى الامم الحية . في حاجة الى انتحال الصلة بينه وبين اليهودية حتي يصح ان يقال انه استغل هذه القصة لمنفعته الشخصية

ان أساس اليهودية التوحيد فهل كان العرب يحبون التوحيد الى حد انهم لايقبلون دينا جديدا لا يكون ذا صلة بالدين الذى يدعو اليه من زمان بعيد وهو اليهودية

ان العرب كانوا يكرهون اليهود واليهودية ويعملون على طردهم وطردها من بلادهم بالسيف والرمح فهل من حسن سياسة الدين الجديد الذي يعمل

لأن يكون دين العرب كلهم أن يثبت أن بينه وبين اليهودية صلة وثيقة من بعض الوجوه

واذا قيل ان محمداً استغل هذه القصة ليسوغ له ادعاء النبوة باعتبار انه من ولد اسماعيل ابن ابراهيم فهل كان هو وحده من بين جميع القبائل العدنانية من ذرية اسماعيل بن ابراهيم . وهل كان من القواعد المقررة عند العرب انه لا ينال النبوة إلا رجل من ذرية اسماعيل ابن ابراهيم

بقي القرآن . فهل كان في حاجة لأن يثبت أن بينه وبين التوراة صلة . وهو ينعى على اهل التوراة تحريفهم للكلام . وصرفهم الامور عن وجوهها . ويشنع عليهم بذكر تمردهم على موسى وهرون وعبادتهم العجل في دور من أدوارهم الخ الخ فهل مما جرت به العادة ان يعمد المحتال على اثبات صلة كتاب بكتاب الى مهاجمة اهله هذه المهاجمة العنيفة ويؤلمهم هذا الايلام الشديد ليحملهم على العمل ضده بكل ما في استطاعتهم أم يلاينهم ويصالحهم ويتوسل لاثبات تلك الصلة بوجوه غاية في المهارة وحسن الاسلوب

ثم اننا نسأل هل كان عرب الجاهلية يحترمون التوراة ويرونها كتابا إلهيا ويتخذون منها تمائم وطلاسم للتبرك بها ويكتبون آياتها على جدران بيوتهم ويحفظون نسخا كاملة منها في معابدهم فرأى محمد أن من حسن التوسل الى قومه أن يعمل جهده على اثبات أن بين كتابه وبين التوراة صلة مؤكدة ليأنسوا به ويحبوه حبهم للتوراة أو أقل قليلا . وهم الذين كانوا يعملون على طرد اليهود من بلادهم بما حملوا من كتابهم وأساطيرهم باقصى ما يتصوره العقل من حرب طاحنة

اللهم اننا لا نرى وجها للحيلة في اثبات الصلة بين الاسلام واليهودية ولا بين القران والتوراة فان كان في القران ذكر عن اليهودية والتوراة ففيه ذكر عن النصاري والانجيل . بل هو قد ذكر النصارى والانجيل وعيسى والحواريين والرهبانية بكثير من العطف فقال: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصاري ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم

لايستكبرون) وقد ذكر أيضا الصابئة والمجوس والدهريين ومنكرى البعث وغيرهم ، ذلك لأن الاسلام قدجاء باصلاح دينى عام للامم كافة فكان من ذكرهذه الأديان والتنبيه على مافيها من الانحراف عن جادة المنطق للتأثير في أهلها كما يضطر الفيلسوف الى ذكر مذاهب أسلافه ونقدها

يقول الدكتور طه حسين : (إن ورود اسمى ابراهيم واسماعيل في التوراة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها - وبعد فنقول اذا لم يكن لدينا الى اليوم آثار محسوسة تدل على أن ابراهيم واسماعيل كانا موجودين وعلى أنهما بنيا الكعبة فان المرجحات التاريخية على وجودهما وعلى صحة ماعزى اليهما تكاد تضع هذه المسائل فى عداد المحسوسات وهنا نذكر مرجحات

(أولها) لامانع من العقل يمنع من وجود ابراهيم واسماعيل . فان القائلين بوجودهما لايزعمون بانهما كانا ملكين . أوكانتين فذين . بل يقولون أنهما كانا رجلين كسائر الرجال يأكلان الطعام ويمشيان فى الأسواق . وكل ماعزى اليهما من الميزات أنهما كانا نبيين يدعوان الناس الى توحيد الله وتنزيهه والأخذ بالفضائل وتجنب الرذائل . مثلهما في ذلك كمثل جميع الأنبياء الذين لاسبيل الى انكار وجودهم التاريخى كموسى وعيسى ومحمد

(ثانيهما) أنهما مذكوران بالاسم في تاريخ أمة عظيمة هى الأمة الاسرائيلية وقد اعتبر أولهما جداً أعلى لتلك الأمة وثانيهما أحد أبنائه . فان لم يكن هو جدها الأعلى لكان غيره فأى مرجح يرجح أنه كان غيره

(ثالثهما) أنه لايوجد مانع تاريخى ولا جغرافي يمنع من أن يكون إبراهيم نشأ بالعراق ثم رحل الى فلسطين

(رابعهما) أنه لايوجد مانع تاريخى ولا جغرافى يمنع من أن يكون ابراهيم

زار بلاد العرب مرة أو مرات وترك فيها ابنا له مع أمه لسبب من الاسباب)

(خامسها) أنه لايوجد مانع مادي يمنع من أن يكون ابراهيم لما زار بلاد العرب بنى بمكة بيتا للعبادة سمي فيما بعد بالكعبة وهي حجرة واحدة قليلة الارتفاع مبنية بالأحجار والطين مناسبة لمباني تلك الجهة يقوم بعملها بناء واحد وقد تهدمت مراراً وأعيد بناؤها وزيدت مساحتها ، ولم يقل أحد بانها كانت معلقة في الهواء أو من الاتساع بحيث تسع الألوف المؤلفة ولا أنها أقيمت من ذهب وفضة ورصفت أرضها بالجواهر الكريمة

(سادسها) أنه لايوجد مانع من أي نوع كان يمنع من أن يكون اسماعيل قد شب وترعرع في مكة ولما بلغ مبلغ الرجال تزوج امرأة من قبيلة كانت هناك تسمى بني جرهم وأنه رزق منها باولاد

(سابعها) أنه لايوجد مانع يحمل العرب على انتحال جد أجنبي عنهم وهم من أشد الناس فخراً بخلوص عربيتهم . ولم يخل اسماعيل من المميزات الأدبية والمادية مايجعل الانتساب اليه من المفاخر التالدة . ولم ينقل عن العرب في الجاهلية أنهم كانوا يفخرون بانسابهم الى اسماعيل . وقد فضلوا أن يتلقبوا بالعدنانية نسبة الى واحد من أجدادهم عدنان عن أن يتلقبوا بالاسماعيلية جدهم الأعلى

كل هذه المرجحات ترجح أن ابراهيم واسماعيل كانا موجودين وأن الثاني منهما شب وترعرع ببلاد العرب وتزوج منهم وامتاز نسله عن العرب القحطانية باسم العرب العدنانية . ولو حذفنا من التاريخ كل شخص لم ترد على وجوده أدلة حسية وآثار مادية لحذفنا أكثر رجاله المشهورين ولم يبق منهم الا أسماء معدودة على أن اجماع أمة برمتها كاليهودية على تسمية نفسها بالاسرائيلية نسبة الى اسرائيل وهو يعقوب بن ابراهيم من منذ وجودها . واجماع أمة أخرى وهي العربية على اعتبار بعضها من ذرية اسماعيل ممالا يصح أن يقابل بالتحفظ الا اذا وجدت قرائن تدل على غير ذلك . وقد رأيت أن القرائن كلها ترجح صحة ذلك ، أما القول بان قصة اسماعيل حيلة دبرها اليهود ليستعطفوا قلوب العرب عليهم فمما لا يسيغه العقل

للأسباب التى ذكرناها فى محلها بالصحف التى سلفت ونقول هنا زيادة على ماتقدم أنه إذا كان للعدنانية مصلحة فى قبول هذه الحيلة فهل للعرب القحطانية من مصلحة فى مشايعتها على هذه الفرية

هذه خلاصة رده فى هذه النقطة (والمطلع على نقد فريد بك وجدى لكتاب الدكتور طه حسين يجد فيه الاقناع والعلم والأدب مجسمة ولقد قرظه المرحوم سعد زغلول باشا تقريظا جعله فى السنام والذروة وقد وضع كل من الأستاذين مصطفى صادق الرافعى والسيد محمد الخضر حسين سفرا قيما فى الرد على كتاب الدكتور طه حسين جزى الله الجميع عن الدين والعلم والحقيقة خير الجزاء)

رابعا ــ مقالة مجلة لواء الاسلام

وننقل هنا مقالة من مجلة لواء الاسلام لجماعة الفيضيين وهى وان كانت لاتتصل بالرد على طه حسين وعصبة الالحاد مباشرة الا أنها ترد على روح مذهبهم الذي أخذوا ينشرون الدعاية اليه بكافة الطرق لأن قصدهم من تشكيك المسلمين فى ربهم ورسولهم وقرآنهم أن ينزعوا عن الناس لباس التدين ليرتدوا بثوب الالحاد وهذا نص المقالة المذكورة .

فلسفة الاسلام

أصول الاخلاق وقواعد الاحكام فى الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(ظهر الفسادُ فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعضَ الذي عملوا لعلهم يرجعون)

قلنا فى مقالنا السابق أن الأمة الاسلامية أصيبت فى بعض أبنائها الذين ماتشبعوا بروح الدين ولا عرفوا مزاياه القومية ولم تمحصهم التجارب فناصبوا

دينهم العداء وحملوا على قوميتهم حملة شعواء وقلنا : إن من رأى بعض أولئك النفر ان الدين اصبح لايوافق الحياة الحاضرة ومن رأى بعضهم : انهذا الدين نظام وهمى لالزوم له ولاوجود لحقيقته ، وبعضهم رأى على سبيل المجاملة - والله اعلم بمراده الحقيقى - ان الشريعة الاسلامية شريعة روحانية بحتة لاعلاقة لها بشؤن الدنيا ولا أثرلها فى نظام الحكومة . ووعدنا قراءنا بان نحلل لهم بعض اصول الاسلام ليروا صلاحيته لكل عصر ومكان المدنية الحقيقية واصول التشريع الاجتماعى فى احكامه وقواعده

وقد رأينا قبل ذلك أن نناقش الفريق القائل بعدم صلاحية الدين لحياتنا الحاضرة . فهل يمكن حقيقة أن نعيش بغير دين

كيف ذلك - ومن نظر بعين التعقل والتبصر الى تركيب هذا الكون الباهر البديع . المتقن الصنع المحكم الوضع والترتيب . لوجد جميع مواليد الطبيعة مقسمة تقسيما مضبوطا الى فضائل مختلفة . ولكل فضيلة نظام مخصوص فى منتهى الأحكام وقانون مضبوط تسير عليه لايعتوره خلل ولاشذوذ . واذا تأمل امرؤ تأمل الحكيم لوجدها كلها ترجع الى نظام واحد يشملها من جماد ونبات وحيوان فهل يمكن مع هذا أن يخلق الله الانسان سيد الطبيعة ومسخرها وخليفة الله فى الأرض ومعمرها بغير نظام يسير عليه وقانون الهى يرجع فى أموره اليه وشريعة تنظم له حاضر معاشه وتهيء له آجل معاده وتسوقه الى ماأعد له من الكمال الانسانى والرقى الروحانى . واذا كان للجماد ترتيب وفى النبات تنظيم . وللحيوان كذلك . سنة مضبوطة تحير العقول السليمة : فللنمل فى قراه نظام بديع وشريعة محسوسة) وللنحل فى خلاياه قانون وحكومة منظمة بترتيب جنوده) . وللحشرات نظام كذلك وللبهائم نظام وللوحوش نظام وللسباع نظام وللطيور نظام . ولاشئ فى العالم الا وله نظام محكم وشرع مضبوط رؤيته (سبحان الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) و(خلق كل شئ فقدره تقديرا) فهل يصح بعد ذلك أن يتصور عاقل امكان حياة الانسان بغير نظام سام ولا قانون عال . ولا شريعة عادلة . ولا ديانة

مسيطرة تحفظ مجموعه . ولا مشجع يدفعه الى الخير أو زاجر يكبح جماح نفسه عن الشر .

فلو صح ذلك أوجاز ـ فمعناه أن ليست لنا عقول . أو أن النمل فى جنوده وتنظيمه . والنحل فى حكومته وترتيبه . والجماد فى تنوعه والنبات وفضائله والحيوان ومايشمله : من نظام وابداع واحكام ـ لخير من الانسان فى انفكاكه والحاده وكبريائه وادعائه (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاوأنكم الينا لا ترجعون)

الانسان اجتماعى بطبيعته . وحيوان بجبلته . وملك كريم روحانى بحكم نشأته وبما أودع الله من سره فى فطرته (فِطرةَ الله التى فطر الناس عليها لاتبديلَ لخاق الله) خلقه الله من أضداد وركبه من متباينات الف بينها وأحكم وضعها فى كون متضارب . وعالم مملوء بانواع العجائب . جمع بين الخير والشر والايمان والكفر والسراء والضراء والنعماء والبأساء . والخيانة والامانة والرحمة والقسوة . واللؤم والطيبة والصدق والكذب والاستقامة والفجور . ثم جعله مستعداً بطبيعته استعدادا اضطراريا لجميع مافى العالم من خيرات وشرور . وهو ميال للخير بحكم فطرته المعنوية ومشاعره الأدبية ومدفوع للشر بحكم جنسيته الحيوانية وجبلته الطينية فهل من الحكمة فى نظر العقلاء أن يخلق الله ذلك المسكين المتباين الأهواء والعواطف ثم يرسله فى ذلك العالم المتباين والبحر المتلاطم . ارسالا مهملا بغير دين يقوده ولاشريعة عادلة تدعوه الى النافع من الخير وتحذره من الشر . حتى يتم وظيفته في الحياة على ماعلمنا من سنن النظام فى الكون . . .

اذا كان لا يستقيم حال الناس ولا يتوطد الأمن فى هيأتهم الاجتماعية بغير قانون وضعى يحدد تصرفاتهم . وحكومة ساهرة تنظر بالعدل في صوالحهم . فكم لعمر الحق يحتاج الانسان فى وجوده الى دين قويم يجمع بين مختلف أهوائه . وشرع مستقيم يحفظ كيانه فى حياته ويبلغه السعادة بعد مماته . ويعلمه الواجب نحو المجموع ونحو ربه ونفسه . وهل هو مجموع الشرائع الأولى والنواميس العليا التي وضعت على مثالها الشرائع الكونية والقوانين الوضعية . وهل الدين

الا ذلك الاحساس القهري والشعور الفطري المتسلط على القلوب والافئدة بوجود قوة عالية مسيطرة على نواميس الطبيعة يدين لها جميع المخلوقات ويقدسها سائر أهل الأرض والسموات - ذلك شعور يتساوى فيه سائر أهل العالم بلا فرق بين جاهل ومتعلم ومتمدين ومتوحش وبدوي ومتحضر - قد أجمع الكل على الاحساس بالرهبة لتلك القوة العظمى والاحتياج لها في كل ساعة ولحظة . وان تنوعت في عرفانها والتقرب منها مهما اختلفت المذاهب والمعتقدات وتباينت كيفية العبادات اليس الشعور بهذه القوة العامة أو الحقيقة الالهية عام شامل لسائر نفوس البشر على اختلاف الوانهم والسنتهم ومعتقداتهم - شعور يدين به المسلم في مسجده . والراهب في صومعته . والكاهن في هيكله . والوثني أمام صنمه . وعابد النار في مذبحه وعابد الكواكب في أنواع كواكبه اليس كل من في العالم يدين لتلك العزة الالهية على قدر يقينه في حقيقته أو خياله في تصوره ووهمه . أليست هذه القوة الالهية هي التي يتعرف اليها الطبيعي في نواميسه ومباحثه ويبحث عنها الملحد في اشكالاته وشبهاته والدامس من وهمه وخيالاته سنة الله في خلقه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) فما ذلك الاندفاع الفطري والايمان الغريزي المبعوث من القدم في فطرة البشر إلا الدين بمعناه العام - وان تعددت مظاهر التبتل وصنوف الاعتقادات وكيفيات التعرف والشعور بالدين وُجِد مع أول نسمة انسانية خلقت على الارض وهو مصاحب للخليقة من أول أطوارها الى يوم تلاشيها وفنائها . لايخلو منها قلب قط في كل زمان ومكان وذلك يدل صراحة على أن الدين أمر فطري فينا لايمكن تلاشيه أو انتزاعه الا اذا أمكن أن يعيش الانسان بغير قلب يحس أو روح يشعر .

قال (ارنست رينان) شيخ من شيوخ الفلسفة في أوربا وأساطينها :

(من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شيء نحبه . وكل شيء نعده من ملاذ الحياة ونعيمها . ومن الممكن أن تبطل حرية استعمال القوة الفكرية والعلم والصناعة ولكن يستحيل أن ينمحي التدين أو يتلاشى بل سيبقى أبد الآبدين حجة

ناصعة على بطلان المذهب المادى الذى يود أن يحصر الفكر الانسانى فى المضائق الدينية للحياة الطينية)

وقال (أوجست سابتسيين) لماذا أنا متدين انى لم أحرك شفتي بهذا السؤال مرة الا وأراني مسوقا بالاجابة عليه بهذا الجواب ـ أنا متدين لأنى لاأستطيع خلاف ذلك لان التدين لازم معنوى من لوازم ذاتي . يقولون لى ذلك أثر من آثار الوراثة أو التربية أو المزاج . فاقول لهم قد اعترضتُ على نفسى كثيراً نفس هذا الاعتراض ولكنى وجدته يتقهقر أمام المسئلة ولا يحلها وان ضرورة التدين التي أشاهدها في حياتي الشخصية أشاهدها باكبر قوة في الحياة الاجتماعية البشرية التي ليست أقل تشبثا منى باهداب الدين إذا فالدين باق وغير قابل للزوال وهو فضلا عن عدم نضوب ينبوعه بتمادى الزمن نرى ذلك الينبوع يتزايد اتساعا وعمقا تحت المؤثر المزدوج من الفكر الفلسفى والتجارب الحيوية »

وبالجملة فنق واعتقد أيها القارئ أنه اذا تلاشت كل قوة فى العالم فالدين لايتلاشى ولا يزول بل هو باق ببقاء الله . ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نعيش بغير الدين

وما الدين للانسان الا سعادة * وما الناس لولا الدين الا بهائم

خامساً ـ ملخص تقرير النيابة

بعد أن ذكر رئيس نيابة مصر الذى تولى تحقيق قضية طه حسين أنه بتاريخ ٣٠ مايو سنة ١٩٢٦ تقدم بلاغ من الشيخ خليل حسنين الطالب بالقسم العالى بالازهر لسعادة النائب العمومى يتهم فيه الدكتور طه حسين بانه الف كتابا اسماه (فى الشعر الجاهلى) وفى هذا الكتاب طعن صريح في القرآن العظيم الخ ماذكره في بلاغه

وبتاريخ ٥ يونيو سنة ١٩٢٦ أرسل فضيلة شيخ الجامع الازهر للنائب العمومى خطابا يبلغه أن علماء الازهر رفعوا له تقريرا عن كتاب الفه الدكتور طه حسين اسماه (في الشعر الجاهلى) طعن فيه على القرآن وعلى النبى من جهة نسبه الشريف الخ ما كتبوه

وبتاريخ ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٦ قدم عبدالحميد أفندى البنان عضو مجلس النواب بلاغا يتهم فيه الدكتور المذكور بانه طعن على الدين الاسلامى وهو دين الدولة الرسمى الخ

وبعد أن ذكر أنه أخذ أقوال المبلغين جملة بالكيفية المذكورة بمحضر التحقيق واستجوب المؤلف وبعد ذلك أخذ فى دراسة الموضوع بقدر ماسمحت له الحالة — حصر مانسبه المبلغون الى المؤلف أنه طعن في الدين الاسلامى في أربعة مواضع

الأول — أن المؤلف أهان الدين الاسلامى بتكذيب القرآن فى أخباره عن ابراهيم واسماعيل — الثاني — أنه زعم عدم انزال القراءات السبع من عندالله مع أنه مجمع عليها وثابتة لدى المسلمين — وزعم أن هذه القراءات إنما قرأتها العرب حسب مااستطاعت لا كما أوحى الله الى نبيه مع أن معاشر المسلمين يعتقدون أنها مروية عن الله تعالى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم — الثالث — أنه طعن فى كتابه على النبي صلى الله عليه وسلم طعنا فاحشا من حيث نسبه — الرابع — أنكر المؤلف أن للاسلام أولية في بلاد العرب انظر ص ٨٠ من كتابه

— عن الأمر الأول — ناقش رئيس النيابة المؤلف المذكور فيما تناوله بالبحث فى الفصل الرابع تحت عنوان الشعر الجاهلى واللغة من صحيفة ٢٤ الى ص ٣٠ حيث تكلم على لغة العرب الذين كانوا ينقسمون الى قحطانية وعدنانية ثم قال بعد ذلك (للتوراة أن تحدثنا بابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا بهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين فيهما لا يكفي في اثبات وجودهما التاريخى فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدث بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة الخ ماذكره فى هذا البحث — وقد لاحظ رئيس النيابة على الدكتور مؤلف الكتاب أنه خرج من بحثه هذا عاجزا كل العجز عن أن يصل الى غرضه الذى عقد هذا الفصل لاجله — وبين ذلك بانه وضع سؤالا بقوله (ولنجتهد فى تعرف اللغة الجاهلية هذه ماهى — وما اذا كانت فى العصر الذى يزعم الرواة أن شعرهم الجاهلى هذا قد قيل فيه الى أن قال رئيس النيابة (وتطرق فى بحثه الى الكلام على مسائل في غاية الخطورة

هدم بها الامة الاسلامية فى أعز مالديها من الشعور ولوث نفسه بما تناوله من البحث فى هذا السبيل بغير فائدة ولم يوفق الى الاجابة بل قد خرج من البحث بغير جواب ثم قال (وقد نوقش فى التحقيق فى هـذه المسألة فلم يستطع رد هذا الاعتراض (انظر ص ٧ من التقرير مطبعة الشباب) وكما أثبت التحقيق عجزه فى هذا أثبت خطأه في استنتاجه فان استنتاجه لا يصلح دليلا على فساد نظرية الرواة التي يريد أن يهدمها ـ كما لاحظ رئيس النيابة على المؤلف أنه لم يكن دقيقا في بحثه وهو ذلك الرجل الذى يتشدد كل التشدد في التمسك بطرق البحث الحديثة ذلك أنه ارتكن فى اثبات الخلاف بين اللغتين على أمرين أظهر المحقق فساد الاستدلال بهما (راجع التقرير ص ٦) وقد عجز أيضا عن تقديم بيان أن ظهور الاسلام قد اقتضى أن تثبت الصلة بينه وبين ديانتي اليهود والنصارى وأن القرابة المادية الملفقة بين العرب واليهود لازمة الخ فقد قال المحقق إن الاستاذ ليعجز حقا عن تقديم هذا البيان اذ أن كل ماذكره فى هذه المسألة خيال فى خيال وكل مااستدل عليه من الأدلة هو (١) فليس يبعد أن يكون (٢) فما الذى يمنع (٣) ونحن نعتقد (٤) واذا فليس مايمنع المحسوسات من أن قنيل هذه الأسطورة (٥) واذن نستطيع أن نقول الخ ـ ولما سئل الأستاذ المؤلف عن مسئلة تلفيق القضية هل هي من استنتاجه أو نقلها فقال فرض فرضته أنا دون أن اطلع عليه في كتاب آخر الخ قال رئيس النيابة انه سواء كان هذا الفرض من تخيله كما يقول أو من نقله عن ذلك المبشر الذى تستر تحت اسم هاشم العربي فانه كلام لا يستند الى دليل ولا قيمة له على أنه لوحظ أن ذلك المبشر مع أن غرضه الطعن على الدين الاسلامى كان فى عبارته أظرف من مؤلف كتاب الشعر الجاهلي (انظر التقرير ص ١٦) الى أن قال والحق أن المؤلف فى هذه المسألة يتخبط تخبط الطائر ويكاد يعترف بخطئه لان جوابه يشعر بهذا عندما سألناه في التحقيق ص ١٨ .

الأمر الثانى انه يزعم عدم انزال القراءات السبع المجمع عليها والثابتة لدى المسلمين جميعا ويقول إن هذه القراءات قرأتها العرب حسب مااستطاعت الخ وقد استدلوا

على هذا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم (أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة أحرف (انظر التقرير ص ٢١) وهنا تكلم المحقق أولا قبل الملاحظة على المؤلف على حديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وقال إن فيه اختلافا كثيرا في المراد بالاحرف السبعة و بينها بعد ذلك ثم قال ونحن نرى أن ماذكره المؤلف فى هذه المسألة هو بحث علمى لا تعارض بينه و بين الدين ولا اعتراض لنا عليه (انظر ص ٢٤ من التقرير عن الأمر الثالث) - أنه طعن فى كتابه على النبي طعنا فاحشا من حيث نسبه حيث قال ماسبق وهنا لاحظ عليه رئيس النيابة أنه تكلم فيما يختص باسرة النبي وفى نسبه فى قريش بعبارة خالية من كل احترام بل بشكل تهكمي غير لائق لا يوجد فى بحثه مايدعوه لايراد العبارة على هذا النحو -

الأمر الرابع - أن المؤلف أنكر أن للاسلام أولية فى بلاد العرب وأنه ليس دين ابراهيم - وهنا قال رئيس النيابة (ونحن لا نرى اعتراضا على أن يكون مراده ما كتبه فى هذه المسألة هو ماذكره ولكننا نرى أنه كان سيئ التعبير جداً فى بعض عباراته وهنا أورد بعضا من عباراته (ص ٢٦ من التقرير)

ثم تكلم عن المسألة الجنائية فاورد نص المادتين (٢٤ و ١٢ من الدستور ونص المادة - ١٣٩ من قانون العقوبات الأهلى) - وقال إن جريمة التعدى على الأديان تكون بتوفر أربعة أركان - الأول - التعدى - الثانى - وضوح التعدى باحدى الطرق العلنية المبينة في المادتين ١٤٨ - و ١٥١ عقوبات - الثالث وقوع التعدى على أحد الأديان التى تؤدى شعائرها علنا - الرابع - القصد الجنائى (ص ٢٧ - و ٢٨ من التقرير) ثم تكلم على الركن الرابع فقال انه هو الركن الأدبى الذى يجب أن يتوفر فى كل جريمة لمعاقبة المؤلف أن يقوم الدليل على توفر القصد الجنائي لديه بان يكون أراد بما كتبه التعدى على الدين الاسلامى فاذا لم يثبت هذا الركن فلا عقاب (انظر ص ٢٩ من التقرير) الى أن قال وحيث انه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوفر فلذلك تحفظ الأوراق اداريا

القاهرة في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٧ رئيس نيابة مصر

سادساً ـ كلمتنا فى هذا الموضوع

لانذيع سراً اذا قلنا ان في مصر جماعة ممن تعلموا فى جامعات أوربا أو اتصلوا بعلمائها أو اختلطوا بابنائها تزعزعت عقيدتهم الدينية ومالوا الى مذهب الالحاد يريدون أن يجردوا الناس من الدين ليصبحوا مثلهم ملحدين أو اباحيين لأن الاباحة أو الشيوعية نتيجة الالحاد وعاقبة التجرد من الدين والنتيجة تلى المقدمات مباشرة اذا كانت المقدمات سريعة كما حدث فى روسيا وتكون متوسطة اذا كانت المقدمات كذلك كما حدث فى تركيا التى لا بد أن تصبح شيوعية يوما ما اذا لم تعد الى الصواب وتكون بطيئة اذا كانت المقدمات كذلك كما في فرنسا وفى مصر الآن . واذا أردت أن نبين لك ضرورة التدين وضرر الالحاد فحسبك الرجوع الى مقال مجلة لواء الاسلام الذى مر ذكره وليس أدل على ضرورة التدين وضرر الالحاد من الحالة التى فشت فى مصر اليوم حيث الجرائم ترتكب فيها جهاراً نهارا بلا مبالاة ولا خوف وأصبح القانون لا يردع مجرما ولا يخيفه أثيما مادامت العقوبة تحتملها النفس المجرمة دون قلق ولا جزع

اليك آكلى الحقوق والمزورين والمبددين وخائنى الامانة وشاهدى الزور والمبلغين كذبا للاضرار بالناس واللصوص وبائعى السموم المخدرة والقاتلين سافكى الدماء فضلا عن الزناة وشاربى الخمور وسواهم من العصاة الذين لا يعاقبهم القانون .

ثم قل لى بربك أكان هؤلاء وهؤلاء يقدمون على اجرامهم لو أحست قلوبهم أن هناك عينا ساهرة تراقبهم مهما استتروا عن أعين الناس وأن هناك قانونا سماويا يعاقبهم فى الدنيا صارم العقاب وأن هناك عذابا أليما فى الدار الآخرة تقشعر لوصفه الأبدان وتنضج من سعير ناره الجلود (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب)

انظر الى الازمان البعيدة بل انظر الى الأزمان القريبة فى مصر قبل سن

القانون المدني كيف كانت المعاملات مستقيمة وكيف كانت الأمانات محترمة والحقوق مكفولة بل انظر الى الحجاز في هذه الايام هل تجد فيه سارقا أو قاتلا أو زانيا. اللهم الا كما يوجد الكبريت الأحمر ولماذا لأن الحدود الشرعية الرادعة محترمة هناك وكأن الناس يستشعرون المراقبة الالهية التي لا تخفى عليها خافية فندر من يرتكب جرما جهراً وقل من يرتكبه سراً أو يفرط في واجب من الواجبات

إذاً لابد لصلاح العالم ونظام الكون من التدين وهذا ما أراده الباري جل وعلا من ارسال الرسل وانزال الكتب فيها الانذار والحدود

فما الذي يقصده أولئك المجددون (كما يسمون أنفسهم) أو الملحدون كما يسميهم الناس لقد بدءوا دعوتهم (على المكشوف) بمحاضرة رينان التي القاها الشيخ مصطفى عبد الرازق في الجامعة المصرية وكانت الحملة في بدئها خفيفة فرد بعض أصحاب الفضيلة علماء الازهر الشريف عليه رداً مفحما ثم نشطوا قليلا فاخرجوا للناس كتاب (الاسلام وأصول الحكم) بقلم الشيخ على عبد الرازق فقامت قيامة العلماء والأمة من ورائهم وحقا قام العلماء بواجبهم رغم ضجيج الملحدين وعصبتهم فحوكم الشيخ على عبد الرازق أمام هيئة كبار العلماء وجرد من شهادة العالمية وعُزل من وظيفته وحدثت في تلك الغضون ضجة كبيرة بين الوزراء حيث أبي عبد العزيز باشا فهمي وزير الحقانية ورئيس حزب الأحرار الدستوريين يومئذ باتفاق مع زميليه في الوزارة الموافقة على قرار العزل وأيد صاحب الجلالة الملك العلماء وأغلبية الوزراء فاقيل عبد العزيز باشا فهمي من الوزارة واستقال الآخران . ثم نشطوا أكثر فاظهروا كتابا (في الشعر الجاهلي) على لسان طه حسين زعيم الملحدين الذي حوى من المطاعن في الاسلام ما سبق ذكره فقامت قيامة العلماء والكتاب والأدباء أيضا وتظاهر طلبة الازهر ضد الكتاب وصاحبه ونادت الامة بوجوب محاكمته ونصله من وظيفته وذهب فضيلة شيخ الجامع الأزهر المرحوم الشيخ أبي الفضل الجيزاوي الى رئيس الوزراء وخاطبه في هذا الشأن وخرج وهو يقول (ألاهل بلغت اللهم اشهد) وكتبت الردود العديدة وقد لخصنا بعضا من بعضها ووصل

صدى المسألة الى مجلس النواب في دورة سنة ١٩٢٦ وقامت معركة بين الوزارة وبين أغلبية النواب وعلى رأسهم صاحب الدولة المرحوم سعد زغلول باشا رئيس المجلس وتكلم في المسألة الأستاذ المرحوم الشيخ القاياتي وعبد الخالق بك عطية واقترح النائب المحترم عبد الحميد بك البنان على المجلس أن يصادر الكتاب ويُعزل مؤلفه ويحال على النيابة للتحقيق معه وأخذ الجدل مأخذه أثناء بحث هذا الاقتراح وكانت الحكومة ترى الاكتفاء بما فعلته من حبس الكتاب والتنبيه على مؤلفه بعدم العودة الى القاء مثل هذه الابحاث على طلبة الجامعة وتشدد النواب وعرض دولة عدلى باشا الثقة بالوزارة على المجلس وكادت الوزارة تسقط لولا أن الجلسة رفعت للاستراحة ثم اجلت لليوم التالى وكان الحل الذى اختاره الزعماء لتلافي الازمة الوزارية ان يسحب صاحب الاقتراح اقتراحه وان يقدم بلاغاً للنيابة بطلب التحقيق وقد حصل هذا فسحب النائب الاقتراح وقدم البلاغ الذى اشار اليه حضرة رئيس النيابة وضمه الى بلاغ حضرات العلماء وحقق في الامر على النحو الذى ذكره في التقرير الذى لخصناه آنفا وخرج منه بالنتيجة التى عرفتها وتجدد البحث في مجلسى النواب والشيوخ في دورة سنة ١٩٢٦ ... سنة ١٩٢٧ وانتقد بعض الأعضاء تصرف الوزارة في الامر وانتهى الامر بما انتهى اليه في الدورة السابقة ولقد كنا نود ان يخلو تاريخ رجال عظماء كعدلى باشا وبعض زملائه الوزراء من مثل هذا الموقف الذى وقفوه في هذه المسألة التي تركت في نفوس المسلمين أثراً محزناً واذا كان حضرة رئيس النيابة قد خرج من بحثه بنتيجة هي حفظ الاوراق اداريا لعدم توفر الركن الرابع من اركان الجريمة وهو القصد الجنائي فاننا نأسف اذا قلنا ان التكلف والتدخل في هذا الأمر يظهران على جبين كلماته التى ختم بها التقرير وكان أملنا أن تكون النتيجة متفقة مع المقدمات التى ساقها في تقريره اذ كيف يتفق القول بعدم وجود القصد الجنائى مع قول رئيس النيابة (ولكن الأستاذ المؤلف وضع السؤال وحاول الاجابة عليه وتطرق في بحثه الى الكلام على مسائل في غاية الخطورة صدم بها الامة الاسلامية في أعز ماليها من الشعور

ولوث نفسه بما تناوله من البحث فى هذا السبيل بغير فائدة راجع ص ٧ من تقرير النيابة طبع مطبعة الشباب)

ومع قوله (فالمؤلف في واحدة من اثنين اما أن يكون عاجزاً واما أن يكون سيء النية قد جعل هذا البحث ستارا ليصل بواسطته الى الكلام فى تلك المسائل الخطيرة (راجع ص ٨ من التقرير المذكور) ومع قوله بصدد تغيير المؤلف مارواه عن أبي عمرو بن العلاء (وقد يكون للمؤلف مأرب من وراء تغيير هذا النص راجع صفحة ٩

وفى ص ١٢ من التقرير ترى حضرة رئيس النيابة يقول بصراحة في شأن هذا التغيير مايأتى (ان الأستاذ حرف فى الرواية عمداً ليصل الى هذه النتيجة) وفى صفحة ١٦ يقول بصراحة أيضاً (على أننا نلاحظ أن ذلك المبشر مع ماهو ظاهر من مقاله من غرض الطعن على الاسلام كان فى عبارته أظرف من مؤلف كتاب (الشعر الجاهلى)

وفى صفحة ٢٠ يقول (وياليت الأستاذ المؤلف حذا حذو ذلك المبشر هاشم العربي فى هذه المسألة)

وفى صفحة ٢٥ يقول (أنه تكلم فيما يختص باسرة النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه فى قريش بعبارة خالية من كل احترام بل بشكل تهكمي غير لائق ولا يوجد فى بحثه مايدعوه لايراد العبارة على هذا النحو)

وفى ص ٢٦ يقول (ولكننا نرى أنه سيء التعبير جداً ثم قال لان فى ايراد عباراته على هذا النحو مايشعر بانه يقصد شيئاً آخر بجانب هذا المراد)

وفى ص ٣١ يقول (ولكنه أقدم بغير احتياط فكانت النتيجة غير محمودة فهل تتفق كل هذه المقدمات مع النتيجة التى خرج بها حضرة رئيس النيابة وهل يتفق مانقلناه عنهم من ص ٢٥ من قوله) (ولا يوجد فى بحثه مايدعوه لايراد العبارة على هذا النحو) مع قوله فى نهاية التقرير (ان العبارات الماسة بالدين التى أوردها فى بعض المواضع من كتابه إنما قد أوردها فى سبيل البحث العلمي مع

اعتقاده أن بحثه يقتضيها وحيث أنه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوفر)
وهل ادعاء طه حسين أنه يقتضيها يخليه من المسؤلية وهل يصدق في هذا الادعاء مع ما ثبت من تعمده تحريف الرواية وكذبه في ادعاء أنه أول باحث على هذا النحو وأنه لم يسرق من كتب المبشرين اللهم إننا في حيرة من هذا الامر لا نجد هاديا الي سبب هذه النتيجة التى ما كان يتوقعها أحد من المسلمين : رجل ينقص من كلام الله ويدعى عليه الاحتيال ويتهكم من رسوله ويحط من نسبه ويكذب التوراة والقرآن ويصفهما بانهما اسطورة مختلقة يُبرأ فى بلدٍ دينه الرسمي الاسلام ورجل فى الهند يطعن على الرسول وحده فيعاقب بالسجن : فرق كبير فى البلدين والتهمتين والنتيجتين . اللهم وفق عبادك للتمسك بالدين والغيرة عليه والذود عن حياضه واجعل من ولاة أمورنا من ينصره ويدفع عنه عادية العادين (ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن)

واذا كان لنا عزاء فعزاؤنا فيما كتبه حضرات العلماء والكتاب والأدباء الذين فضحوا أمرهم وأظهروه أمام الأمة جمعاً وأمام بعض نفر من الشباب الطائش المتعلق به وأظهروه أمام العالم أجمع بل وأمام نفسه وعصبته بمظهره الحقيقي فقد ثبت

(أولا) أنه لم يكن أول من شك في الشعر الجاهلى بل سبقه في هذا كثير من الباحثين مع احترامهم لله وكتبه ورسله كما مر نقلا عن العلامة محمد بك فريد وجدى

(ثانيا) أن طريقة الشك فى الشيء حتى يثبت اليقين التى يقول إنها طريقة (ديكارت) هي طريقة القرآن كما قاله فضيلة الأستاذ الدجوى وفريد بك وجدى فيما نقلناه عنهما

(ثالثا) أنه سرق من كتب المبشرين ما كتبه من المطاعن مع الفرق الواضح بين أدبه وأدب هؤلاء المبشرين كما أجمع عليه الكتاب

(رابعا) ان الآثار التي يقول بعدم وجودها لاثبات هجرة ابراهيم عليه

السلام قد وجدت كما ذكره السيد محب الدين الخطيب في مقاله الذي لخصناه سابقا ونختم كلمتنا أيضا بإيراد بعض الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة التي تكفي في الرد على مفتريات الملحدين والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة بل القرآن جميعه حجة عليهم في ذلك والسنة أيضا قال الله تعالى

(إنما جزاءُ الذين يُحاربون الله ورسولَه ويَسعون في الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلُهم من خلاف أو يُنفَوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ) سورة المائدة آية ٣٣ وقال الله تعالى

(إن الذين لا يُؤمنون بآيات الله لا يهديهمُ الله ولهم عذابٌ أليم. إنما يفتري الكذبَ الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك همُ الكاذبونَ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكرِهَ وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان ولكنْ من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذاب عظيمٌ ذلك بأنهم استحبوا الحياةَ الدنيا على الآخرةِ وأنَّ الله لا يهدي القوم الكافرين. أولئك الذين طبع اللهُ على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جَرَمَ أنهم في الآخرة هم الخاسرون). (سورة النحل) آيات من ١٠٤ الى ١٠٩

وقال الله تعالى (ياأيُّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربَّكُم وافعلوا الخيرَ لعلكم تُفلِحُون وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعلَ عليكم في الدّينِ من حرجٍ ملَّةَ أبيكم إبراهيم

هو سماكُم المسلمين من قَبلُ وفى هذا ليكونَ الرسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداءَ على الناسِ فأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولَى ونعمَ النصير) آخر سورة الحج

وقال الله جل ثناؤه (أم حسبَ الذينَ فى قلوبهم مَرضٌ أن لن يُخْرِجَ الله أضغانَهم . ولو نشاء لأريْناكَهم فلعرفْتهم بسيماهم ولَتعرِفنهم فى لحنِ القولِ والله يعلمُ أعمالكم . ولَنبلونَّكُمْ حتى نَعلمَ المجاهدينَ منكم والصَّابرينَ ونَبلوَ أخبارَكم . إن الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله وشاقُّوا الرسولَ من بعد ماتبينَ لهمُ الهُدَى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم)

سورة القتال آيات من ٢٩ ـ الى ٣٢

﴿ وفى الحديث الشريف ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ اللهَ اصطفى كنانةَ من ولدِ اسماعيلَ واصطفى قريشا من كنانةَ واصطفى من قُريشٍ بَنى هاشمٍ . واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيارٌ من خيارٍ من خيارٍ) وقال صلى الله عليه وسلم (أنا سيِّدُ ولد آدم ولا فخر)

نسألك اللهم أنْ تثبتنا على الإيمان إنك بنا رءوفٌ رحيمٌ ربنا لا تُزِغ قلوبنا بعدَ إذْ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهابُ وصلى الله على سيدنا محمدٍ النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

الوصل السادس عشر

فى احياء ذكرى صاحب الدولة المغفور له سعد زغلول باشا زعيم الامة المصرية ورئيس مجلس نوابها

(١) قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (وقُلِ اعمَلوا فسَيرى اللهُ عملَكم ورسولُهُ والمؤمنونَ وستُرَدُّونَ إلى عالِمِ الغيبِ والشهادَةِ فينبئُكم بما كنتم تعملون) سورة التوبة آية ١٠٥

(٢) وقال جل ثناؤه (مَنْ عَملَ صالحاً من ذَكرٍ أو أُنثى وهو مؤمنٌ فلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيِّبةً ولَنَجزِيَنَّهُم أجرهم بأحسنِ ما كانوا يَعملون) سورة النحل آية ٩٧

وفي الحديث الشريف

(١) قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم (إنَّ اللهَ تعالى لا ينظرُ الى صورِكم ولا الى أحسابكم ولا الى أموالكم ولكن ينظرُ الى قلوبكم) رواه الطّبراني وفى رواية (وأعمالِكم)

(٢) وفى حديث آخر (أخرج مُسلمٌ عن جابرٍ أَن سراقة بن

شرح الآيات

(١) قوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم الآية) أى يقول الله جل ثناؤه لرسوله الكريم قل لهم (اعملوا) ماشئتم وفي ذلك وعد عظيم للطائعين ووعيد للعاصين والمعنى اعملوا أيها التائبون أو أيها الناس عموماً ماشئتم من خير فيجازيكم عليه بالثواب و شر فيجازيكم عليه بالعقاب أو يعفو الله عنكم (فسيرى الله عملكم)أى يحصيه

مالك بن جعشمٍ قال يارسولَ الله بَيِّنْ لنا ديننا كأنّا خُلقنا الآن فيمَ العملُ أفيما جفَّتْ به الاقلامُ وجرتْ به المقاديرُ أمْ فيما يستقبل قال فيماجفت به الأقلام وجرت به المقادير قالَ ففيم العمل قال اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لماخلق له وكلٌّ عاملٍ بعمله)

﴿ قال الراجى عفو ربه ﴾

رَحمَ الالهُ السابقينَ أولى النّهى * ماتوا على الاسلام دينِ أحبَّته

قد آمنوا بالله واعتصَموا به * فوقاهمو سوءَ العذابِ برحمته

عَملوا بشرع المصطفى حقًّا كما * علموا فكانوا من خيارِ بريَّته

أحياهمو اسعداء حتى ماانتهوا * رجعوا له مُستبشرينَ بنعمْته

يَستبشرون بنعمةٍ من ربهمْ * والعفوِ والاحسانِ خيرِ عطيته

كلٌّ يموتُ سوى الذى أحيا الورى * حقًّا ويَحيي مَن يموت بسيرته

قدمات (زَغلولٌ) زعيم بلادنا * ورئيسُ ناديها وقبلةُ أُمَّته

مات الرئيس بحُمرة في رأسه * عامَ أربعين وستةٍ منْ هجرته (١)

في السادس العشرين من صفرٍ انتهى * في قبره مع بأسِه ورئاسَته

ويجازيكم عليه يوم القيامة فالاستقبال بالنظر للجزاء (ورسوله) أى لان الاعمال تعرض عليه (والمؤمنون) فيكون ذلك الجزاء إما فرحا وسروراً بين أهل الموقف أو حزنا وسوءاً بينهم لقوله تعالى (ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . وما نؤخره إلا لأجل معدود . يوم يأتي لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقي وسعيد . فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير

---

(١) يوافق ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٧ م

والشَّعب شيَّعه بِدمعِ عيونهِ * وبكل إجلال يليقُ بدوْلته
واهتمَّ نواب البلاد بجملهم * أثراً يخلدُ ذكْره لكرامته
جمعوا له مالا كثيراً عدُّه * كيْ يُنشئوا شيئا يليقُ بقيمته
فلعلهم يأْتُون شيئاً نافعاً * فيه الثواب يدوم بغية رحمته
في حِين ذا كانَ المليكُ مسافراً * ووزيره ثروت(١) كذا عميته
فوزارةُ الشعب التي من حزبه * قامت بواجبها لِرفع مكانته
كلُّ الحكومة عُطلتْ في يومه * ومصانعٌ وتجارةٌ لجنازتِه
ولمهرجان النيل أيضاً عَطلو * حُزناً على موت الزعيم وفُرقتَه
بل كل شيء عطلت أفراحهُ * زمن الحداد فما ترى من زينته
في تسع عشر من جماد الأول * عام اربعين وستةٍ من هجرته
عاد المليكُ من السِّياحةِ بعدما * أن غاب أربع(٢) أشهر في رحلته
فدعته دولة الانكليز وأكرمت * مثواه إذ قامت بكل كرامته
من بعدها إيطاليا وفرنْس مع * بلجيكا كل قد سعى في دعوته

وشهيق . خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد . وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ . «مقطوع» وقوله (فينبئكم بما كنتم تعملون) أي فيحاسبكم على جميع ماقدمتموه

(٢) وقوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى الآية) (من عمل صالحا

(١) عبد الخالق باشا ثروت رئيس مجلس الوزراء
(٢) اربعة أشهر كاملة وعشرين يوما

واستقبلوه بهيئة رسمية * دلت على تقديرهم لمكانته
وعلى المحطات الملوك استقبلوا * ملك الكنانة واحتفوا بجلالته
متوشحين وسامه المُهدى لهم * كلٌ له مستقبل فى حلْيته
وَفؤاد زار الفاتكان(١) بروما * والمسجدَ الباريسَ خَتمَ زيارته
عاد المليك لملكه وكذا انتهى * زمن الحداد على الزعيم بعوْدته
وتزيَّنت كل النواحى وازدهت * فرَحا به لرجوعه بسلامته
قد وجَّه الملك العزيزُ لشعبه * شكراً وتصريحالهم بمسرته
نَشرَته كل صحيفة سيّارة * وبه بيانٌ شامل لسياحته
قد قال إن سياحتى حقاً أتتْ * بفوائد شتى انفع رعيته
وتوطدت روح الصداقة والصفا * مع هذه الدول العظام ودولته
فى الثانى والعشرين من ذا الشهر قد * صار افتتاح البرلمان لدورته
وتلى خطاب العرش (ثروت) قائما * وأتى بذكر تحالف فى عُهدته
سيكون بين الانجليز وبيننا * للدولتين منافعٌ فى مدَّته
وشروطه درست (بلندن) بينه * ووزير دولة الانجليز بغرفته
فكفاءة الباشا لنا معلومةٌ * والبتٌ فيه لبرلمان حكومته

أى عمل صالح من أعمال البر والتقوى (من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الايمان شرط فى جميع الاعمال (فلنحيينه حياة طيبة) نمن عليه بالقناعة والرزق الحلال والتوفيق لصالح الاعمال (ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) أى نثيبهم على أعمالهم فى الجنة فلا يضيع لهم شىء وثواب الجزاء يضاعفه الله يوم القيامة لمن

(١) محل إقامة قداسة البابا

والله أسألُ أن يُتم بفضله * مافيه إصلاحٌ لأهل كنانته
بعرابى سعد قد التقى وفريدنا * وبكامل ليقصّ حالة أمته
فكأنهم قالوا له ماذا جرى في قُطرنا من بعدنا بحقيقته
وكأنه قال اسمعوا فينا بدا * حزبٌ يُعرقل سعينا بسياسته
ولو اتَّحدْنا ماتمكَّن خصمُنا * منَّا ولوْ بلغ السماء بقوته
إهمالنا القرآن أسُّ بلائنا * وكذا بيانُ المصطفى فى سُنته
إرْهابُ أعداءٍ يكون بقوةٍ * لاباللسان مجرَّداً وبلاغته
فى سورة الأنْفال جاء بيانُه * وكذا القتالُ اقرأ تفزْ بغنيمته
إعدادُ قواتٍ تفى لقتالهم * أمرٌ تحتَّمَ للدفاع ونُصرته
هلْ ينصر المولى عِباداً بدَّلوا * شرعَ النبى برأيهم وسخافته
إن التحالفَ بيننا مع دولةٍ * ذى قوة هو واجبٌ لضرورته
لوكانَ بين الشرقِ عهدُ تحالفٍ * ما كان يقربهُ الدخيل لخيفته
لاسيما إن كان بالحق اهتدى * لاأمرُه فرُطاً كما فى حالته
من ينظرِ الشرعَ القويم وحالنا * يجد الفساد فشا بترك إقامته

يشاء (باحسن ما كانوا يعملون) لقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) ولقوله جل ثناؤه (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) ولقوله تعالى (مثل الذين يُنفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)

إنّا بذلنا جهدنا فى سعينا * والله ينصر من يشاء بقدرته
رجع الجميع لربهم لينالهم * منه الرضا أو ماقضى بعدالته
فلعل رحمته تعم جميعهم * فيكون مأواهم بدار سعادته
هذا لسان الحال يشرح حالهم * بالحق ينطق لا مرا فى صحته
فالله يفعل مايشاء بخلقه * نحن العبيد وكلنا فى قبضته
منح الإله زعيمنا من فضله * سحر البيان بنطقه وفصاحته
شهدت له الخطباء أصحاب الذكا * وأنار كل الشرق حسن سياسته
منه ائتلاف المسلمين بغيرهم * منعاً لكل تداخل في أمته
لقد ادعى المحتل أن بقاءه * لحمى الأقليات لا لإفادته
كم للسياسة من أكاذيب ترى * كل يخادع لاقتناص فريسته
ولقد سعى البطريك والحاخام فى * أمر ائتلاف الشعب قصد سلامته
بلغ المنى بالجد سعد وارتقى * واختاره المولى لمصر كنانته
عرفت له الزعماء رفعة قدره * بسداد فكرته وحزم عزيمته
أعداؤه قد بالغوا فى ضره * لكن قضاء الله تم لنصرته

﴿ شرح الاحاديث ﴾

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله لاينظر الى صوركم الخ) هذا الحديث ظاهر المعنى وهومصداق قول الله تعالى (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون . فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون . ومن خفت

حتى انتهى في عِزّه فانظر الى * تاريخه من بدئه لِنهايته
فيما يلى نَظمى ترى تلخيصه * فاقرأْ لتَعلمَ جانبا من سيرته
فالنَّاسُ للحكام أعداءٌ سوى * من كان حُكمهمو يجئ كرغبته
لو كان للانسان في حُكم امرئ * نفعٌ تمنى أنْ يدوم بسُلطته
إنى ذكرْتُ مناقباً لزعيمنا * تكفى لفهْم صفاته ومكانته
ظن الكثير بموت (سعد) أن مضي * سعد الكنانة واختفى مع دولته
فكأنه لايُستعاضُ بمثله * هذا لعمرُكَ باطلٌ بطبيعته
فالظنُّ لايُغنى من الحق الذى * هو ثابتٌ شيئاً لقوة حجته
إنَّ الذى أعطاه يُعطى غيرَه * شأن المنظِّم للشؤن بحكمته
ما كان (زغلولٌ) سوى بشرسما * فى قومه بذكائه وجراءته
ما كان ذا ولد بجبِّته وذا * من بعض أسباب الظُّهور ورفعته
قَصمَ الظهورَ ظهورُ من لم يهتدوا * بالحق واتَّبعوا الهوى بغَوايته
فاصبرْ عليهم لا تُطعْ أهواءهم * حتى يَرَوْا مايوعَدُونَ بجملته
ماقيل عن (سعد) فقدقالوه عن * بطلِ الكِنانةِ قَبلَه بزعامَته

موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون. ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون. قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون . قال اخسؤا فيها ولا تكلمون . انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون

وبحزبه الوطني المؤسس قبلها * تحيا هنا الأحزاب قام بنهضته
ذا مصطفى هو كامل باشا الذي * نادى بلادي فارحلوا بسلامته
لنعيش أحراراً بأرض بلادنا * والضيف نكرمه لحق ضيافته
في جزئنا الماضي ترى تاريخه * فارجع إليه تفز بزبدة سيرته
فلكل أيام رجال زينوا * تاريخهم بنقوشهم في صفحته
كل بقدر جهوده وعلومه * والسعي في كف الأذى عن أمته
من فوق ذي علم عليم ينتهي * علم الجميع إلى العليم بحكمته
فبأمره تجري الأمور كما يشا * ويداول الأيام بين خليقته
في يوم موت أبي حنيفة قيل قد * ولد الإمام الشافعي لخلفته
فانظر لتدبير العليم بخلقه * قد نظم الأشياء حسب مشيئته
كم آية مرت على أنظارهم * والجل عنها معرض في غفلته
والله نسأل أن يعيد صوابهم * كي يرجعوا مستسلمين لقدرته
فبالاستقامة تستقيم أمورنا * والغم يصرفه الكريم برأفته
فعلى الإله توكلوا في سعيكم * ثم اصبروا لا تقنطوا من رحمته

أني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون .

ثم فيه حث على تطهير القلب من الرذائل كالرياء والسمعة والكبر والحقد وغير ذلك فلابد أن يخلص لربه في جميع أعماله فالاخلاص روح العبادة فطوبى للمخلص لقوله صلى الله عليه وسلم (إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)

(٢) قوله (فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير) أي مضت به المقادير

وترحموا دَوْماً على (سعدٍ) ومنْ * أبْدى صلاحاً للبلادِ بهمَّته
لا سيَّما من كان يَدعو للهدى * وسعادةِ الدَّارين حَسْبَ إطاقته
ولِمُصطفى النحاس باشا أسندوا * كرسيَّ الرئيسَ فكان خيرَ خليفته
واختارَهُ الوفد الْممثل شعبَنا * لِكفاءةٍ ثبتتْ بحُسن بَراعته
فالوفدُ قرَّرَ في اجتماع رجاله * تقليــده حقاً وسام رئاسته
ورئاسة النُّوَّاب(١) أيضاً قرروا * قد تم ذا في البرلمان بهيئته(٢)
نحاسُ باشا ذُو العدالةِ في القضا * مثل الذَّكا لا شك في أهليته
من يوم نشْأَته بِجانبِ كاملٍ (٣)* بَعداً أتي سعدٌ فصارَ بصحبته
وتحمل الأهوال مع سعد علي * كرب وضيق في البلاد وغربته(٤)
رَجلُ الفصاحةِ والخطابة لامِراً * إخلاصه متُجسِّمٌ في صورته

وسبق علم الله تعالي به وتمت كتابته فى اللوح المحفوظ وجف القلم الذى كتب به وامتنعت فيه الزيادة والنقصان (أم فيما يستقبل) ولما كان أمر القــدر مغيب

(١) رئاسة مجلس النواب ويقضي الدستور أن ينتخب رئيس المجلس عند افتتاح كل دورة برلمانية في نوفمبر

(٢) الهيئة للوفد هى عبارة عن مجموع النواب والشيوخ السعديين فى كلا المجلسين يجتمعون فى النادى السعدى لتقرير مايرى تقريره من قرارات وقوانين أو اقتراحات قبل طرحها على البرلمان

(٣) هو مصطفى كامل باشا رئيس الحزب الوطنى الأسبق رحمه الله وقد كان النحاس باشا يعضده رغم أنه كان موظفا حكوميا فى منصب قضائى وهو يدل على تأصل الوطنية فى نفسه

(٤) نفي النحاس باشا مع سعد زغلول باشا رحمه الله فى سيشل وثبت بجانبه فى جميع الشدائد التى مرت بالزعيم الفقد وخرج منها منصور على خصومه

وصلاحُه يعلو دواماً وجهُهُ * وتواضعٌ يبدوا بجانبِ عزَّته
وفّق إلهي مصطفى في أمره * وخُطاه سدَّد كي يَسود بأُمَّتِه
وعلي الكنانةِ كلّها تعضيدُهُ * مع شَدِّ أزْرِ رفاقِه في خُطَّتِه
وحذارِ فتنةَ حاسدٍ أو كائدٍ * يسعى ليُفسدَ أمرَنا بدسيسته
فلعلَّ نصحي ينفع البعضَ الذي * فيه الأمانةُ والذَّكاء بفطرتِه
هذي مَناقبُ صفتُها فلعلها * تُجْدي الذي يبغي النجاح لأُمتِه
أما العيوبُ فكانا فيها سوى * لم يخل منها واحد بطبيعته
غيرَ الذي حفظ الاله من الهوى * وهداه للفعل الحميد بمنّته
ذاك الذي حفظ الاله بدينه * فالله حافظه بنصرة شرعته
ان تنصروا الله القوي ينصركمُوا * ويثبتِ المضْطرَّ حالةَ عسرته
أو تكفروا فالله عنكم في غنى * والكل مفتقر لوافر نعمته
ويمد كلاً من مزيدِ عطائه * ولظالمٍ يملي لسوء مغبَّته
كزعيم تركيَّا (كمالٌ) قدطغى * إذ قال لادينَ يقامُ بدولته
وكتابةِ اسم الدِّين في دستورها * أمرٌ تحتم وقتها لضرورته
وسينمحي عما قريب كي يُرى * كل امرىء في منتهى حريته
حُرية للبلشفيك إباحةٌ * ويل لمتَّبع الهوى وإباحته

عنا ولا نعلم ماسبق فيه أمرنا بالعمل وثبتت به الحجة علينا فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وفى الحديث نهى عن ترك العمل والاتكال على ماسبق به القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التى ورد الشرع بها وكل ميسر لما خلق له لايقدر على غيره فمن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل أهل السعادة

واغرورقتْ عيناه بعد مقاله * والله يعلم ما استكنّ بنيته
بعد انتصار أيّدته عقائد * في الدين أظهر كفره بعقيدته
هدم الديانة واستبد برأيه * وبغى وأهلك خصمه فى دعوته
فكأنه نمروذُ إبراهيم فى * إنكاره الدينَ الحنيفَ بقوته
نسبوه أصلا لليهودِ وإنه * قد طلق الاديان أُسوة شيعته
فكمالُ بالروس اقتدى فى نهجه * طرد الخليفة واستبد بسُلطته
قد أخرج الامراء واستولى على * حكم البلاد بجيشه وبعصمته(١)
ولمصطفى الغازى كمالٍ جدّدوا * أمرَ الرئاسة فاستمر بصولته
أنباؤه(٢) بجمادَى أولى قد أتت * عام اربعين وستة من هجرته
ياحبذا لو دام فى الأسلام أوْ * فى أى دينٍ عاملا بشريعته
خيرٌ له من هجره لديانةٍ * وسلوكه سبل الضلال بأمته
خزىٌ له فى ذى الحياة بظلمه * وعذابُه بعد الممات بشدته
كالمسلمين التاركين صلاتهم * وزكاة أموال وسائر طاعته

ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعملهم كما قال تعالى (فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى

(١) رئيس الوزارة التركية الآن

(٢) جاء في أهرام يوم الجمعة ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٦ هـ و٤ نوفمبر سنة ١٩٢٧ تحت صورة لمصطفي كمال باشا ـ جدد المجلس الوطنى بانقره انتخابه رئيسا للجمهورية التركية وصورة عصمت باشا ـ تحتها عهد اليه رئيس جمهورية تركيا بتأليف الوزارة الجديدة

تعلو الكآبةُ في الحياة وجوهَهم * والقلب مسودٌّ لشدَّة قسوته

ما كان يخطر مطلقاً في بالنا * ماقد أتى من ذا الفتى وخيانته

أسفاً على تلك الديار لتركها * دين الصراط المستقيم بفطرته

من لم يعش بالدين عاش منغصاً * مهما يكن من جاهه أو ثروته

حسناً يرى فعلَ القبيح لجهله * وضلاله في دينه مع فتنته

فالدين يحفظُه ويحفظُ مالَهُ * من كلّ سوءٍ مع وفور كرامته

أبغير دينٍ يسلم الانسان من * أمّارةٍ بالسوء في شخصيّته

والقلبُ خالٍ والهوى متسلطٌ * يهوى احتلالَ فؤادِه لغوايته

بزخارفٍ تُلهيه عن فعل الذي * ينجيه من شر البلاء وغصّته

لعباً ولهواً لاستقامةَ يبتغي * ويل له إن لم يُفقْ من غفلته

لاهٍ عن الدينِ القويمِ وهديه * سناه عن الذكر الحكيم وحكْمته

فكأنه المجنونُ ليس مكلَّفاً * أو كافرٌ برسولِ رب بريّته

ذرْهم يخوضوا في الغرور ويلعبوا * حتى يَروا بأسَ الالهِ بنقمته

آمالُهمْ ألهتْهمو عن ذكره * مع أنهم متمتعون بنعمته

ماشئتَ فافعل فالجزاء محقق * بالنار ثِق أو بالرضا في جنته

طُوبى لمن حفظ الجوارحَ واهتدى * طوبَى لمنْ صلّى وقامَ بطاعته

أفمنْ يكونُ على الهدى خيرٌ له * أمَّن يكونُ على الضلال وخيبته

وقُل اعملُوا سيرى الإله فعالَكم * من لم يُطعْ مولاه باء بحسرته

فسنيسره للعسرى) كما صرحت به الاحاديث (وكل عامل بعمله) أي كل عامل

والموتُ آتٍ والحسابُ مع الجزا * والحكم لله العليمِ بحالته
فاجعلْ على الاسلامِ ربي موتَنا * وامننْ علينا بالرِّضا وسعادتِه
واغفرْ لنا إسرافَنا ياذا العطا * أنت الغفورُ لمن أتاك بتوبتِه
ثم الصلاةُ على النبي وآلِه * والصالحينَ النافعين لأمته
والأنبيا طُرًّا كذا أتباعهُم * والمرشدون الى الهُدى وطريقته

ملخص تاريخ المرحوم سعد باشا نقلا عن الصحف

ولد رحمه الله فى بلدة ابيانة مركز فوه مديرية الغربية سنة ١٨٦٠ فتعلم القرآن الكريم في مكتب بلدته ثم انتقل وهوابن سبع سنين الي الجامع الدسوقى فجود القرآن وكان قد حفظه كله ثم انتقل الى الأزهر الشريف فمكث به مدة يتلقى على كبار الشيوخ الاجلاء وتعرف أثناء دراسته بالسيد جمال الدين الافغاني الفيلسوف الاسلامي الكبير والأستاذ الشيخ حسن الطويل وبالمغفور له الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده والبارودى وغيرهم وكان فى هذه الغضون يرسل نفثات قلمه العظيم الى الصحف السيارة داعيا الى الاصلاح منددا بالاستبداد والاستعباد حتى اشتهر صيته ككاتب بليغ فعين فى اكتوبر سنة ١٨٨٠ محرراً بالوقائع المصرية وهى صحيفة الحكومة الرسمية تحت رئاسة الشيخ الامام محمد عبده فكان يكتب فيها ما يوافق اعتقاده وما يرتضيه ضميره داعيا الي الحرية ممتدحا الأخلاق الكريمة وحكم الشورى والدستور وصدر الأمر بنقل سعد زغلول أفندى الى وظيفة معاون بنظارة الداخلية في ٣ مايو سنة ١٨٨٢ ثم عين ناظراً لقلم قضايا مديرية الجيزة فى

مجازى بعمله) ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذا الحديث مصداق حديث بدء الخلق المذكور فى أول هذا الجزء فراجعه

٦ سبتمبر ١٨٨٢ وكانت الثورة العرابية فى ابانها فلم يلبث في وظيفته هذه سوى أسابيع قليلة حتى رُفت واتهم بانه ألف جمعية سياسية باسم (جمعية الانتقام) واعتقل ثم ظهرت براءته وأطلق سراحه فاشتغل بالمحاماة الشرعية أولا ولما انتظمت المحاكم الأهلية دخل المحاماة الاهلية سنة ١٨٨٤ فكان المحامى "فريد الذى يشار اليه بالبنان ولما رأى أن قوانين المحاكم الاهلية مستمدة من القوانين الفرنسية جد فى تعلم اللغة الفرنسية كما أنه تعلم الألمانية والانجليزية أواخر حياته وجد أيضاً فى درس القانون الفرنسى حتى تقدم الى اللجنة العليا بباريس ونال الشهادة وفي ٢٧ يوليه سنة ١٨٩٢ عين نائب قاض بمحكمة استئناف مصر الأهلية وفي ١٨ ابريل سنة ١٨٩٩ أنعم عليه برتبة المتمايز (بك) مع لقب مستشار فناظراً للمعارف فى اكتوبر سنة ١٩٠٦ وحاز فى تلك السنة لقب باشا وكان سعد باشا في وزارة المعارف مثال الاصلاح والتقدم بالتعليم الى ناحية الكمال وأظهر من الكفاءة واستقلال الرأى مادعا المستر دنلوب بل اللورد كرومر الى احترامه فقد قال عنه في خطبة الوداع التى القاها فى دار الابرا (انه رجل صادق كفء ومستقيم مقتدر بل هو رجل شجاع فيما هو مقتنع به) فناظراً للحقانية فى فبراير سنة ٩١٠ فكان فى الثانية كما كان في الاولى كبير الأثر عظيم العمل وله فيهما مواقف مشرفة كان فيها مثال الحزم والعدالة وفى سنة ١٩١١ طلق سعد الوزارة وكان أولو الشأن قد وضعوا مشروعاً للجمعية التشريعية ايحل محل مجلس الشورى والجمعية العمومية فانتقد الفقيد هذا المشروع انتقادا مرا على صفحات الأهرام تلقته الأمة بالموافقة والتأييد وقد انتخب عضواً فى الجمعية التشريعية عن دائرة السيدة زينب ثم انتخب وكيلا فيها عن الأمة وله بها مواقف مشهورة وكلمات مأثورة مع تمسكه بحقوق بلاده وأمته وعدم رضاه عن مشروعها مطالبا بجعل كلمة الأمة قاطبة عليا نهائية وفى سنة ١٩١٤ قامت الحرب العالمية فعطلت الجمعية التشريعية حتى اذا كان يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ عقدت الهدنة فذهب الفقيد وزميله عبد العزيز فهمى والمرحوم على شعراوى فى صبيحة ذلك اليوم الى دار المندوب السامى

للمطالبة بحقوق مصر فكان هذا اليوم بدء النهضة الأخيرة وسمي يوم عيد الجهاد الوطني وأصبحت البلاد تحتفل بذكراه وكان من جراء هذا أن نفى سعد باشا وبعض أصحابه الى مالطة في ٨ مارس سنة ١٩١٩ ثم أفرج عنهم فى ابريل من السنة ثم سافر الوفد الى باريس ثم عاد سعد بعد مفاوضاته مع ملنر الى مصر فى ابريل سنة ١٩٢١ ثم كان الخلاف بينه وبين عدلى باشا ثم النفى الى سيشل والغاء الحماية واعلان الاستقلال ثم الافراج عنه ثم الانتخابات وتقلد رئاسة الوزارة فى ٢٧ يناير سنة ١٩٢٤ ثم مفاوضات مكدونالد ثم حادث السردار ثم استقالة وزارته وحل المجلس أولا والانتخابات الثانية وانتخابه رئيسا للمجلس فى ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ ثم حل المجلس ثانيا بعد يوم واحد وتعطل الدستور سنة ونصفا ثم ائتلاف الأحزاب وتأليف الوزارة العدلية الائتلافية بعد الانتخابات الثالثة وانتخابه رئيسا للمجلس الثانى مرة فى ١٠ يونية سنة ١٩٢٦ على النحو الذى بيناه فى أدوار النهضة السعدية بالجزء الاول من كتابنا هذا فراجعها فان فيها الكفاية وقد استمر الفقيد في رئاسته مجلس النواب وزعامة الامة الى أن توفى فى يوم الأربع ٢٩ صفر سنة ١٣٤٦ — و٢٤ ـ اغسطس سنة ١٩٢٧ رحمه الله رحمة واسعة

﴿ رواية فى حب الوطن ﴾

جاء بجريدة كوكب الشرق تحت عنوان (شهيد الوطنية) ما يأتي

بدأت نجوم السماء تختفى كوكبا أثر كوكب وولى ظلام الليل مدبرا أمام ضوء الفجر . وتكلم الصبح بألسنة العصافير . وتغريد الطيور . وهب وحى الحياة ينفخ في نفوس الهجع الرقود ثم أشرقت الشمس بنور ربها ، فالبست الكون لباس النهار الوضاء . بعد أن خلعت عنه لباس الليل الحالك . ونادى منادى الحياة حى على العمل !!

وخرج الراعى الصغير من كوخه الحقير يسوق غنمه أمامه

ولما وصل مرعاها التي هنالك عصاه ثم اتكأ على قنطرة يجرى من تحتها نهر يقسم الطريق نصفين . وترك غنمه ترعى ما أنبت الله من كلأ وعشب . وما ترك الزارعون من فضلات الزرع وبقايا المحصول . ثم لبث ينصت الى خرير الماء ، والى زمجرة الامواج عند ما تصطدم بعمد القنطرة . والطيور تنتقل من شجرة الى شجرة والسكون يرفرف باجنحة الهدوء القرير فلا تسمع الا مناجاة الطبيعة الصامتة ، وأغنية عناصرها من حي وجماد فللماء خرير . وللهواء صفير . وللطيور غريد . وللاغصان حفيف . وللراعى فوق ذلك من عواطفه الحساسة لذة القناعة وهناءة الرضاء بحياته السعيدة الهادئة

ومن نشأ بين مناظر الطبيعة . نشأت روحه على حبها فلا يبهجه الا رواؤها ولا يطربه الا غناؤها ولا يجد فى غير صورها أثراً من آثار الغبطة والسرور

وبينما الراعى غارق فى بحار تأملاته يقلب الطرف ذات اليمين وذات الشمال وينظر الى أشعة الشمس تتخطفها أمواج النهر ثم تصطدم بعمد القنطرة الصخرية وكأنى بها وقد غابت فى جوف الماء ثم طفت على سطحه رغاء وزبدا . ويصغى الى تغريد الطيور ومناجاتها منتقلة من غصن الى غصن غير عابئة بشؤون الحياة ولا بتقلبات الزمن اللهم الا أن ترجع الى أوكارها بطانا بعد أن فارقتها خماصا . وقد جاس فوق بساط الارض الاخضر السندسى الجميل يحدث نفسه بامانى الشباب وأحلام الفتوة واذ بفرقة فرنسية تقترب من القنطرة وقد خرجت من معسكرها لكى تقطع خط الرجعة على فيلق المانى كان يتبعها منذ ليلة مضت

وأبصر الراعى الصغير الفرقة الفرنسية عن كثب منه فسرت فى نفسه كهرباء الوطنية الصادقة فانتفض قائما . وكأنما استمد روحه فى تلك اللحظة من روح الجندى الباسل حتي مر أمامه علم بلاده المقدس فوقف فوق رأس القنطرة الحجرى وحيى الفرقة الفرنسية المجاهدة المدافعة عن حياض الوطن وحرمته قائلا :

عن الله خطاك ياجيش الوطن وجعل النصر حليفك ؟ ؟

ثم رفع قبعته الرثة ونادى

فلتحيي فرنسا ــ فلتحيي فرنسا ؟ ؟

وبقى الراعى منذ مرت به الفرقة ، وهو لا يفكر فى غير الحرب، ويتمنى لو كان بالغاً سن الجندية ، لينتظم فى سلكها، فيأخذ قسطه من الجهاد ،فى سبيل تحرير بلاده ،لتعيش كما خلقها الله حرة ، غير مستعبدة ولا ذليلة

وبدأ نصف النهار الأخير يتقاص والراعى فى مكانه وروحه ترفرف فوق هامات جيش بلاده ، واذا بالفياق الألمانى المتتبع للفرقة الفرنسية على قدر أذرع من القنطرة

وأبصره الراعي فتلهى عنه حتى لا تقع عيناه على أعداء الوطن كرهاً لهم وحنقا عليهم

ووقف القائد الالمانى أمام القنطرة حائرا إذ أشكل عليه الامر : ترى من أى طريق مرت الفرقة الفرنسية ؟ ؟ ؟ هل اجتازت القنطرة فمرت من وراء تلكم الاكمة الحصينة ؟ أم اخترقت ذلك السهل الممتد لتختبئ فى غاباته الكثيفة ؟ ؟

أم سلكت طريقا دائريا لتحتاط بالجيش فتأتيه من الخلف ؟ ؟ ؟ أم ماذا ؟؟؟

وتشاور القائد مع زملائه فما اهتدوا الى حل يخرجهم من المأزق ولا عثروا على أثر يهديهم الطريق

وأخيراً أبصر القائد الراعى الصغير جالسا يعبث بعصاه ويتلهى بغنمه فاقترب منه وحياه بلطف وخاطبه قائلا

ـ كم مضى من الزمن وأنت هنا ؟ ؟

ـ منذ أشرقت الشمس

ـ حسنا !! ألم تمر بك احدى الفرق الفرنسية اليوم يابنى العزيز ؟ ؟

ـ لا أدرى

ـ وكيف لا تدرى وليس للفرقة طريق تسلكه غير هذه فهى لاشك قد مرت بك فلم لا تصدقني القول ؟ ؟

ـ لا أستطيع أن أجيبك الى ما سألت

فاقترب القائد من الراعى ووضع يده على كتفه وقال ولماذا ؟؟ أجب ولك مني مكافأة حسنة

ـ لا أستطيع أن أجيبك الى ما سألت

ـ أخائف أنت ؟؟ كن مطمئناً ولا تخف أجب واصدق ولك منى عشرون فرنكا ذهباً

ـ لا أستطيع أن أجيبك الي ما سألت وكفى

فهز القائد كتف الراعى وخاطبه فى لين ورفق

ـ ماذا عليك اذا أجبتنى ، من أى طريق مرت الفرقة ، وسأمنحك فوق ذلك هذه الساعة الذهبية الغالية ؟؟؟

فأطرق الراعى إطراق المفكر المتريث ثم رفع رأسه ، فى أنفة و كبرياء ، وقطب حاجبيه وقال بصوت مرتفع متهدج

« عبثاً تحاول أيها القائد إغرائى فأنا فرنسى قبل كل شىء ، يهمني انتصار جيش بلادى على جيوشكم ، ومن العار أن أدلك على طريق الفرقة الفرنسية ، فابق لك نقودك وساعتك ، فأنا غني عنهما ، واليك عني فلا تتعب نفسك . . أتريد أن أعطيك سلاحاً تغمده فى صدر أبناء وطنى ؟؟ أتريد أن أكون عوناً لكم على قهر أبناء وطني ؟؟ هذا مالا يكون أبداً فعبثاً تحاول أيها القائد عبثاً تحاول . . واليك عنى ! ! !

فنظر اليه القائد الألمانى شذراً وعبس في وجهه عبوسة الحانق الساخط ثم صاح به قائلا :

ويلك أيها الراعى القـذر ! ! أجب نعم أجب سريعاً ولا تتلكأ وانظر الى من يخاطبك أولا وإلا فسأصوب مسدسى هذا الى صدرك فتخر على الارض صريعاً فاختر لنفسك احدي ثنتين الاجابة أو الموت أجب قبحك الله

فوقف الراعى الصغير وقفة الشجاع لا يهاب الموت ولا يرهب الردى ، ثم حملق فى القائد بعينين كأنما يقدحان شرراً مستطيراً ، وفتح سترته الرثة كاشفاً عن صدره الهزيل وقال :

« هاك صدرى أيها الظالم المستبد ، نصوب اليه رصاصتك ان سمحت لك نفسك بقتل غلام برىء لا يريد أن يخون وطنه ويعق بلاده التى فيها نشأ وبحبها تغذى

اضرب إن شئت وشاءت لك عواطفك قتل غلام يريد القيام بواجبه نحو وطنه المقدس .

اضرب إن شئت فان الرصاصة التى تخترق صدرى فى هذا الموقف ، لوسام شرف أتحلى به ويزين صدري ، المملوء بحب فرنسا والمفعم بغضاً لأعدائها ومحاربيها

اضرب فاني لا أعبأ بتهديدك ولا وعيدك ولا يغرنى خداعك ، ولينك ، لقد خلقت فرنسياً فلن أخون فرنسا ، ففيها نشأت ، ونشأ آبائي من قبلى وفى سبيلها أموت

وساد سكون عميق واشرأبت أعناق الجند تتأمل هذا الراعى الشجاع ، ذا الجسم الصغير والقلب الكبير

وفى هذه البرهة الرهيبة خرجت الطلقة من مسدس القائد الألمانى الظالم ، فاخترقت قلب الراعى المسكين ، وهو فى موقفه كالطود الراسخ والجبل الشامخ

وخر الراعى الى الأرض يتخبط فى دمائه الزكية ، ثم رفع قبعته الرثة وهو يقول :

فلتحى فرنسا . فلتحى فرنسا

فسلام على شهيد الوطنية

(بيا) محمد البرديني

قال الراجي عفو ربه

هذا هو الشَّرفُ المعظمُ شأْنُه * وعلى المتانةِ أُسِّسَتْ أركانُه
غَرَسَ الفضيلةَ أهلُها في ذا الفتى * من بدئه فتكاملت أوصافُه
لما استوت فيه الفضيلة قد رأى * بُغْضَ الرذيلةِ أيَّدَتْه طباعُه
قالت له الأعداءُ يوماً دُلَّنا * عن جيشكم إذ منك يُعلم أمرُه
فأجاب لا أدري فقالوا ذا افترى * بل أنت تَعرِفُ أين كان مسيرُه
إذ قد رأيت الجيش بعد عبورِه * ذا النهرَ كان لأي شطرٍ وجهُه
منُّوه بالمال الكثيرِ وحاولوا * إغراءه ومن المحال غرورُه
إذ كان للوطنِ العزيز مقدِّساً * سيَّان مالٌ يقتنيه وفقرُه
يا أيها الراعي أفِدْنا واغتنم * نحن الجميعُ لما تريدُ كفيلُه
فإذا أبيتَ فَسَلْب روحِك واقعٌ * فاختر لنفسك ما يَسُرُّك وقعُه
وعليه قائدُهم أدار مُسدِّساً * فتشجَّع الراعي وزاد ثباتُه
كشفَ الفتى عن صدره من غير ما * خوفٍ وقال اضرب فذلك وسامُه
لا أستطيعُ دلالةً عن جيشنا * رُوحي فِداهُ وكلُّنا أنصارُه
إنَّ انتصارَ عدوِّنا يُزري بنا * والغدرُ بالأوطانِ عارٌ فعلُه
لا أستطيعُ سوى الذي قرَّرْتُه * أأخون شعبي ذا محالٌ صُنعُه
هذا هو القول الأخير فلا تُطِل * واعلم بأنَّ الموتَ سهلٌ أمرُه
قد فضَّل الموتَ الزؤامَ على البقا * بمعيشة فيها الهوانُ نصيبُه

فأصابه القاسى الظلومُ برمية * مات الشهيد بها وذاك فخاره

لقد اشترى الراعى الصغير بروحه * شرفاً يعزُّ على الكبير شراؤه

قد آثر الوطن العزيز على البقا * فجزاؤه فخرٌ يدومُ ثناؤه

(من لم يمُتْ بالسيف مات بغيره) * هو واحدٌ وتنوعت أسبابُه

قد مات يوسف ذلك السلطان فى * مرّاكشٍ وتعددت أولاده

لكنّما العلماء فيها فضّلوا * من كان أصغرهم فتمّ سُمُوُّه

لما رأوْا منه استقامةَ حالهِ * متديّنا وتكاملت أخلاقه

قد كان والده تقيا عالماً * ومدرساً يأتونه طلاَّبُه

أنباؤه بجمادى أُخرى قد أتت * عام اربعين وستة تاريخُه

في وقت تحرير القصيدة هذه * فعليه من رب الورى رحماتُه

وكذا (١) (أمين الرافعىُّ) أتَتْ لنا * من قبل طبع مقالتى أخبارُه

نعَتِ الجرائد موته لا سيما * جرناله الأخبار زاد عويله

مات الصُّحَافيُّ (الأمينُ) أخو التقي * وجهادُه المشكور مات وحزنُه

وأولوا الفضيلة أبنّوه لفضله * والكل محزون عليه وآلُه

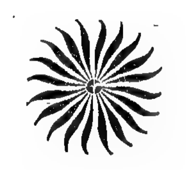
فارحمه ربى رحمة مقرونة * بالعفو يامن يرتجى غفرانه

كلٌّ يموت سوى الذى خلَق الورى * لو كان ألفاً مثل نوحٍ عمرُه

---

(١) توفى أمين بك الرافعى صاحب جريدة الأخبار يوم ٥ رجب سنة ١٣٤٦ وكان تقياً نقياً

هذا وبعد الموت يبقي ذكره * بالخير أو بالشر ذاك مآله
ويلٌ لمن هبط الشقاء بفعله * طوبى لمن صعد السماء صلاحُه
فاحفظ إلٰهي نفسَنا من شرِّها * واغفر لنا ذنباً تعاظم شرُّه
واختم لنا بسعادة ياذا العطا * أنت المعز لمن تشاء وعونُه
وبنبينا آت الوسيلةَ رحمة * وابعثه محموداً فذاك مقامُه
عَهِد الإلٰه إلى النبيين انصروا * هذا الرسول اذا أتا كم شرعُه
وعليهمو الميثاق قرره كما * قد فُصِّلت بكتابه آياته
قال اشهدوا قالوا شهدنا ربَّنا * وبذاك تم قرارهم وشهوده
هذا مقام نبينا فافطن له * في آل عِمرانٍ أتاك بيانه
هو مرسل للعالمين جميعهم * والأنبياء لقومهم نوابُه
لمكارم الأخلاق جاء متمماً * هو قائد والأنبياء جنوده
هو خاتم للأنبياء جميعهم * وختامه مسك عظيم شأنه
وعليه صلى الله مع أملاكه * وبذا أمرنا والسلام ختامه



الوصل السابع عشر

﴿ بالائتلاف والاعتصام بالدين الرقى والنجاح ﴾

(١) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) سورة آل عمران من آية ١٠٢ الى ١٠٥

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) رواه البخارى ومسلم

﴿ شرح الآيات ﴾

(١) قوله (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) بأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وهذه هى أخلاق الأنبياء والمرسلين لعصمتهم وتكون لخواص عباد الله الذين على قدم الأنبياء ولما كانت هذه

﴿ قال الراجى عفو ربه ﴾

بالدين نرقى لو أقمنا حدَّه * فهو الموصل للعلا بهدايته
وهو الموصل للسعادة في الدنا * حقًا وفى الأخرى ففز بإقامته
واعمل بقرآن وسنة أحمدٍ * وبيان مجتهدى أئمة أمته
الله ينصر من يؤيد دينه * فبالاعتصام به نسود بنصرته
فارجع الى التاريخ تعلم ما جرى * من قوة الإسلام مدة نهضته
يوم انتصار المسلمين بفتحهم * أسبانيا وعدوُّهم فى كثرته
وبلاد كسرى مُزِّقَتْ وخلافها * هذا النصر تهم مبادى شرعته
كان ائتلاف المسلمين كما أتت * أوصافه فى ذا الكتاب وسنته
مثْل البناء يشد بعضاً بعضُه * لا حالُه متُفَكِّكا فى قوته
فتحوا المدائن والقُرى مع قلَّة * فى عدهم طبقاً لما فى آيته
فلئن يكن عشرون منهم يغلبوا * مائتين من أعدائهم بمشيئته
لكنهم فى ذا الزمان تهاونوا * فأذاقهم ربى هوان إهانته
صاروا ذُيُولا والذُّيول ترأسوا * والله ليس بظالم لخليقته
أنباء طه قد أتت بتمامها * فى حالة الشرق التعيس وقسمته

الأخلاق فيها مشقة على عباده خفف الله عنهم بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وقوله (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أى ولا تكونوا على حال إلا إذا أدرككم الموت عليه تموتون مسلمين لأن المرء يموت على ما عاش كما ورد فى الخبر قال رسول الله ﷺ (إن المرء يموت على ما عاش عليه) . (واعتصموا)

والشرق يُبدى دَوْرة من نوره * فلعل دَوْرته تتم بعزته
فتراه أدرك أس نجاحه * فى الاتحاد والاقتصاد بعيشته
أنفق ولا تسرف وكن متوسطاً * والمالَ فاجمع للدفاع وقوته
وعلى الإله توكلوا هو حسبكم * وتعاونوا يُمددكمو بمعونته
واستغفروا الله العظيم يُمدكم * بالخير والفتح المبين ونُصرته
وعلى النبى وآله صلوا كما * أمر الإله لتحشروا فى زمرته
أصل المقال لفيلسوف عصرنا * شيخ الهدى الدّجوى ففز بتلاوته
فيما يلى نظمى تراه ملخصاً * من غير تحريف يُرى بعبارته

كتب بعض أصدقاء صاحب الفضيلة الأستاذ الفيلسوف الإسلامي الكبير الشيخ يوسف الدجوى اليه خطاباً علمياً فلسفياً فرد عليه فضيلته بالخطاب الآتى ويجب أن نشير إلى أن هذا الصديق هو أحد الباشوات الذين كان لهم في سياسة مصر فى العهد الماضى شأن مذكور وعمل مأثور وقد وقفنا على هذا الخطاب فوجدناه درساً عظيما مفيداً فأحببنا إهداءه لقراء كتابنا نصحاً للمسلمين ونشراً لما فيه من أسرار

تمسكوا (بحبل الله) الذي هو القرآن وفى الخبر قال رسول الله ﷺ . القرآن حبل الله المتين . (جميعاً) مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) عن الحق كما افترق أهل الضلال (واذكروا نعمة الله) التى تفضل الله بها (عليكم) أيها العباد (إذ كنتم أعداء) في الجاهلية (فألف) جمع (بين قلوبكم) بدينه القويم

الدين كما ستقف عليه قال حفظه الله بعد الديباجة

وبعد فقد وصلني كتابك الذى كنت تستمده من فيض العالم العلوى الذى كان يُفاضُ على روحك الكبيرة التى تنظر الأشياء على حقيقتها فلا تتجاوز بها مرتبتها التى خلقها الله عليها فكنت فيه روحانياً مادّياً سماوياً أرضياً ملكياً بشرياً شأن الإنسان الكامل الذى ينظر إلى الأشياء نظراً صحيحاً يحيط بها من كل أطرافها فلم يحجبك ما للمادة من رواء وبهاء وما يناط بها من عز وارتقاء عما لها من حقارة في نظر الروحانيين الإلهيين ولا عما جلبته على عابديها ومحبيها من انغماس فى حمأة الرذائل وانحطاط من أوْج الإنسانية إلى حضيض البهيمية الأسفل ومن شرف الأرواح المقدسة إلى خسة الديدان والحشرات وسفالة الكلاب والخنازير . نعم ولا حَجَبَكَ ما للنفس من عزة وكرامة وللروح من طهارة وقُدْس وما للنزاهة عن أدناس المادة وألواث المال من رفعة وجمال وما في ذلك من صفاء وسعادة لم يحجبك كل ذلك عما للمادة من فائدة محسوسة وغاية ملموسة بها يتقدم العمران ويرتقي نوع الإنسان وتتم بها الخلافة عن الله فى الأرض وسر ذلك كله هو أن الإنسان خلق مركباً من شيئين متضادين وهما

(فاصبحتم) فصرتم (بنعمته) التى معظمها الرسول ﷺ (إخواناً) لله وفى الله (وكنتم على شفا) طرف (حفرة من النار) للكفر الذي كنتم فيه (فانقذكم) أخرجكم (منها) بالاسلام (كذلك) مثل هذا التبيين المذكور (يبين الله لكم آياته) الدالة على جنابه (لعلكم تهتدون) إلى أكمل درجات

الروح التي هي من الملأ الأعلى الذى لا يُحجَبُ عنه شيء وهو غنى عن كل شيء إلا عن الله تعالى وكثيراً ما تظهر خصائصه فيمن يُنَوَّم تنويماً مغناطيسياً بل فيمن ينام نوماً طبيعياً فيرى من فى أوربا وهو في مصر فلا يحجبه بُعدُ المسافات ولا ترامي الجهات ولا كثرة الكثافات فان له من خصائصه الروحية ما يخرق أكثف الكثائف ويجعلها عنده بمثابة ألطف اللطائف كما أن من خصائصه (على وجه مّا) ما يخرق به الحجب المنسدلة على المستقبل ويطلع به على الغيب الذى يناسبه. ومن ذلك المرائى الصادقة لبعض أرباب الطهر والصفاء فى النوم (ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر). (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ولكن الروح التى لها هذه الخصائص لما تعلقت بالأجسام وعشقتها عشقاً مفرطاً خلعت عليها المادة الجسمانية من كثافتها ما استنزلها من أوْج الأرواح إلى حضيض الأجسام فتكشفت وجمدت فكان لها حكم الجامدات وغير خاف على سعادتك أن الأشياء تعرض لها أحكامٌ مختلفة على حسب ما يعرض لها من الأحوال والصفات فاذا تجمد الماء فصار كتلة من الثلج كان له حكم الجامدات تماماً فاذا ذاب أو أذبناه

الخير (ولتكن منكم أمة) يا معشر الأمة المحمدية (يدعون إلى الخير) يعم المنافع الدنيوية والأخروية لما ورد أنه قال ﷺ. الخير كثير وقليل فاعله. وأعظمها الدعاية إلى الهدى التى قال فيها رسول الله ﷺ فى الصحيح وغيره. من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص

صار له حكم السوائل فاذا تبخر بنفسه أو بخرناه صار له حكم الغازات فاذا أوصلناه إلى حالة التكهرب صار له حكم الكهرباء (والله أعلم بما وراء ذلك) فنحن نرى بأعيننا أن الأشياء تتغير أحكامها تغييراً كبيراً بسبب ما يطرأ عليها من الأحوال فكذلك الأرواح في أطوارها وأحكامها وإني لأعلم أن من الناس من يرجع الوجود كله الى معارفه الضئيلة ومعلوماته القليلة فيريد أن يحصر أوسع الواسعات فى أضيق المضيقات وكل مرتبة من المراتب لها علوم تخصها لا يمكن صاحبها أن يعرف أكثر منها إلا إذا جاوز تلك المرتبة فمحال على المادى الغريق فى ظلمات الطبيعة وسدف المادة أن يعرف ما للأرواح من خصائص أو يشمّ مالها من عبير أو يذوق ما تمتعت به من طهر وصفاء . هذا هو الأصل الأول والعنصر الأشرف فى الإنسان . وأما الأصل الثانى فهو الجسم وهو بحسب طبيعته قابل للتغيرات متأثر بالمؤثرات غريق فى حندس(١) الظلمات وحجب الجهالات وحضيض الشهوات وهو محل الحاجات والآفات وهو دائماً مشغول بنفسه محجوب بحسه حتى يدخل فى رمسه فتبقى الروح بعد ذلك معذبة بما أصابها من دنسه

ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً . (ويأمرون بالمعروف) بصورة لطف لقوله ﷺ . من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف . (وينهون عن المنكر) والنهى عنه والتغيير له بحسب المراتب المذكورة في قوله ﷺ فى الحديث

---

(١) شديد الظلمة

ولوثه ولذلك يقول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) فالإنسان جامع بين المتضادات ففيه أشرف العوالم وأخسها (فان أخس العوالم عند الفلاسفة هو عالم الطبيعة كما لا يخفى على سعادتك) بل نقول إن الإنسان هو نسخة مختصرة من العالم كله ففيه ما يشبه النبات (وله مقتضياته) من حيث التغذى والنمو وما يشبه الحيوان من حيث إحساسه وشهوته وحركته وما يشبه الكواكب المضيئة وهو بصره وما يشبه الملأ الأعلى وهو روحه وعقله وما يشبه الماء الملح وهو دمعه مثلا والماء العذب (كريقه) وما يشبه الشياطين المضلة عن طرق الحقائق بسبب وجود الوهم فيه وسلطنة الخيال عليه وبسبب ما أودع فيه من جهل وهوى الى آخر ما فصله العلماء وبينه الحكماء ولذلك يقول قائله مخاطباً للإنسان

دواؤك فيك وما تشعر * وداؤك منك وما تبصر

وتزعم أنك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الاكبر

فهو نسخة مختصرة من جميع العالم ولذلك يسميه بعضهم بالعالم الصغير وبعضهم يسميه بالعالم الكبير لأن فيه من حقائق الألوهية

الذى أخرجه مسلم . من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان (وأولئك) الداعون إلى الخير الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر (هم المفلحون) الفائزون بخير الدارين (ولا تكونوا) يامعشر المهتدين (كالذين تفرقوا) عن دينهم (واختلفوا) فيه (من

ما اختص به من بين جميع العالم فكيف يكون تفاوت نوع الإنسان وفيه تلك الدرجات كلها

لا غرو أن يقف كثير من الناس عند مرتبتهم النباتية يتغذون وينمون لا غير وأن يقف بعض آخر عند المرتبة الحيوانية (وهي في نفسها مراتب لا يحصيها إلا الله فمن مرتبة الديدان الصغيرة أو المكروبات إلى مرتبة الفيلة أوما هو أعظم منها)

ومن بين تلك المراتب مرتبة الحِرْباء التي تتلوَّن بتلك الألوان المختلفة (ولعل السياسيين في تلك المرتبة أو فى مرتبة الشياطين) ومن الناس من وصل ولا أطيل عليك إلى مرتبة الملأ الأعلى أو نقول صار إنساناً كاملاً يعرف تلك المراتب كلها ويعطيها حقها ويقف بها عند حدها بدون إفراط ولا تفريط ولذلك يسمى خليفة وربانياً لأن نظره في الأشياء الإلهية ومعاملته لها فى نفسه وفى غيره على ماتقتضيه الحكمة الإلهية حتى جاء فى الحديث أن الله خلق آدم على صورته أي على صفته ومع هذا فقد قال الله فى حق قوم (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) فكل من كان مع الروح ولذائذها المجردة الروحانية

بعد ما جاءهم البينات) وهم اليهود والنصارى أى فافترقت اليهود احدى وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون فى النار والنصارى اثنين وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون فى النار وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون فى النار وهذا التفرق من بعد الصحابة

لا غير فليس إنساناً كاملا وخليفة عن الله تعالى فى أرضه (ولا محمديةً) وكل من كان مع مقتضيات الأجسام غارقاً فى الماديات لا يعرف عما وراء الطبيعة شيئاً ولا يذوق العالم الملكوت والأرواح سراً ولا يرفع لذلك رأساً فهو حيوان كامل ولا يسهل عليَّ أن أقول أنه إنسان ناقص فان الله يقول فى حق هؤلاء (إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل) فالمسلمون عند ما كانوا على نهج نبيهم كان منهم الكاملون والقريبون من الكمال فكانوا بمقتضى أنظارهم البعيدة ومعرفتهم بما يجب للمراتب كلها وبسبب طهارة عقائدهم وقداسة أرواحهم كانوا مثال الفضيلة يقيمون موازين العدل على أنفسهم كما يُروى ذلك عن خلفاء المسلمين وقضاتهم عملا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) وبقوله تعالى (وَالعصرِ إنَّ الإِنسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الذين آمنوا وَعملوا الصالحاتِ وَتواصَوْا بالحقِّ وَتواصَوْا بالصبْر) كما كانوا في ترابطهم واتحادهم على ما يقوله ﷺ (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (والمؤمنون كالجسد الواحد اذا تألم منه عضو تداعى له

فالناجي من كان على قدم النبي وأصحابه ويختلف فى كل زمن بالقلة والكثرة ففى الصدر الأول كانوا ظاهرين أقوياء وكلما تقادم الزمان ازدادوا فى الاختفاء لكن لا تنقطع الفرقة الناجية ما دام القرآن موجوداً قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم

سائر الجسد بالسهر والحُمَّى) وفي محبتهم ومواساتهم كالأسرة الواحدة كما قال تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وعلى هذا فكانوا رقباء على أنفسهم وعلى غيرهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يقولون لأميرهم أخطأت وليس أميرهم إلا واحد منهم عالمين أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وأن أكرمهم عند الله أتقاهم مع شمم في نفوسهم وعزة في أرواحهم وشدة على أعدائهم ورحمة على إخوانهم وأبنائهم (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) يريدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون السلطان للفضيلة لا للرذيلة وأن تكون الإنسانية انسانية حقة لا بهيمية مموهة أو وحشية مستورة أو شيطانية خداعة فكانوا انصراء الإنسانية حقاً ورسل الرحمة صدقاً (لا كذباً وزوراً وتمويهاً وتضليلا) كما هو شأن الأمم الأوربية الآن فكانوا (خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله) (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ذوى عزة فى أنفسهم وطهارة فى معتقدهم (ولله

الآية) فلولا أن أهل القرآن الذين يتدبرونه موجودون لما بقى القرآن (وأولئك) المختلفون فيه (لهم عذاب عظيم) لاختلافهم بعد أن أمروا بالاجتماع على الحق.

—﴿ شرح الحديث ﴾—

قوله (المؤمن للمؤمن كالبنيان الخ) أى بعض المؤمن للمؤمن تشبيه بالبنيان فى (أنه يشد بعضه بعضاً) فذلك وجه الشبه وفي الحديث حث على تعاون

العزة ولرسوله وللمؤمنين) دائبين على عمل الخير قائلين لأنفسهم دائماً (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) غير خداعين ولا خائنين حتى مع أعدائهم إمتثالا لقوله تعالى (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه) وقد قال لنبيه في معاملة أعدائه الذين يتوقع منهم الغدر والخيانة (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) الى آخر ما يطول شرحه ومع هذا فلم يغب عنهم حكمة الله فى خلقه وما تقتضيه الطبائع البشرية فكانوا أسبق الأمم عن الرقى المادى والحضارة المادية (ولكن الحضارة التى تُسَيْطِرُ عليها تلك الأرواح الطاهرة وتلك العقائد النقية) فكانت مرتبتهم أعظم مرتبة فى العالم حساً ومعنًى وقد شهد لهم أساطين (١) الأوربيين المنصفين وقد كان أهل الأندلس ينظرون إلى الأسباني وفرنسا ومن جاورهم كما ينظر الغربيون إلى الشرقيين الآن وكذلك كان ينظر العباسيون فى الشرق إلى من جاورهم أيضاً هذا النظر وهناك أسماء عربية كثيرة باقية إلى الآن يستعملونها فيما بينهم تشهد للمسلمين بما كان لهم من سبق وتفوق وأظن أنه لولا الحروب الصَّليبيَّة (معروف في تاريخ الحروب الصليبية أن صلاح الدين

الناس بعضهم بعضا لقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) ومن ضمن ذلك

---

(١) الاكابر

الأيوبى عليه رحمة الله حارب الأفرنج وانتصر عليهم وأسر ملك فرنسا ولهذه المناسبة كانت بلدة المنصورة مسماة بهذا الاسم فنحن نقول لولا تلك الحروب التى استفادوا منها كثيراً بسبب احتكاكهم بالمسلمين وأخذهم من علومهم وما كانوا عليه إذ ذاك ولولا ما أخذوه عن الأندلس وما وصل اليهم من علماء المسلمين لولا هذا كله لكانوا فى ظلمة الجهالة وحضيض الهمجية إلى الآن وقد كانت الكنيسة تعاقب كل من يشتغل بالعلوم الرياضية والطبيعية العقاب الشديد حتى كانت تحرقهم بالنار بل نقول إن الفرنسيين فى العهد القريب عند ما دخلوا مصر أخذوا كثيراً من كتبنا وانتفعوا بها وكثير من كتبنا الأولى موجودة هناك ولم نعرفها إلا بالإتيان بها من ألمانيا أو فرنسا (ككتاب الفَرْق بين الْفِرَق فانه جىء به من ألمانيا) وما أفادته القوم من علوم ومعارف وما لعلماء المسلمين مثل ابن رشد وابن سينا وابن خلدون الخ الخ وما للأندلس التى كانت تجاورهم من حضارة ونبوغ لولا ذلك كله وما انضم اليه من اضطهاد الكنيسة واستضاءتهم بفلسفة الأندلس وعلومها لبقوا في دياجير الظلمات حتى الآن وهنا يضيق صدرى ويتلعثم لسانى عند ما أريد الكلام فيما طرأ على المسلمين من تركهم تعاليم دينهم واسترسالهم فى شهواتهم التى فرقتهم شيعاً وقسمتهم

حسن المعاملة والتوادد والتحابب فمن ذلك يظهر أن المؤمن للؤمن يشد بعضه بعضاً كالبنيان وقد وضح ذلك بحديث (ترى المؤمنين فى تراحمهم) أى

أحزاباً حتى نهض عدوهم الذى تعلم منهم وهم فى ثُبات عميق وغفلة مطبقة وأهواء مضلة وجهل محيط تحقيقاً لقوله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وانتقاماً منهم لترك العمل بكتابهم وسنة نبيهم وغير خاف عليك أن هذا العالم هو عالم الأسباب والمسببات وأن له نظاماً خاصاً من عرفه وعمل بموجبه كان له القِدْحُ الْمُعَلَّى فى هذا الوجود والعكس بالعكس وقد طال على الشرقيين الأمد فقست قلوبهم واستولت عليهم الجهالة وشُغِل بعضهم بعادات بعض أو بشهوات دنيئة (شأن الأطفال أو الجهال حتى استولى عليهم الأجنبى القوى المتنبه المتفنن وهم جاهلون غافلون) فسامهُم سوء العذاب فأصبحوا فى ذلة واضطرار وضعف ومهانة فلا غرو أن تتغير أخلاقهم وتضعف نفوسهم وأظن أن ذلك طبيعى لا يكاد يتخلف فى أفراد هذا النوع إلا من شذ ممن جعلهم الله (أناسِيَّ فوق العادة)

فالخلاصة أنه كان من تعاليم ديننا ما عرفنا به وسائل السعادتين الحسية والمعنوية الروحية والبدنية الدنيوية والأخروية ولهذا كنا أقوى الأقوياء وأعظم العظماء وأسعد السعداء فى الداخل والخارج حتى قال الله تعالى لنا (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا) وناهيك بالقوتين

رحمة بعضهم لبعض بأخوة الاسلام لا بسبب آخر (وتوادّهم) أى تواصلهم

اذا اجتمعتا والسعادتين اذا امتزجتا وقد أخذت أوربا بوسائل الرقى المادى وأتت اليه من جميع أبوابه وأما نحن فلم نأخذ بارشاد دينا وقد كان ضامناً للسعادتين موصلا الى القوتين فلم نسلك سبيل القوة باصلاح العقائد وطهارة الأرواح ومعرفة عظمة الباقى وحقارة الفانى ولا عرفنا من قوانين الاجتماع وأصول العمران ما عرفه الأوربيون ولا وجد فينا زعماء مصلحون عمليون فلا غرو اذا تدهورت الأمم الشرقية فى كل أمورها الاقتصادية والسياسية والأخلاقية بعد ذلك

ألا قاتل الله الضرورة إنها * تعلمّ خير الناس شر الطبائع

وليس الأمر قاصراً عندنا على الضرورة التى يعنيها الشاعر بل مفسدات الأخلاق عندنا كثيرة جداً وليس يخفى عليك أن الاستبداد من أولها ولا أريد أن أقول استبداد الأجانب وان كان ذلك حاصلا ومفسداً وفظيعاً ولكن أريد أن أقول استبداد المصريين أو الشرقيين أيضاً

وفى ظنى بل يقينى أنه لو صلح حال الرؤساء والوزراء ومن يليهم لصلح حال الأمة كلها فهم القدوة السيئة وهم جرثومة العدوى ولعلك اطلعت على ما كتبناه فى الأخبار منذ شهرين قبل انتهاء الدورة البرلمانية وقد أطلت كثيراً ولكن بقيت (كلمتان لا بد منهما)

الجالب للمحبة كالتزاور والتهادى (وتعاطفهم) فى عطف بعضهم على بعض (كمثل الجسد) أى بالنسبة لجميع أعضائه ووجه التشبيه فيه التوافق في

الأولى أن أول دواء يراه هو أننا من زعماء الشرق جميعاً واقترح على الباشا المخاطب بأن يجمع جماعة من كبراء البلد ومخلصيهم ويؤلفون جمعية لهذا الغرض ويأخذ كلمتهم لتحقيق قوتهم المعنوية والحسية

أما الكلمة الثانية فهى أن أوربا فيها من الفساد والتدهور الخُلُقِى الشيء الكثير لا كما تظن وكنت أود أن الواقفين على ذلك من الشرقيين يبينونه لأبناء الشرق فعسى أن يقتلعوا من قلوبهم محبة أوربا والتفانى فيها وأن يبينون أن للشرقيين من المواهب الطبيعية كالشجاعة والصبر والاحتمال والكرم والمواساة ما ليس عند الأوربيين ولا ينقصهم إلا استخدام هذه المواهب وإصلاح (الوسط العام) حتى تخرج هذه المواهب من حيز الْكُمُون الى حيز الظهور فتتجلى فيهم تلك المواهب العالية كما كانت متجلية فى أسلافهم من قبل ولنعد الى موضعنا فنقول إن المفاسد المتفشية فيما بيننا ما جاءتنا الا عن طريق أوربا وأ كثرنا انغماساً فيها أ كثرنا تعلماً فى أوربا وتشبهاً بها وإن شئت فانظر للمقامرين الذين خربت بيوتهم (أو ستخرب ان شاء الله) والى الزناة الذين فتكت بهم الأمراض وشقيت بهم الأعراض وضجت منهم الآداب والى السكيرين الذين فسدت

التعب والراحة (اذا اشتكى عضو) أى من الجسد (تداعى له) أى لذلك

عقولهم وأكبادهم وضعفت قلوبهم وتصلبت شرايينهم بل الى من يشمون الكوكايين وغيره الخ الخ تجد كل ذلك ما جاءنا الا بطريق العدوى من أوربا المتمدينة والمدنية في هذا العصر ليست الا القوة المسلحة (وقد صرح بذلك بعض الأوربيين المنصفين في حديثه عن اليابان وأنهم لم يعتبروها أمة راقية الا بعد الحرب اليابانية الروسية الخ) وإن نظرنا إلى الذمة والشرف والمحافظة على واجبات الغير وحقوق الغير وجدنا الكذابين والنصابين هناك أكثر وأبرع منهم هاهنا بل ما فسد قطرنا الا بالاحتكاك بهم والأخذ عنهم (أما الصنائع وما يحتاج اليه رقى الأمم وتقدم العمران فهو ما نوجبه إيجاباً وقد جاء به الإسلام وفرضه فرضاً وقد سرنا فيه شوطاً بعيداً فيما مضى ولم ترتفع أوربا إلا بأخذها بتعاليم الإسلام ولم ينحط المسلمون إلا لأخذهم بتعاليم المسيحية ولا يعقل أن أمة تعبد المادة وتقدس المال وهو المِحْوَرُ لكل عملها والمركز لجميع شؤونها الا أن تكون خربة الذمة ميتة الضمير الا ناساً منهم (وقليل ما هم) هذا هو القول المعقول منطقياً فإن الإنسان يحب نفسه ويحب كل شيء من أجلها فهو يضحى كل مرتخص وغال فى سبيل الوصول الى هواه والحصول

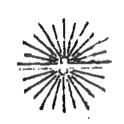
العضو أى دعا بعض الجسد بعضاً إلى مشاركة ذلك العضو في الألم (سائر جسده) أي باقيه (بالسهر) أي لأن الألم يمنع النوم (والحمى) لأن فقد

على شهوته ولذلك نرى في التاريخ من قتل أخاه أو أباه لأجل الملك ونرى أيضاً من خانت زوجها وقتلته من أجل شهوة دنيئة ونرى أيضاً من باع أمته وبلاده بثمن بخس ولا نقول إن هذا في الشرقيين فقط كما ظننت فانها طبيعة بشرية وجبلة إنسانية يهذبها الدين ومراقبة الله تعالى وربما خفف منها العلم والفلسفة وأكبر ظني أن هذا منتشر في أوربا كثيراً (غاية الأمر أن هنالك فَرْقاً بين القوى والضعيف وبين البيئة والبيئة والحكام والحكام) ربما خُيِّل للناظر أنه فرق جوهرى ولكنه في الحقيقة ليس كذلك ولو جهلت أوربا واضْطُهِدَت واستُعبِدَت ووجد فيها مثل كبرائنا الذين أفسدوا أخلاق الشعب بإغرائه على التملق والنفاق وعبادة الأشخاص وقصر الفوائد والمناصب على المحسوبين) لكانت شراً منّا هذا هو اعتقادى ولذلك أنقم دائماً على من يكثر الثناء والأطراء على أوربا بل تلك الألفاظ التي غرست فينا المبادىء الفاسدة ما جاءتنا إلا من أوربا مثل قولهم (الناس في الحياة عمال مأجورون) وقولهم (الغاية تبرر الواسطة) وقولهم (كل ذمة تشترى غير أن الثمن مختلف) الى غير ذلك واذا نظرنا الى أعمالهم مع الأمم الضعيفة وما يذكر من فظائعهم حتى مع النساء والأطفال

النوم يثيرها فى الحديث تنظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا ولو أن المؤمنين الآن عملوا بقول الرسول ﷺ فى الحديث

وما يخدعون به الناس من الوعود الكاذبة والعهود الفاجرة حكمنا بأنهم وحوش لبسوا ثياب المدنية وشياطين قد تستروا بلباس البشرية ولصوص تحصنوا بدعوى نصرة الإنسانية فاذا رجعنا الى أفراد الأمم هناك وجدنا منهم من يذبح الأطفال والسيدات يشويها على النار ويبيعها للآكلين ويتمتع بثمنها أمام المحاكم أو عند المشانق كما تقول فى خطابك فهو شاذ لا يقاس عليه ولذلك تطيره البرقيات الى أنحاء العالم لأنه نادر في نوعه غريب في بابه وقد وُجد منا من يماثل أولئك الشواذ فى تلك المواقف (كالوردانى مثلا) على المتفلسف يمكنه أن يقول إن هذا نشأ من قوة النفس فى الخبث الذى أحاط بها في ملكة الاجرام الذى لم يدع لغيره محلا فيها ولنقهر القلم على ترك الجولان في هذا الميدان فان ذلك شيء لا آخر له

لقويت بينهم الرابطة ووجد الاتحاد وعدم التفرق الذي نهى الله عنه وكانوا كتلة واحدة وإذ ذاك أهابهم العدو واضمحل أمام تلك القوة المعنوية



(شكر منا لحضرة صاحب الفضيلة)

الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجوي

« من هيئة كبار العلماء »

(١) قال الله تعالى (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) « سورة إبراهيم آية ٧ »

قال صلى الله عليه وسلم (التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله والجماعة رحمة والفرقة عذاب) رواه البيهقى

لما انتهى طبع موضوع بحثنا فى طول أبينا آدم عليه السلام وما يتبعه فى ختام الوصل الثالث عشر المتقدم أرسلناه إلى صاحب الفضيلة العلامة الشيخ يوسف الدجوى من هيئة كبار علماء الأزهر الشريف ورئيس النهضة الدينية الإسلامية فتفضل حفظه الله بقراءته وإعادته لنا مكتوباً عليه العبارات الآتي بيانها والذى حملني على إثبات

﴿ شرح الآية ﴾

قوله تعالى (وإذ تأذن ربكم) أعلم الوعد والوعيد (لئن شكرتم) نعمى بطاعتى بأن وحدتمونى ودمتم على طاعتى فى إقامة التكاليف التى فرضت عليكم

هذا الشكر هو التحدث بنعمة الله تعالى مع شكر الشاكر على شكره

قال حفظه الله

قرأت هذا الجزء اللطيف ولا يسعني إلا أن أدعو لسعادتك على حسن نيتك وشريف غايتك . وعظيم إخلاصك . ونبالة مرادك . وكبير اجتهادك . وأسأل الله أن يزيدك تأييداً وتسديداً . وأن يكثر في المسلمين من أمثالك . وينفعهم بجميل أقوالك . وجليل أعمالك . بمنه وكرمه ؟

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

﴿ قال الراجي عفو ربه ﴾

شكرى لربى واجب ولشيخنا * وإمامنا الدجوىّ حبر شريعته

كم من مشاريع له قد أيدت * للدين نهضته بحسن بلاغته

فاقرأ سبيل سعادةٍ تسعد به * ورسائلا فيها السلام لحضرته

وكتابَه الردَّ المنيفَ على الذى * قد حرَّفَ القرآنَ قصدَ حقارته

من صلاة وزكاة وغيرها (لأزيدنكم) أضعافها من خيرى الدنيا والآخرة فيحصل لكم النعم والرضا فتظفرون بسعادة الدارين (ولئن كفرتم) نعمى وعصيتمونى ولم يصرح بالجواب في جانب الوعيد وصرح به في جانب الوعد إشارة إلى كرمه سبحانه وتعالى وأن رحمته سبقت غضبه ونظير ذلك قوله تعالى بيدك الخير ولم يقل وبيدك الشر (إن عذابى لشديد) لمن كفر بى وجحد نعمي وعصانى

ولهُ من الكتب النفيسة عِدَّةٌ * لرسوخه فى علمه وبراعته
كم من بيان قد بدا من شيخنا * فيه الهدى لمن اقتدى بنصيحته
سُهُ فى ودرو أزهرٍ تَهدى الى * فهم الكتاب وما حوى من حكمته (١)
وحديث طه قارئاً ومبيناً * للسامعين دروسَه بفصاحته
قالوا الكفيف لا يرى أولم يروْا * ذاك الكفيف يرى بنور بصيرته
نفس أبت إلا المكارم والعلا * والقلب منه قد استنار بطاعته
هو وارث للأنبياء كما أتى * بحديث طه مسند بروايته
بصلاحه نال الرضا من ربه * والعارفين بفضله ومكانته
إن الذى يخشى الإلهَ يُمده * بالبر والتقوى وفيض عطيته
فبنعمة المولى عليه تحدثوا * ليزيدَكم نفعاً بعلم فضيلته
فالله قال لئن شكرتم زِدتُكُم * ولئن كفرتم فالعذاب بشدته
والشاكرون الناس يرجع شكرهم * لله فاشكر عبده لكفاءته
ما أكثر العلماء فى أيامنا * والبُعدُ عنهم قد قضى بمضرته

﴿ شرح الحديث ﴾

نعم الله على العبد كثيرة لا تحصى قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) فليقابلها العبد بشكر المنعم فان شكر النعم واجب عقلا وشرعاً والشكر يكون باللسان والجوارح بان يصرفها فى طاعة الله والجنان بالاعتقاد

(١) إلى تفسير القرآن

من هجرنا الشرع الحكيم وأهله * هجرُ الفتى لهمُو أساس جهالته
فالدينُ أسٌ سعادةِ الشعبِ استمع * والقابضين على زمام حكومته
قالوا على دين الملوك الناس إذ * كان المليك هو الوحيد بسلطته
واليوم حكام البلاد كما يرَوْا * كلٌ ينفّذُ حكمَه بإرادته
فصلاح شعب فى اعتناء حكامه * بالدين والدنيا وحسن إدارته
واذا أراد الله سوءً بالذى * يبغى الفساد أضله لإساءته
فيرى القبيح مزيناً لهلاكه * حتى اذا تم انتهى بخسارته
فالله يفعل ما يشاء بعبده * والعبد مَظْهَرُ فِعله ومشيئته
كسفينة والله مُجريها كما * يُجرى السحابَ وما ترى من آيته
فهو المؤسسُ للوجود بحوله * وهو المدبّرُ للشئونِ بحكمته
رفع السما سقفاً بلا عمدٍ ترُى * هل من فُطور قد بدا في هيئته
مرت ملايينُ السنينِ وما بدا * فى صنعها إلا ازدياد متانته
وكواكبٌ تجرى وأفلاكٌ بها * والكل مخلوقٌ بباهر قدرته
وتدور نحو الشمس تطلبُ ضوءها * وحرارةً منها بحكم وظيفته
والليلَ منها والنهارَ لتسكنوا * ولِتبتغوا من فضل رب بريته

ومن الشكر اللسانى إشاعة النعمة التي أنعم الله بها عليه والتحدث بها كما قال فى الحديث (التحدث بنعمة الله شكر) وتركها أى ترك النعمة من غير شكر (كفر) ستر وتغطية لما حقه الاظهار والاذاعة فالتحدث بالنعمة مطلوب بشرط أن لايخاف رياء ولا حسداً كما قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير) لأنه لم يتعود الشكر على النعمة

فمن السماء الماء يُحيي أرضَنا * ونفوسَنَا من سقيه وعُذوبتة

أنهارُه بالمدْن تجرى والقُرى * كالنيل يُحيي مِصْرَنا بفيوضته

وعيونُ أرضٍ فُجرت تأتى لنا * بالماء والخيرِ الجزيلِ بجنته

منها العيون المعدنية قد بدت * تُشفى العليلَ بمائها من علَّته

بعضٌ بالِاستحمام كالماء الذى * فى أرض حلوانٍ بعين مدينته

حمَّامُ حلوانٍ ترى فيه الشفا * فى مائه الكبريت أس مزيته

وعُيونُ صِيرا ماؤها يَشفى الذى * فى جلده مرض أضرَّ براحته

والبعض لِلشرب المريضُ به اشتفى * من علة فى جسمه أو غُلته

نِعمُ الإلٰهِ كثيرةٌ لم نحصها * عدًّا وشكراً شُكرنا من نعمته

يالاهياً عن شكر ربك عاصياً * ماذا جنى أهلُ الهوى من لذّته

هي لذة ذهبت وأعقبها البَلا * والخزيُ في الدارين سوءُ نتيجته

يا بانيَ الإهرام (١) ظُلمك ظاهرٌ * في ذا البناء الهندسىِّ بجملته

كم عاملٍ سخرتَ فى تشييده * ظلماً بلا أجرٍ إزاء مشقته

فاذا ترك الشكر على القليل منها ترك الشكر على الكثير (ومن لا يشكر الناس لم يشكر الله) أى من كانت عادته كفران نعمة الناس وعدم الشكر لمعروفهم فانه لا يشكر الله الذى أوصل نعمه للعبد على أيدى الناس فهو المنعم فى الحقيقة والعبد مظهر إحسانه واليه سبحانه وتعالى يرجع الشكر والأمر كله والمراد أن الله لا يقبل شكر العبد لاحسانه إذا ترك الشكر لاحسانهم

(١) يشير إلى الفراعنة ملوك مصر الذين شيدوا إهرام الجيزة وغيرها

هلا استخرت الله في عمل له * أثرٌ يدوم بنفعه ومبرته
بدلا من الظلم الذى سجلته * ببناء ذا الهرمِ الكبيرِ وإخوته
وكذا أبو الهوْلِ الموجّهوجهُه * للشمس والنيل السعيد كقبلته
رمْزاً لمصر فأنها عبَدَتْهُما * من دون ربي ويلهم من نقمته
فرعونُ كان لقومه مستعبِداً * لفسوقهم ولظلمه وسخافته
ما أسعد المُلك الذى يبغي الهدى * والعدلَ فى الأحكام بين رعيته
عنَتِ الوجوهُ لربها يوم الجزا * قد خاب ظالم نفسه بغوايته
والفائزُ العبد الشكور لربه * نِعم المآلُ مآله لسعادته
شكري لربى دائماً ولمن أتى * بالخير فى الدنيا لنفع عشيرته
أستغفر الله العظيم فأنه * يعفوا ويغفر للمسيء برأفته
وصلاة ربي والسلام على النبى * والصالحين من العباد وأمته

ومعروفهم (والجماعة رحمة) ى اجتماع المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى رحمة من الله لهم في الدنيا والآخرة وفى رواية والجماعة بركة أى إن فى اجتماعهم وتعاونهم زيادة خير ونمو أجر (والفرقة عذاب) أى التفرق وعدم الاتحاد يترتب عليه ضرر كثير من الحروب والفتن والقتل وغير ذلك فى الدنيا والعذاب في الآخرة ولذا أمر الله بالتعاون فى قوله تعالى «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب» نسألك اللهم التوفيق للشكر على نعمائك والمداومة على طاعتك . والاخلاص في عبادتك . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

دعاء واستغفار مأثور مستجاب إن شاء الله

اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عُدْت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتُك به من نفسى ثم لم أوفِ لك به وأستغفرك من كل عمل أردتُ به وجهك فخالطه غيرُك وأستغفرك من كل نِعمة أنعمتَ بها علىّ واستعنتُ بها على معصيتك فأستغفرك ياعالمَ الغيب والشهادةِ من كل ذنب أتيتُه فى ضِياء النهارِ وسوادِ الليل في ملأ وخلاءٍ وسرٍّ وعلانيةٍ ياحليمُ وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

الوصل الثامن عشر

فى ذكرى فيثاغورس الفيلسوف الرياضى الشهير

ووصيته الذهبية وتاريخ حياته وغير ذلك

(١) قال الله تعالى (يُؤْتِى الحِكْمَةَ مَنْ يشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقدْ أوتِيَ خيراً كثيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلبَابِ) « سورة البقرة آية ٢٦٩ »

الوصل الثامن عشر

شرح الآيات

(١) (قوله يؤتى الحكمة) العلم الالهي النافع هذا هو أصح الاقوال

(٢) قال الله تعالى (ومَنْ أحسنُ قَوْلاً مِمَّن دعا إلى اللهِ وعملَ صالحاً وقال إنَّني من المسلمينَ) « سورة فصلت آية ٣١ »

﴿ قال الراجى عفو ربه ﴾

كم فيلسوف أو حكيم قد دعا * قبل المسيح الى الهدى وسعادته
كالأنبيا والمرسلين أولى الهدى * دعوُ العباد لربهم وعبادته
فالبعض قد قبل الهدى وبه اهتدى * والجلُّ باق فى الضلال وشقوته
ختم الإلهُ على قلوب من ارتضوْا * بالكفر إذ عادَوْا دعاة شريعته
أملى لهم فأمدهم بعطائه * فبغوْا على أنصاره في شرعته
قتلوا النبيين الكرام ومن أتى * بالقسط يأمر غيره لهدايته
فلهم عذاب مؤلم إن لم يشا * لهم المتاب إلهنا من رحمته
أنباؤهم جاءت بقرآنٍ فلا * تكُ غافلا عن نصحه وقراءته
واعلم بأن الأمر يرجع كلُّه * لله يفعل ما يشاء بقدرته
لولاه ما أحد زكى من خلقه * أبداً ولا شيءٌ بدا فى هيئته
برهانه فى كل شيء واضحٌ * فافطن له يامن يرى ببصيرته
إهرام تسع من جماد الأول * عام أربعين وستة من هجرته
دُرجت لفيثا غرس فيه وصية * ذاك الرياضي الفيلسوف بشهرته

وقيل النبوة وقيل المعرفة بأحكام القرآن وقيل الفهم فيه وقيل الاصابة فى القول والفعل وقيل الفقه في الدين مطلقاً وقيل خشية الله وقيل القرآن لما

فيها بيان للهدى ونصائح * تهدى إلى سبل الرشاد وحكمته
وبجدول الضرب المسمَّى باسمه * برهانه القطعى بصحة دعوته
تلك الوصية قولها لم يختلف * معناه عن معنى القرآن وسنته
قد قلت عن بعض الفلاسفة الأولى * كانوا دعاةً للإله وطاعته
هم من عداد الأنبياء وعدهم * فى قول طه المصطفى مع صحته
مائة من الآلاف زد لتمامه * عشرين ألفاً وأربعاً فى خانته
ومن المئات ثلاثة رسلا أتى * خمساً وعشراً عدهم كروايته
جماً غفيراً قاله خير الورى * فارجع له إن شئت نص عبارته
لم يقصص المولى سوى العشرين مع * أصحاب عزم خمسة فى آيته(١)
طه وإبراهيم موسى بعده * عيسى ونوح من نجا بسفينته
فيجوز أن الفيلسوف بعدهم * والله يعلم حاله بحقيقته
وسألت أهل الذكر عن تاريخه * لإفادة القراء صحة سيرته
فأجاب محمودٌ أبو الفيض الذى * فاضت معارفه بنشر مجلته

ورد اذا أراد الله إنزال العذاب بقوم سمع تعليم صبيانهم الحكمة رفعه عنهم ويشهد للقول الاول حديث لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على

---

(١) وهى قوله تعالى فى سورة الأحزاب (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظا) وما ذكرته فى النظم مرتبا بحسب الأفضلية

وأتى بتاريخ مبين فضــــله * وذكرته بالنص إثر وصيته
وبه ترى أعمال فيثاغرس قد * كانت كنهج الانبيا فى خطته
إن لم يكن حقًّا نبيًا فليكن * حتما نصيرَ نبيه في دعوته
نِعْمَ الوصـية من حكيم عالم * فاعمل بها تغنم فوائد حكمته
يكفيك معناها لوعظٍ نافعٍ * إن كنت لم تحفظ صريح عبارته
واحفظ من القرآن ما استيسرته * واذا حفظت الكل فُزت بنعمته
فتـلاوة القرآن أعظم مغنم * وبه ارتقاء المرء يوم قيامتـه
وله يقال اقرأ هنا فى جنـة * وارقأ به درجا بحسْب تلاوته
فعليك بالتقوى وحسن تلاوة * ياذا الحجا قبل الممات وبغتته
واستغفرِ الله العظيم وتب الى * مولاك قبل حسابه وعقوبته
إن المتاب مكفِّر لذنوبنا * ومبشر برضا الإله ورحمته
وصلاة ربى والسلام على النبى * ومن اتقى سوء العقاب بطاعته
صلى عليك الله ياعلم الهدى * يارحمـة للعالمين ببعثتـه

جاء بجريدة الاهرام الصادرة في يوم الجمعة ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٧ الموافق ٩ جماد الأول سنة ١٣٤٦ ما يأتى : —

﴿ وصية فيثاغورس المعروفة بالوصية الذهبية ﴾

وهي التي يقول جالينوس أنه يقرأها كل يوم صباحاً ومساء ..

هلكته في الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس (من يشاء) اصطفاه وبيانها فى قوله ﷺ الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى

ترجم هذه الوصية كاتب له قدم راسخة في العلوم الفلسفية والتاريخية ونقلناها الى العربية لأهميتها ولا يخفى ما كان لفيثاغُورْس من الشهرة الفائقة والباع الطويل فى العلوم الهندسية والفلسفية

قال : فيثاغورس . أول ما أوصيك به بعد تقوى الله عزوجل بتبجيل أولياء الله ورسله . أوصيك بامتثال ذلك فى خدمة الباصرين في مذاهبهم وأوصيك أن تتخذ من الناس أفضلهم صديقاً ليكون صديقاً فى الفضيلة وأن تُلين له جانبك في الفعال ما أدى ذلك الى المنفعة ولا تهجر صديقاً لهفوة تكون منه ما أمكنك على أن الامكان قريب من الضرورة فهذا أول ما ينبغى أن تعمله . ثم تعود ضبط نفسك على هذه الأشياء التي أناذاكرها لك (أولها) أمر بطنك (وثانيها) الغضب (وثالثها) النوم

إحذر أن ترتكب قبيحاً فى وقت من الأوقات على خلوة ولا مع غيرك وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد ثم ينبغى لك أن تلزم نفسك الإنصاف في كلامك وفعالك ولا تَحْمِلَنَّ نفسَك على ارتكاب أمر من الأمور بلا تمييز بل اعلم أن الموت حالٌّ بجميع الناس لا محالة وأما المال فليكن قصدك فيه اكتسابه

العزلة وواحدة فى الصمت (ومن يؤت الحكمة) الشريفة (فقد أوتى) عطي خيراً كثيراً فى الدارين وفي ابن عدى قال ﷺ الحكمة تزيد الشريف

من حلال وصرفه فى حلال واصبر على ما ينوبك من الأشياء فان الصبر أجره عظيم

تروَّ قبل الفعل كيما لا تُغلب فى فعلك واحذر أن تقول أو تفعل ما يعد عليك بل ينبغي أن تقتصر فيما تفعله على ما لا يعود بالضرر عليك ولا تفعلن فعلا وأنت جاهل به بل تعْرِف فى كل حال وفى كل فعل من الأفعال ما يجب أن تفعله فانك حينئذ تسر بمعاشك

وينبغى لك ألا تهمل أمر صحة بدنك وينبغى أن تقصد من الطعام والشراب وتستريض وليكن تدبيرك تدبيراً نقيًّا ولا تكن شحيحاً ولا تساعد عينيك على النوم قبل أن تتصفح كل ما فعلته فى نهارك . ومتى التمست فعلا من الأفعال فابدأ بالابتهال الى ربك أن تَنْجح فيه فانك إذا لزمت ذلك لم تخالف هذه الوصايا ووقفت على محور ما يجرى عليه الأمر فى تدبير الله عزوجل لك اه

قد أطلعنا على هذه الوصية حضرة أخينا الفاضل حسين بك سامى الباشمهندس بمصلحة الرى سابقاً ولما له من المساعى الخيرية والأخلاق المرضية قلت

قول الفتى للناس حُسناً حُسنُه * وصَلاته حِصنٌ له وزكاتُه
ولأمره بالعرف ضوعف أجره * ولنهيه عن منكر أضعافُه

شرفاً وترفع العبد المملوك حتى تجالسه مجالس الملوك (وما يذكر) يتعظ بذلك (إلا أولوا الالباب) العقول السليمة

وقيامه بالدين أس فلاحــه * فهو الصلاح لحاله ونجاته
من أهمل الدين استهان بنفسه * فالصوم حفظ والوضوء سلاحه
وأحب شيء للإله تقرب * من عبده بفرائض هي حصنه
واذا تقرب بالنوافل بعدها * يزداد حباً عنــده ومقامه
واذا أحب الله عبــداً ناله * منه الرضا وأجيب حقاً سؤله
فالله معه معيــة مخصوصة * لم يخش ضيما والإله نصيره
قد قاله خير الورى عن ربه * بحديثه القدسي وذا مضمونه(١)
فاعمل به إن رمت حقاً أن ترى * في ضمن حزب الله جل جلاله
إن الذي يبغي العلا يلقى العنا * سهر الليالي والنجاح حليفه
و(حسين سامي) قد سما بصلاحه * وأحبه القربى كذلك أهله
قيل الأقارب كالعقارب فاجتنب * والأهل أعداء الفتى وخصومه
قلت التودد قد محا أضغانهم * بصلاته الأرحام أسس حبه
ان التودد جالب لمنافع * لاسيما ممن تعاظم شأنه
فزر الحسين السبط قل ياسادتي * من أمكم حباً تحقق جبره

(٢) قوله (ومن أحسن قولا) أى لا أحد أحسن (قولا ممن دعا) العباد (إلى الله) والايمان به والاشتغال بعبادته وهو النبي ﷺ ومن تبعه (وعمل)

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الىّ عبدي بشيء أحب الىّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري

قد قالها (شكرى) له فيما مضى * فأتم من فضل الكريم مراده (١)

يا آل طه جاهكم عند الذى * هو مالك الأشيا عظيم قدره

من جاءكم يسعى بقلب مخلص * لله يسأل قد أجيب سؤاله

لم يسأل المختار غير مودة * منا لقرباه وذلك أجره

فودادكم حبا لهم فيه الرضا * يرضى الإله عليكمو ورسوله

زر زينبا ونفيسة والشافعى * والآل يحصل لطفه ورضاؤه

وبهم توسل لا ترى تأثيرهم * ان المؤثر ربنا لا خلقه

يعطي ويمنع كيف شاء وإنه * متصرف فى خلقه لا غيره

هذا وأتقى الناس أكرمهم لدى * رب الورى لا من تكاثر ماله

لله عملا (صالحاً) أى امتثل أوامر ربه واجتنب نواهيه وحيث كان داعياً إلى الله مع اتصافه بالعمل الصالح كان قوله مقبولا ويؤثر فى القلوب وأما

---

(١) توسل مأثور مشهور فمن كان له حاجة فليصل ركعتين بمسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه بجوار المقصورة ثم يقبض على حلقة الباب ويكرر التوسل الآتي ثلاث مرات « كما أذنني بذلك المغفور له الشيخ الدمنهوري وأستاذي رضي الله عنهما » وقد جربت وأجيبت دعوتي والحمد لله رب العالمين وكان ذلك سنة ١٢٨٣ هجرية حيث كان هو الممتحن لي في اللغة العربية بمدرسة التجهيزية فأملانى هذه الأبيات وهى :

(ياسادتى) من أمكم لرغبة فيكم جبر ومن تكونوا ناصريه ينتصر

وبعد الامتحان أذنني وأستاذي كما تقدم ذكره باستعمالها عند الحاجة والله الموفق للصواب

ولهلدى المولى الكريم شفاعة * من فضله ونوالها إكرامه
لولا وجود الصالحين بأرضنا * لأتى العذاب معجلا وشروره
والله نسأل أن يعم بلطفه * كل الخلائق سيما عباده
صلى عليك الله ياخير الورى * يارحمة للخلق طرا شرعه

﴿ تاريخ فيثاغورس ﴾

مفاد من صاحب السيادة والإرشاد السيد محمود أبو الفيض المنوفى مدير مجلة لواء الإسلام الغراء . قال حفظه الله تعالى بعد البسملة والديباجة :

قد ورد لنا خطابكم تطلبون منا أن نبعث لكم بتاريخ فيثاغورس الفيلسوف ونحن تلبية لطلبكم هذا قد كتبنا لكم حياة هذا الفيلسوف على قدرما أمكننا بعد الرجوع إلى مراجع كثيرة . لأن حياة فيثاغورس متوزعة بين الكتب العديدة والروايات المختلفة

ونحن فى كل حين على استعداد لأى خدمة مما يساعد على إتمام عملكم الجليل وختاماً تقبلوا ياسيدى المحترم تحية المخلص ؟

محمود أبو الفيض المنوفي

﴿ فيثاغورس ﴾

هو من أعظم فلاسفة اليونان وأشهر حكمائها . ظهر قريباً من

من كان بخلاف ذلك فلا يكون قوله مقبولا ولا يؤثر فى القلوب ولا تنبغى صحبته قال العارف لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك الله على مقاله

الأُلمبياد المتمم سبعين وعمره ثمانون سنة وقيل تسعون

وقد روى أن أرسنيب القرنياني قال ان هـذا الفيلسوف سمى فيثاغورس لأنه كان من قوة كهانته يخبر بالأشياء قبل حدوثها فتقع كما أخبر . وهو أول من امتنع تواضعاً أن يلقب حكيما ورضى بلقب الفلسفة . أخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود النبى بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام . وقد كان أخذ الهندسة قبلهم عن المصريين ثم رجع الى بلاد اليونان فأدخل اليهم علم الهندسة ولم يكونوا يعلمونها قبل ذلك وأدخل اليهـم علم الطبيعـة أيضاً وعلم الدين . واستخرج بذكائه علم الألحان وتأليف النغم (والموسيقي) وأوقعها تحت النسب العددية . وأخبرهم أنه استفاد ذلك من مشكاة النبوة . وله في نضر العالم وترتيبه رموز عجيبة وأغراض بعيـدة . ورأيه فى شأن المعاد وخلود النفس هو أنه يوجد عالم فوق عالم الطبيعة روحانى نورانى لا يدرك العقل حسنه وبهاءه . وأن الأنفس الزكية تحتاج اليه . وأن كل إنسان أحسن تقويمه بالتبرؤ من العجب والتجبر والرياء والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية فقد صار أهلا لأن يلحق بالعالم الروحاني ويطلع علي ما شاء من جواهره من الحكمة الإلهية . وأن الأشـياء الملذة للنفس تأتيه حشداً . إرسالا كالألحان الموسـيقية الآتيـة الى

فمن لم يؤثر كلامه فى نفسه فلا يؤثر في غيره بالأولى
وبالجملة فالدعوة إلى الله لا تنفع إلا من قلب ناصح وأعظم الداعين إلى

حاسة السمع : فلا يحتاج أن يتكلف لها طلبا وذهب فيثاغورس الى إيطاليا وعلم الناس الفلسفة . وأشهرها ونشرها فى جميع أنحائها وظهر بذلك ذكره وشاع صيته فى سائر مدن إيطاليا وكثرت تلامذته : فكان الملازمون له أكثر من ثلثمائة تلميذ

وكان فيثاغورس مهابا محترما معتدل القامة حسن الصورة . وكان فى جميع أوقاته يلبس ثوبا لطيفا من الصوف الابيض مع غاية النظافة دائما . وكان لا يميل لهوى نفسه وحظوظها ولم يره أحد يضحك ولم يسمع منه مزاح ولا هزل قط . وكان لا يقتص من أحد في حال غضبه بل كان لا يضرب عبيده بيده . وكان يحرم الحلف بالآلهة والاستشهاد بها فى جميع الاشياء تحريما كبيراً . وكان يقول يلزم لكل إنسان أن يلاحظ على نفسه حتى يصير متصفاً بالكمال . وكان لا يتجاوز فى غذائه العيش والعسل والفاكهة والخضراوات . ولا يشرب إلا الماء القراح وكان يحب أن لا يطلب الانسان شيئا لنفسه لانه يجهل ما يصلح له : وقسم عمر الانسان إلى أربعة أقسام متساوية فقال : هو من صغره إلى عشرين سنة صبى ومنها إلى الاربعين شاب ومنها إلى الستين رجل . ومنها إلى الثمانين شيخ ومتى زاد على ذلك لا يعد من الأحياء . وكان يحب الهندسة وعلم الهيئة حباً كثيراً وهو الذى برهن على أن مربع الوتر في كل مثلث قائم الزاوية

الله الاولياء السالكون الذين يوصلون الخلق الى طريق الحق وهم

مساو لمجموع مربعي الضلعين الآخرين . وقد روى أن فيثاغورس حين اخترع هذه المسئلة حصل له غاية السرور وكان يقول أنه ليس له كسب فى ذلك إنما هو إلهام إلهي

وكان يقول لتلاميذه لا ينبغى لكم أن لا تقسطوا فى الميزان . ويريد بذلك أن لا يخرجوا من حد القوانين ولا يحيدوا عنها أبداً . وهكذا كانت معظم نصائحه لتلاميذه بالكناية . وكان يقول لهم أيضاً . لا تجعلوا الزاد الحاضر وطأ كم . يكني عن عدم الاكتفاء براهن الحالات وأنه ينبغى الاهتمام بالمستقبل . وكان دائماً ينبههم على أن كلا منهم يختلى بنفسه برهة من الزمن آخر يومه ويخاطبها بهذه الكلمات لمحاسبتها : يانفس كيف صرفت يومك هذا . وأين كنت فيه . وماذا صنعت فيه من اللائق وغيره

وكان يأمرهم أيضاً بالاقتصاد فى ظواهر أحوالهم وجعلها موافقة لحال من هم بينهم وعدم إظهار آثار السرور أو الحزن . وكان يحضهم على بر الوالدين وعلى أن يتمرنوا على الرياضة دائماً حتى لا تغلظ أجسامهم وأن يحترموا فلاسفتهم وأن لا يفنوا أعمارهم فى السفر . ولفيثاغورس تآليف شريفة جمة فى الارتماطيقي والموسيقي وغير ذلك ومن تلاميذه

موجودون فى كل زمن غير انه لا يجتمع بهم ولا يعرفهم الا من لحظه الله تعالى بفضله كما قال بعض العارفين . الاولياء عرائس مخدرة ولا يرى

المعروفين به أبو الفضل أرسطو طاليس وقد أخذ عنه علم العدد والنغم واشتهر من ذاك الحين بالفيثاغورس

وتضاربت الأقوال في شأن موت هـذا الفيلسوف الحـكيم . والذى يغلب على الصحة هو أنه قد قتـله جماعة من السراقوسـيين : وذلك لأنه وقعت بينهم وبين الأغريقيين محاربة فذهب فيثاغورس لمساعدة الأغريقيـين لانتمائهم اليـه وصحبتهم له فهُزِموا . فوجـد فيثاغورس نفسه عنـد حقل فول فقال الأولى أن أموت هنا خارج الزرع المسكين ولا أتلفه بالمشى وانتظر مع السكون السراقوسـيين ومدلهم عنقه فقتلوه ومن معه . ولم ينج منهم الا القليل منهم ارشيناس الطرنطينى الذى كان أعظم المهندسين فى ذاك الوقت . انتهى بحروفه

قال الراجي عفو ربه

قد نال فيثاغرسُ غايةَ مَجده * بجهـاده فى الله حقَّ جهاده
زكَّى النفوسَ بعلمه فإلهُنا * زكَّاهُ إذ كان الشهيدَ بقتله
يَحيى حياةَ أولى الشهادةِ إذ له * ما يشتهيه من النَّعيمِ ورزقه
لا تَحْسَبُوا من قُتِّلُوا فى الله قد * ماتوا فهم أحياء كما فى آيته
فرحين إذ آتاهمو ارب الورى * من كل خيرٍ يبتغونَ بمنـه

العرائس المجرمون . نفعنا الله بهم اجمعين وقال (اني من المسلمين) اي

يستبشرون بمن هم والم يلحقو * من خلفهم بهمو اوما وُعِدُو به
هذا جزاء من اشترى دارَ البقا * بحياته الدُّنيا ولهو متاعـــه
ولصحب فيثاغرسَ فاغفر ربنا * والمؤمنـين جميعهم لإخوانه
قد حاز ذاك الفلسفي فخراً سما * كفخار رسْل الله في أيامه
إذ كان أكْبَرَ عالمٍ ومعلِّم * وله اعتبارٌ فائقٌ في قومه
لم يَرْضَ أن يُدعى الحكيم تواضعاً * بل كان يُدعى الفلْسَفِي برضائه
إنَّ التكبر فيه خفضٌ للفتى * وتواضُعٌ لله سلَّمٌ رَفْعِـــه
فأمدَّه اللهُ الحكيمُ بِحِكمةٍ * لم تُعْط إلا لِلخيار بفضـــله
كالأنبيا ومن اصطفاهم ربُّنا * والكلُّ بثُّوها لنفع عباده
لم يشـتروا ثمناً قليلا بالهدى * حكموا بشرع الله طِبْقَ نزوله
من يؤت حكمتَهُ فقداُوتي بها * خيراً كثيراً لا انتهاءَ لِعَدِّهِ
عصَم الإلهُ الأنبياءَ جميعَهم * من شرِّ شيطان الهوى وضلاله
لم يرتكب أبداً نبيٌّ ما نهى * عنـــه الإله ولم يهمَّ بفعله
ماهمَّ يوسفُ معْ زُلَيْخا بالذي * همَّت به هذا لِرَفْع مقامه
صَرَفَ الإلهُ السُّوء عنه وإنه * من خير عبادِ الإله ورسْله
فالله فضلهم وأعلى قدرهم * فاحفظ لسانك واحترس من شره

تحدثا بنعمة ربه وفرحا بالأسلام .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

رضى المهيمن عنهمو اولقد رضوا * عنه فكانوا من خلاصة خلقه
فعليهمو امنا السلامُ تحيةً * فهمو الدعاةُ إلى الإله ودينه
وعلى (أبي الفيض المنوفي) الثنا * شكراً له ولمن أفاد بعلمه
وافا بما رُمْناه منه مُبيِّناً * تاريخَ فيثاغرسَ حال حياته
من يشكر الناسَ استفادَ بشكرهم * شكرَ الإله فقم بواجب شكره
وصلاةُ ربي في الختام على النبي * طه الحبيبِ وآله مع صحبه
من شرعهُ الإسلامُ جاء مُتَمِّماً * لشرائع الرسل الأولى من قبله
ومُهيْمناً حقًّا عليها قد أتى * لسلامة الإنسان من أهوائه
صلى عليك الله ياخير الورى * يارحمـــة للعالمين بشرعه

إسلام رجل عظيم من كبار الانجليز وسبب إسلامه

جاء بجريدة السياسة الغراء في تلغرافاتها الخصوصية بتاريخ ١١ جماد الثانى سنة ١٣٤٦ و ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ما يأتي

قابل مراسل جريدة سنداى اكسبريس فى (كان) مستر ركس انجرام وحادثه فى موضوع إسلامه فقال مستر انجرام : إننى درست الاسلام مدة أربعة أعوام فوجدته نظاماً اجتماعيّاً عمليّاً ناجحا . هو عقيدة عملية بسيطة غير مقيدة بالطقوس ووساطة القسس : واني لأعتقد أن المسيح نبى عظيم وأن الله إله واحد رحيم عادل يتساوى

أمامه الرجل الوضيع بالخليفة العظيم . وان أحسن ما في الاسلام لمتفق مع تعاليم المسيح

وقد ذكرت ذلك فيما يأتى نظما مادحا لهذا الرجل العظيم ولمن زف الينا هذه البشرى وهو حضرة أخينا الفاضل أمين بك فتحي باشمهندس شركة الزراعة البلجيكية سابقاً وصهر والدنا المغفور له أحمد بك ناصر مدير عموم المباحث الهندسية بنظارة الاشغال لغاية سنة ١٨٨٢ وبما أن المرحوم أحمد بك ناصر من المآثر الجليلة علىّ أردفت مدحهما بمدحه والترحم عليه فقلت

بشرى لمن شرح الاله صدورهم * لشريعة الإسلام نور هدايته
وأعزهم بالدين اذ قد أُخرِجوا * من بؤرة الكفر المضلّ بظُلمته
خرجوا من الظلمات للنور الذى * يَهدى لِنيل سعادةٍ بأضاءته
فاز انْجِرَامُ الإِنجايزى بالرضا * ومن الضلال نجا بفضل عنايته
من بعد أن دَرَسَ الديانات انْتَقَى * دينَ السلام لهديه ومتانته
دينَ النبى محمد فمن ابتغي * دِيناً سِواه فقد أساء بحالَته
أفمن أقام معذباً في ناره * كمن استقام مُنَعَّماً في جنته
فى كل حِين كم نَرَى أهل النهى * يتسابقون لدِيننا ولِنُصْرته
ماذا يقول الملحدون إذا رأوا * من ينْصر الدينَ الحنيفَ بحجته
خزىٌ لهم ولهم عذابٌ فى اللظي * لجحودهم بكتاب رب بريته

قد دافع الاسلامُ عن كل امرىء * لحماه جا متحصّنا بحمايتــه
مُتبرئاً من كل شخص مُلحدٍ * نآءٍ عن الحصن العظيم وساحته
حمداً لربٍّ ناصرٍ دين الهدى * بظهوره بين الوري في قوته
لو أن كُلَّ المسـلمين بدينهم * عملوا لسادوا غيرَهم بهدايته
ماأحسنَ المرءَ الذى يبغي الرضا * بصنيعه من ربه وعشـيرته
و(أمين فتحي) كم أراه مسارعا * للخير يأتي ما استطاع بهمته
حسنت مساعيه فضاعفَ أجرَه * ربُّ العباد بفضله في جنته
ولأحمدٍ بك ناصر فضلٌ بدا * مذ كنتُ أشغَل مركزاً بمعيته
كان المدير العامُ فى أيامه * لمباحث الاشغال آخر مُدَّته
وأراد ربى أن أكون بجنبه * عند ابتداء توظُّفِي بأدارته
باللطف كان معاملا مُحمَّالَه * لاسيما شخصى المحبّ لسيرته
بكماله كان ارتقاءُ مقامه * وبراعةٍ في فنــه وأمانتــه
منه استفدتُ معارفاً شكراً له * ورضاً عليه من الإله برحمته
وعلى اشقَّاءٍ له يا ربنـا * وارحم بفضلك شاكرَ بْنَ شقيقتِهِ
فى نسله بارك وفي أصهاره * واغفر لهم ربى لاجل كرامته
هذا وفى رجب الذى فى مثله * أسرى الاله بعبده فى ليلته
عرج النبى الى السماء كما أتى * بحديثه المروى بشُهرة صحته
فاحكم بفسق المنكرين عروجَه * وبكفر من ينفى لإسرا حضرته

رجب لألف والمئات ثلاثة * بعد اربعين وستة من هجرته
فى وقت تحريرى لهذا جاءني * (فتحى) بسفر (١) قدسررت برؤيته
تأليف (حلمى) صهره فى علم ما * خلق الاله من النبات وبذرته
هو عالم بأصوله ومدرس * بمدارس التعليم فن زراعته
جادت قريحته بخير مؤلف * في فنه أنعم بصفو قريحته
اذ كان فى علم النبات مبينا * لدقائق بأصوله ونتيجته
شرح النبات برسمها مع وصفها * كمعلم التشريح حال دراسته
ان التفكر في النبات وغيره * من صنع ربى واجب كعبادته
لاغرو فهو النابغ البحاثة * نعم الزكي الألمعى بفطنته
قد فاق أقرانا بصرف جهوده * في خدمة العلم النفيس وغايته
فبمثل هذا فليقم شبابنا * كيما يؤدى الكل واجب أمته
لو أنهم صرفوا الشباب وعصره * فى العلم حقا لارتقوا بسعادته
وتقدمت مصر على من دونها * ولها اعيد المجد بعد اماتته
قد جاء عثمان (٢) بعلم نافع * بمشيئة المولى لأهل كنانته

(١) اي كتاب
(٢) هو نجل المرحوم احمد بك حلمى الذى كان باشمهندسا بالري نجل المرحوم عثمان افندى شقيق المرحوم ناصر بك اما من جهة الام فهو ابن بنت المرحوم اسماعيل افندي الشقيق الثانى لناصر بك وهو الان متزوجا بينت المرحومة كريمة ناصر بك رحم الله الجميع

بلدُ الزراعة مصر نامن يعتني * بالزرع فيها يغتني بمشيئته
وصلاة ربي في الختام على النبي * خير الورى ومن اقتدى بشريعته

﴿ زيارة صاحب الجلالة أمان الله خان ملك الأفغان ﴾

للديار المصرية سنة ١٣٤٦ هجرية في أواخر سنة ١٩٢٧ ميلادية
وخطبة الوداع التي القاها يوم ارتحاله منها الى أوروبا

﴿ قال الراجي عفو ربه ﴾

الملك لله الغني بعزته * يؤت الملوك الملك حسب إرادته
فالله يُؤتي الملك حقاً من يشا * هو مالك الملك العظيم بقدرته
ملك الملوك وهم جميعاً خلقه * والكل مقهور له في قبضته
ويُحَاسِبُ الله الجميع بما أتوا * فالكل مسئول أمام جلالته
أشقى الملوك لدى المهيمن من طغى * بالملك مغتراً بمظهر زينته
وسعيدهم من في رعيته غدا * بالعدل يحكم ناشراً لعدالته
عدل الملوك أساس ملكهمو فمن * يخشى التداعِيَ يستقم في أمته
بِرِ بَاطه لعدوّها حصناً لها * وأقام شرع الله حق إقامته
لم يخش لومة لائم في دينه * بالعدل سوَّى بين كلّ رعيته
هذا هو الملك الذي سيظله * ربُّ الورى في ظله وحمايته
قد زار مصر مليك أفغان وذا * عام أربعين وستة من هجرته
يُدعى أمانَ الله خانَ وزوجه * وكبارُ حاشيةٍ له بمعيته

قد أعجبته بمصر آثارٌ وما * تحويه من طرفٍ فسرّ برؤيته
ورجى لها كل السعادة مثلما * يرجو لدولته وأهل عشيرته
بعض المساجد زارها وبأزهرٍ * صلى مع العلماء لابس قبعته
لفّ العمامة سنة ياحبذا * لولفها لأتي بكامل زينته
فلقد أُمرنا بالتزين عندما * نبغي الدخول بمسجد لعبادته
هو مسلم سنّي ولكن قصده * اثبات ان الدين جا بسماحته
لم يشترط زيًّا يُرى بخصوصه * فشعاره الأعمال طبق شريعته
فوز الفتى في دينه وصلاحه * أما اللباس فزينة لضرورته
لا ينظر المولى لظاهر حالنا * لكن لباطننا الخفيّ وحالته
قد ودّع الملك الكنانة شاكراً * حُسنَ اللقاء والاعتنا بضيافته
أخلاقه خلق الملوك وإنه * متواضع لله شاكر نعمته
أهدى النياشين الكثيرة مثل ما * أهدى مليكُ بلادنا لجلالته
والقصد تذكارٌ كما يبدو لنا * والله يعلم قصده بسياحته
في خطبة التوديع فانظر قوله * ينبيك عن نهج المليك وفطنته
هذى الظواهر كلها محمودةٌ * فلعل باطنه كظاهر حالته
استغفر الله العظيم مخافة * من بطشه فهو الغفور برحمته
وصلاة ربي والسلام على النبي * خير الورى ومن اهتدى بهدايته

خطبة جلالة ملك الافغان حال مبارحته للقطر المصرى

وسفره الى أوروبا فى يوم الجمعة ١٣ رجب سنة ١٣٤٦ ، ٦ يناير سنة ١٩٢٨

جمع جلالته مندوبى الصحف بالاسكندرية وألقى عليهم الخطاب الآتى باللغة التركية :

لقد دعوتكم اليوم لأقدم عن طريقكم شكرى للامة المصرية أولا وللحكومة والهيئات المختلفة ثانيا ولأعرب عن خالص شعوري واحساسي حيال ما لقيته من حفاوة فائقة

وانى أودع جميع اخوانى المصريين شاكراً لهم جميلهم ومعترفاً بما لهم من المكانة الخاصة فى قلبي وثقوا بأن محبة الاسكندرية ومحبة الشعب المصري تغلغلت الى أعماق قلبي وستظل باقية فيه وأعتبر أن مظاهر الحفاوة التي لقيتها في مصر لا يمكن أن ألقى أحسن منها في الافغان بلادى نفسها وانى أوجه الى الشعب المصري الكريم تحياتى بواسطة حضراتكم وأودعه من الصميم وداعاً حاراً

لقد احتفت بى الصحف جميعها حفاوة فائقة وامتدحتنى كثيراً وفى اعتقادي أني لست أهلا لهذا المدح وانما أمتي وحدها هى الجديرة به . ذلك لانها كانت رغم عدم نضوجها للحد الذى تقدر به معنى الاستقلال قد خاضت حروبا عديدة ونالت بفضل كفاحها المتواصل استقلالها التام ثم استطاعت وقد نضجت الآن أن تحتفظ بهذا الاستقلال الاحتفاظ كله . فمثل هذه الأمة هي الجديرة بالمدح والثناء

بقي أن هناك أمراً لاحظته بنفسي ذلك أن البعض من المصريين يعتقد أن الطربوش من شعار المسلمين . وهذه فى اعتقادى فكرة خاطئة لا تخرج عن كونها دعاية لمصلحة الاجنبي أو أمراً يستغله المستبدون

ولهذه الدعاية ؟ بأن يحمل المسلم على اعتقاداً نه يظل مسلمامضمونةله الجنة مادام محتفظا بطربوشه ولو فقد كل مقومات حياته سواء كانت أدبية أم مادية .

ثم استطرد جلالته الى الكلام عن الملابس الوطنية المصرية (الجبة والقفطان وما يليهما) فقال (ان هذه الملابس لاتحمل الاجانب على احترام لابسيها وقد كانت الحال كذلك فى بلادي لهذا أبحت لشعبي الحرية فى اختيار ما يريده من الملابس لانى أعتقد أن الازياء لاعلاقة لها بالدين أصلا وان دين الاسلام قائم على مبادىء العدالة والحرية والاخاء والمساواة والصدق في القول والجد والاجتهاد وتوحيد الخالق عز وجل واحترام النبي عليه الصلاة والسلام والقيام بالفرائض على الوجه الاكمل . أماماعدا هذا فللمسلم الحرية في اختيار مايشاء من مستلزمات الحياة الصحية

وأكرر شكرى لحضراتكم وحضرات أصحاب الصحف التي تمثلونها متمنيا من الله جل اسمه أن يسعد الامة المصرية الكريمة راجيا أن تظل راقية فى معارج الرقى والتقدم وأسأله تعالى أن يطيل فى عمر جلالة ملك مصر المعظم

وختم جلالته مقاله مودعا الشعب المصرى مرسلا اليه بواسطة الصحافة (قبلات الوداع الحارة)

وفى الساعة الثانية عشرة ركب جلالته وجلالة الملكة وركبت حاشيتهما الى الباخرة (ايتاليا) وفى توديعهما على الرصيف المحافظ ومدير البلدية وعدد لايحصي من الاهالي

﴿ حديث المصافحة والمشابكة ﴾

أروى عن السيد احمد الغندور البتانوني عن شيخه وسلسلة المحققين من السادة الصوفية أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حالة المصافحة (من صافحنى أو صافح من صافحنى دخل الجنة)

وفى حالة المشابكة أعنى تخلل أصابعه الشريفة مع أصابع صاحبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من شابكنى أو شابك من شابكنى دخل الجنة) قد رواهما لى حضرة السيد المشار اليه فى يوم السبت ٢٨ رجب سنة ١٣٤٦ و ٢١ يناير سنة ١٩٢٨ وقد أهداني بكتابيه أحدهما (فتح القوى المتين فى الصلاة على سيد المرسلين) وثانيهما (منابع الخيرات في الادعية والتوسلات) وكان أطلعنى عليهما قبل الطبع وكتب لى عندما وصله الجزء الاول من كتابى (المنظومة الشكرية فى النصائح الدينية) تقريظا مطولا دل على بلاغته وذكائه ووصف فيه محتويات ما اشتملا عليه كتاباه وأولهما (فتح القوى المتين فى الصلاة والسلام على أشرف المرسلين) وهو مرتب على حروف المعجم . وكل صلاة فيها حديث من كلام النبي الافخم ومعه شرحه المسمى الفيض المبين . من كلام العلماء العاملين . ثانيهما (منابع الخيرات فى الادعية والتوسلات) وهو يحتوى على استغفار وعلى سلسلة للسادة الخلوتية وعلى سلسلة للسادة الاحمدية وعلى استغاثة وعلى قصيدتين فى مدح سيد الكونين وغير ذلك

واني ألفت نظر الاخوان لاقتناء هذين الكتابين لما فيهما من الفوائد الجمة وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وعلي آله وصحبه وسلم

الوصل التاسع عشر

في الاخلاق وتباينها والعجب والكبر والحماقة والحلم وغير ذلك

(١) قال الله تعالى (ومِنَ النَّاس من يُعْجِبُكَ قولُه في الحياةِ الدُّنيا ويُشْهِدُ اللهَ على ما في قلبه وهو ألدُّ الخِصام . وإذا تولَّى سَعَى في الأَرض لِيُفْسِدَ فيها ويُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ والله لا يُحِبُّ الفسادَ . وإذا قيلَ له اتَّقِ الله أخذَتْهُ العِزَّةُ بالإثم فَحَسْبُهُ جهنَّمُ ولبئسَ المِهاد . ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد . يا أيُّها الذين آمنوا ادْخُلوا في السِّلْم كافَّةً ولا تَتَّبِعوا خُطُواتِ الشيطانِ إنَّه لكم عدوٌّ مبينٌ . فإن زَلَلْتُم من بعْد ما جاءتكُمُ البيِّناتُ فاعلموا أنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ) سورة البقرة آيات ٢٠٣ لغاية ٢٠٩

الوصل التاسع عشر

﴿ شرح الآيات ﴾

(١) قال الله تعالى (ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا الخ في هذه الآيات بين الله تباين أخلاق الناس فمنهم المنافق الذي يعلن خلاف ما يبطن ويظهر خلاف ما يضمر ومنهم المخلص الذي اتحد ظاهره وباطنه فذكر صفة الفريق الاول ذلك انه يعجبك قوله في الحياة الدنيا فينمق كلامه ويزوقه ليدخل على قلبك مظهر الاخلاص لك (ويشهد الله على ما في قلبه) ويقسم على أنه يجهر بما يسر وان طويته وعلانيته سيان (وهو الد الخصام) وأعدى الاعداء وكثيرا ما تنطلي أعمال مثل هذا على الناس

(٢) وقال جلّ ثناؤُه (وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ أُعِدّت للمُتّقين الذين يُنفِقون في السَّراء والضراء والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن النّاس والله يحبُّ المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفُسَهُم ذكروا الله فاستغفروا لذُنوبِهم ومن يغفِرُ الذُّنوبَ إلا الله ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون أُولئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربهم وجناتٌ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونِعمَ أجرُ العاملين) سورة آل عمران آيات ١٣٣ لغاية ١٣٦

﴿ وفى الحديث الشريف ﴾

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى قال لا تغضب فردد مراراً قال لا تغضب » رواه البخارى .

اذا لم تظهر حقيقته فى الدنيا ولكنه في الآخرة تظهر حقيقته فلا ينفعه التمويه بل يدرك كل واحد نفاقه (يوم يعرف المجرمون بسيماهم) وكثيرا ما يفتضح أمره فى الدنيا . ومن أعماله أيضا أنه اذا تولى وذهب من عندك أو كان واليا على أمر من الامور سعى فى الارض فسادا وأهلك الحرث والنسل (واذا قيل له اتق الله) ولا تفسد فان الله لا يحب الفساد (أخذته العزة بالاثم) واستولى عليه كبرياؤه وحميته بسبب الجهل الذى فى قلبه (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) الذي يفترشه ويأوى اليه .

نزلت الآية فى أبى بن شريف الملقب بالاخنس كان منافقاً ويظهر الاسلام وكان يتبعه ثلثمائة منافق من بنى زهرة خرج مع النبى فى غزوة بدر هو

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم (لا تَحاسَدوا ولا تَناجَشوا ولا تَباغضُوا ولا تَدابَروا ولا يَبِع بعضُكم على بيع بعض وكونوا عبادَ الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يَظلمه ولا يَخذُله ولا يُكذِّبه ولا يحقِرُه التّقوى هاهُنا ويُشير الى صَدره ثلاث مرات بحسْب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاهُ المسلمَ كلُّ المسلمِ على المسلم حرام دمُهُ وماله وعِرضُه) رواه مسلم

(٣) قال صلى الله عليه وسلم (من ابتُلِي فصبر وأُعطِي فشكرَ وظُلِم فغفَرَ وظَلَم فاستغفر أولئك لهم الأمنُ وهم مُهتدون) رواه البيهقي عن سخبرة

وأتباعه فقال لهم اخنسوا(١) واختفوا معي فان انتصر محمد فالعزة لكم لانكم عشيرته ولم تظهر منكم عداوة له وان انتصر الكفار فقد كفيتموه فلما انتصر المسلمون جاء الى النبي ﷺ يقسم أنه مؤمن محب له فأدنى مجلسه واكرمه مع علمه بأمره كما هي عادته مع المنافقين كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (انا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم) عملا بقول الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) أي اقبل ما ظهر من أخلاق الناس ولا تبحث عن باطنهم فلما انصرف من مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مر بزرع وحمر لبعض المسلمين فاحرق الزرع وعقر الحمر فصدق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان) رواه

(١) أي تأخروا

قال الراجى عفو ربه

فطر العباد على تفاوت خلقهم * وتباين الاخلاق حسب مشيئته

منهم فريق شامخ متكبر * ويرى الخلائق دونه فى هيئته

وتراه مفتخراً يزكى نفسه * مع أنه فى النقص بالغ غايته

هذا الفريق وإن تظاهر رفعة * فهو الوضيع وجاهل بحقيقته

حب الظهور بلية وما آله * قصم الظهور وذل سائر شيعته

فمحاسن الأخلاق كل فضيلة * وبها فخار المرء بين عشيرته

أما قبائحها فكل رذيلة * تزرى بقدر حليفها وصحابته

فالزم محاسنها وجاف قبيحها * لتزين نفسك بالكمال وحليته

واحذر رفيقاً مائلا عن شرعنا * وكن الدواء إذا ابتليت بصحبته

أولا فكن دوماً ملازم خلوة * حذراً من العدوى بشر بليته

أو كن صبوراً كاتماً كيد الذى * هو مبتليك بقربه ومضرته

حتى تلاقى فرصة تنجو بها * من ضيق صدرك والبلاء وغصته

الشيخان عن أبي هريرة والآية وان نزلت فى الاصل بخصوص ماذكر إلا أنها عامة بحكم مافيها من الذم فى كل منافق لقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) وقد قال الله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى

وكذاك ان لم يتفق خلق الفتى * مع غيره من أهله وقرابته
فالبعد خير للجميع وراحة * من قربهم ونزاعهم ونتيجته
ولربما افضى الخلاف إلى القضا * وتقاطع الارحام بعض مصيبته
فسعادة الدنيا صفاء معاشها * والبعد عن أهل الهوى وضلالته
ورضا الفتى بنصيبه مع حزمه * خير من الشره المشين لسُمعته
ودوام أُدم من قليل في هنا * خير من النهم المضر بصحته
حزم الفتى عند الشدائد صبره * أجراً ينال وفُرجة من كربته
إن الكروب إذا أتت فاستحكمت * حلقاتُها فرجت بواسع منحته
وصلاح حال المرء فى تدبيره * وإطاعة المولى وحسن عقيدته
طمع الفتى يزرى به ولربما * يقضى على أمواله وكرامته
من ذا الذى قد عاش يوما في صفا * مهما علا برخائه في عيشته
ولربما نال الغنىُّ بماله * أضعافَ ما يجد الفقير بفاقته
والكل فى قلق يريد زيادة * كل يرى نقصا بحال معيشته
جبلين من ذهب إذا نال الفتى * فالنفس تطلب ثالثاً لمحبته
وإذا العطا وافاه رام زيادة * طمعاً شديداً لا انتهاء لغايته

هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال سبحانه وتعالى (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما) ثم ذكر الله الفريق الثانى وهو المخلص فى الدين والدنيا فقال جل ثناؤه (ومن الناس من يشرى نفسه) أى يبيع نفسه فى طاعة الله ابتغاء مرضاته وطلبا لرضوانه لا يبتغى من وراء ذلك جاها ولا نفعا

إن ابن آدم ليس يملأ عينه * إلا التراب خذ الحديث بصحته
والمهلكات ثلاثة فافطن لها * شح مطاع واتباع غوايته
والعجب بالنفس الدنيئة كن على * حذر من الخلق الذميم وشنعته
والمنجيات ثلاثة لمن ابتغى * فوزاً ومجداً فى الدنا وبجنته
خوف الإله بخلوة وبجلوة * والعدل في غضب الفتى ومسرته
ثم اقتصاد فى غناه وفقره * فاعمل بقول المصطفى ونصيحته
قال امرؤ حالى شكوت لصاحبى * فتنفس الصعداء مظهر حسرته
فظننت أن سيغيثنى لكنه * منع العطاء بشحه وقساوته
هو موسر والبخل طبع للفتى * خوف النفاد لماله بغباوته
فعلمت أن الشح قد عم الورى * كل بقدر بلائه في غصته
إلا القليل من الذين هداهمو * رب العباد بفضله وكرامته
إن السخا وصف حميد مرتضى * وبه النجاة من الهلاك وشدته
والبخل شين فى الرجال فلا تسل * رجلا عبوساً شحه من شيمته
فاذا سألت فسل إلٰهك إنه * عم الورى إحسانه من منته

لانه بذل نفسه التى هى أعز عزيز لديه (والله رءوف بالعباد) حيث أثابهم بالنعيم الدائم على العمل القليل وضاعف الحسنات وقبل توبة الكافر والعاصى وان طال زمن الكفر والعصيان و بدل السيئات بالحسنات والآية نزلت فى صهيب بن سنان أسلم فتعرض له المشركون وآذوه ايذاء شديداً فتحمل ثم قال لهم انى رجل كبير مسكين ليس مقامى معكم ينفعكم وفرارى ليس بضاركم فان كان من جهة المال فهاهو وتركه وهاجر الى المدينة حيث رسول الله وقد

فسد الزمان بأهله وتزايدت * طرق الشرور والانتقام بشدته
بشبيبة ذاع انتحارٌ مهلك * ماكنت تسمع أو ترى لمصيبته
من بعض أبناء المدارس قد أتى * لسقوطه في الامتحان وخيبته
أمر فظيع قد فشى في قطرنا * من هجرنا الدين القويم بسنته
وقست قلوب البعض حتى أنه * قَتَلَ ابنَه مع زوجه وكريمته
أمثالُ ذلك واقعٌ ببلادنا * وتنوعت أسبابه مع كثرته
قتل النفوس محرم في ديننا * إلا بحق في القصاص لحكمته
ظهر الفساد بكسب أيدينا وما * كان الإله بظالم لخليقته
وإليه مرجعنا فيجزينا على * أعمالنا كلٌ بحسب صحيفته
فالخير مكتوب بها ومسجل * والشر أيضاً ثابت بحقيقته
فمن اهتدى وأناب عن عصيانه * فجزاؤه الغفران يوم قيامته
وتُبدَّلُ الأوزارُ بالحسنات من * فضل الإله كما أتى في آيته
فليترك الانسان تمويهاته * فالله يعلم سره بحقيقته
ولربما ظهرت سريرته لمن * يخشاه في أمر يضر بحالته

مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه) ومعنى هذه العبارة البديعة البليغة انه لو انتفى عنه خوف الله لا يقع منه عصيان لان طاعته محبة في الله لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره وهذه أعلا درجات العباد وفقنا الله لادراكها.

ثم قال الله (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أمر الله المؤمنين جميعاً بالدوام على الاسلام فلما يستقبلونه من الايام

فالله منتقم ومظهر أمره * لعباده يوماً بقصد فضيحته
والنفسَ جاهد دائما فجهادها * خير الجهاد كما أتى بأدلته
في قول طه المصطفى خير الورى * هذا البيان موضحاً بروايته
واسمع أخي النصح الذى قد قلته * إن كنت ترغب في العلا وسعادته
وعليك بالحكم التي نسبت إلى * من قد سما بصلاحه وفصاحته
هذا ابن من يُدعى عطاء الله أى * الاسكندرى ذاك الامام بشهرته
لو كان نظمي يستطيع بيانها * لأتيتكم بتمامها وعبارته
لكن ذكرت البعض من مضمونها * كيما أفيدك بعض غالى حكمته
سأل الحكيم البعض من أصحابه * عما عليه بنى أساسَ معيشته
فأجاب أني قد بنيتُ على الذى * كتب الإلهُ لعبده بصحيفته
إذ لن يصيب المرء من أمر سوى * ماقدر المولى له فى نشأته
فالمرء مخلوق كذا أعماله * كلٌّ تراه مُيسّرا بمشيئته
لشئونه حسب القضاء وما انتهى * تقديره للمرء قبل ولادته
والمرء مجزى بما هو عامل * ورهينُ ما كسبت يداه بجملته

فلا يتركون شيئاً من شعائره وأمرهم ان يكونوا مجتمعين على نصرته واحتمال البلوى وأن يتركوا الذنوب والمعاصى ونهاهم من اتباع خطوات الشيطان بقبول شبهات أهل الغواية والضلالة أو بجهر بعض أحكام الدين أو بالتفرق والقعود عن نصرته أو بعمل المعاصى ثم ذكر الحكمة فى مخالفة الشيطان وهي (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة فكيف يثق العاقل بعدوه فيأتمر بأمره ويستمع لنصحه ثم ذكر ان من زل وخالف الامر والنهي بعد مجيء

هذا نظامٌ محكمٌ من خالق * عدل وليس بظالم لخليقته
هو عالمُ الغيبِ الحكيمُ بعلمه * إذ كل شيء فى الورى من آيته
عملى لنفسى لا يقوم به السوى * فالقلب مشغول بحسن إقامته
والرزق مقسوم ورزقى لم يصل * غيرى فقلبى مرتضيه بحالته
والله مطلع على أحوالنا * فأخاف منه وأستحى من هيبته
والموت يأتى بغتة ياحسرتا * فرطت لكنى أنبت لخيفته
هذى من الحكم التى تهدى إلى * من كان يؤمن بالإله وشرعته
قد قالها ذاك الحكيم لمن يعى * فافطن لها واتبع نصائح حكمته
ودع المكذب غافلا عن رشده * حتى يُفيق بموته من غفلته
فمن الحماقة أن مستمع الهدى * يأبى اتباع الحق بعد وضاحته
إن الحماقة فى الفتى تزرى به * والحلم يرفع قدره بفضيلته
داء الحماقة ناره لا تنطفى * الا بكظم الغيظ عند بدايته
فتحالُمُ الإنسانِ فيه سلامة * من كل شر يتقيه لآفته
فاصبر كصبر الراشدين أولى النهى * تغنم بفضل الله حسن نتيجته

البينات فليعلم (أن الله عزيز) لا يعجزه الانتقام منه (حكيم) حيث لم يسو بين العاصي والطائع

حكى أن قارئا قرأ خطأ (فان زللتم من بعد ماجاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم) فسمعه أعرابى فأنكر عليه وقال إن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون إغراء وحثا عليه فأدرك القارىء خطأه وقرأ (فان الله عزيز حكيم) اه

كم أحمق جلب البلاء لنفسه * ولغيره من طيشه وسخافته
بسط اليدين أو اللسان بسيء * يرث العداء والانتقام بشدته
ما أحسن الخلق الكريم فأنه * للمرء إجلال وسر سعادته
واللين من ذي الجاه حلية جاهه * وزيادة في قدره ومكانته
من مزق الاعراض مُزّقَ عِرضُه * فالله يجزى المعتدى بأساءته
فكما تدين تُدان فاحذر واعتبر * مما جرى وخذ الحديث بصحته
ياأيها المغرور إنك غافل * عما خُلقت لأجله من طاعته
فأفق وكن متيقظا وانظر لما * قدَّمت من عمل وخذ من عبرته
قال امرؤ يوما صحبت من ابتُلى * بالغى والخلق الذميم وخسته
فأصابنى من شره ماضرّنى * فسألت ربى توبة لهدايته
كى يستريح الناس من أخلاقه * ويقوم بالحق الذى فى ذمته
لإلٰهه والخلق قبل حسابه * عن كل شيء قد أتاه بنيته
من لم يتب عن غيه فهو الذى * جلب العناء لنفسه وقرابته
إن الذى يرضى الشقاء لنفسه * فهو الغبى المُبْتلى بحماقته

---

(٢) وقال جل ثناؤه (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) الخ
امر الله المؤمنين بالمسارعة والمبادرة الى مغفرته وجنته ولايكون هذا الا بترك المعاصي وعمل الطاعات وشوقهم الى جنته بذكر سعتها فبين أن عرضها كعرض السماء والارض إذا وضعتا بجوار بعض وإذاً فالطول أعظم كما هي العادة وتمثيل السعة بهذا القدر إنما هو تقريبى على قدر ماتصل اليه أذهان البشر وإلا فالحقيقة لايعلمها إلا هو وأعزهم سبحانه بالتقوى فقال (أعدت

من لى بطب للحماقة بعد ما * أعي الطبيب شفاؤها مع خبرته
قالوا الصلاة على النبي شفيعنا * طب لها وهو الشفاء لأمته
فدلائل الخيرات حزب من ابتغى * صرف الحماقة واكتساب سماحته
ما أحسن الخلق العظيم فأنه * خلق النبيين الكرام بفطرته
وتدبر القرآن مع عمل به * يكفيك شر بلائها ومصيبته
خلق النبي خلق القران كما أتى * فى قول أم المؤمنين بصحته
فى وعظ لقمان الحكيم لنجله * سر النجاح لعامل بنصيحته
فانصح دوامًا من تشاور دع الهدى * لله يهدى من يشاء لطاعته
من حسن أوصاف الفتى حلم بدا * فى نصحه وظهوره بمروءته
والجبن مذموم لغير ضرورة * تقضى على المرء ارتكاب مطيته
والبخل فى الانفاق خسران الفتى * وكذاك إسراف يعود بحسرته

المتقين) ومعلوم أن المرء إذا عرف أن الجائزة العظيمة لايحرزها إلا من جاز الامتحان بنجاح كان ذلك داعيا الى جده وإجتهاده والمتقون هم فاعلوا الطاعات تاركوا المعاصي وخص من جملة صفاتهم صفات لها ارتباط عظيم بالمعاملات بين الناس ــ والدين المعاملة ــ فقال (الذين ينفقون فى السراء) حالة اليسر (والضراء) حالة العسر وذلك لثقتهم بربهم فينفقون فى كل زمن على حسب حالهم قليلا أو كثيراً لا يستخفون بالصدقة وفى الحديث (اتقوا النار ولو بشق تمرة) قال بعض الحكماء

ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود وما لديك قليل

(والكاظمين الغيظ) مع القدرة على البطش والانتقام (والعافين عن الناس) مع إمكان عقابهم على مافعلوا أو كظم الغيظ يستلزم ظهور الغضب

والـكل ممقوت وفيه ندامة * ويسيء أخلاق الذين بعشرته
أما التوسط في الأمور فانه * سر السعادة والنجاح بحكمته
إن الغنى فقر لمن لم يتبع * شرع النبي وقصدَه في عيشته
رزق الفتى متنوع حسب العطا * إما بيسر أو بعسر معيشته
وعلى الفتى حُسب الذكاء كرزقه * فاشكر لمولانا نفائس نعمته
واكظم لغيظك واعف عمن قدهفى * تغنم رضا المولى وحسنَ كرامته
للـكاظمين الغيظ والعافين عن * إخوانهم أجرٌ يُنال بجنته
وكذاك للمستغفرين لذنبهم * غفران رب العالمين برحمته

ثم التغلب عليه بخلاف الحالة الثانية وفى الحديث (من كظم غيظا وهو يقدر على نفاذه ملأ الله قلبه امناً و إيما ناً واتفق للامام الحسن السبط رضى الله عنه زمن خلافته وكان مشهوراً بالحلم أن رجلا قدم عليه ليمتحنه فصار يسبه ويتكلم وهو يتبسم فقال له الرجل إن شتمتنى واحدة شتمتك مائة فقال له الحسن إن شتمتنى مائة ماشتمتك واحدة فوقع الرجل على قدمه فقبلها وقال أشهد أنك على خلق رسول الله ﷺ ولايحمد كظم الغيظ في حالة انتهاك حرمات الله وقد كان النبي ﷺ لا يغضب لنفسه وما أحسن العافين عن الناس إذا هم مع ذلك أحسنوا اليهم كما يدل عليه (والله يحب المحسنين) ثم ذكر صفة ترغب العصاة فى الطاعة وتحضهم على التوبة فقال (والذين اذا فعلوا فاحشة) كبيرة (أوظلموا أنفسهم) بفعل الصغائر (ذكروا الله) وعيده وعقابه (فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله) أى لا أحد يغفرها سواه (ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) والمعنى أنهم كلما أذنبوا ذنبا خافوا عقاب الله وطلبوا منه المغفرة وتابوا عن ارتكابها غير مصرين على فعلها مع علمهم أنهم مخطئون فهم مقبولون مهما تكرر الذنب منهم وتكررت التوبة ماداموا وقت المتاب

والله أرجو أن أنال سعادة * دنيا وأخرى من فضائل منته
وكذا شقيق أحمد وبناته * وبنوه أيضاً مع جميع قرابته
وحسين شيخي مقرئي القرآن مع * من قد أخذت العلم عنه بجملته
ولأحمدٍ مظلوم باشا عندنا * شكر على معروفه ومودَّته
أرجو من الرحمن غفرانا له * كي يدخل الجنات ضمن أحبته
أدعو له حتى أكافئه على * ما قد بدا من وده وصداقته
ومحمد (١) بك مصطفى القاضى كذا * عثمان (٢) بك صدقى لسابق صحبته
وكذاك احمد (٣) بك سليمان الذى * هو عالم فى فنه وديانته

لا يصرون على ارتكابها ثانية لان المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بربه وفى الحديث (اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب ثم قال (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) لما ارتكبوا (وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) والمراد أن القصور والاشجار مشرفة على الانهار (ونعم أجر العاملين) بالطاعة وفى هذه الآيات بيان فضيلة الانفاق فى السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس والاحسان اليهم والتوبة من الذنوب فهذه الصفات من الاخلاق الفاضلة التى ينبغى لكل مسلم أن يتحلى بها حتى يفوز بالراحة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة

(١) الذي كان موظفا بنظارة الاشغال ثم قاضيا ورئيسا بالمحاكم الاهلية ثم بالمختلط قبل المعاش

(٢) كان مهندسا بالسجون ثم مأمورا للمان طرا رحمه الله

(٣) وشقيقه عبد الحميد باشا سليمان كان وزيرا للاشغال العمومية وهما من نوابغ المهندسين

لصلاحه أحببته ولعلمه * وشقيقه الباشا النشيط بفطنته
لكمال (١) بك شكرٌ ولمعي (٢) بك ومن * سيجيء ذكرهمو لنيل مثوبته
في جزئنا التالى لهذا الجزء إن * شاء القدير ظهوره لافادته
ولاحمدٍ (٣) يسرى المهندس منةٌ * مذ كان بالكوبرى معي في خدمته
كان الحريص على الصلاة لوقتها * فهديت حقا لاتباع طريقته
ولصهره الشيخ التقى محمدٌ * فضلٌ عليّ بعلمه ونصيحته
من يصحب الصلحاء في زمن الصبا * يهدونه لصلاحه في نشأته
ولربّ نال من الإله حفاوة * ضمن الذين أمدهم بحفاوته

شرح الحديث

(١) عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلا الخ

قال الشارح الشرنوبى (أوصنى) أى أرشدنى الى ماينفعنى دنيا وأخرى ويقربنى الى الله زلفى (لا تغضب) أى فيما يتعلق بحقوق النفس والهوى لا فيما يتعلق بحقوق الله (فردد) أي كرر طلب الوصية ثلاث مرات وكأنه طلب وصية أبلغ منها فلم يزده ﷺ فى كل مرة عليها تنبيها على عظم نفعها وعمومه فان جميع المفاسد تعرض للانسان من فرط شهوته واستيلاء غضبه وحدته وضرر ماتقتضيه القوة الغضبية أكثر بالنسبة لما تقتضيه القوة الشهوية فان

(١) احمد بك كمال أنجب الخبراء بالمحاكم وكان مدرسا ووكيلا لمدرسة المهندسخانة وهو من الصالحين (٢) حسن بك لمعى القائم مقام كان مدرساً للهندسة بالمدارس الحربية وخبيرا بالمحاكم وشهما حازماً

(٣) كان معاوناً لى بكوبرى قصر النيل وتعين بدلى فى سنة ١٨٧٩ م بعد انتقالى لديوان الاشغال هو من أقرانى بالمدرسة وكان صالحا وصهره المرحوم الشيخ محمد قناوى كان عالما تقيا رحمهما الله رحمة واسعة

من سبعة سيظلهم فى ظله * إذ لاظلال سواه يوم قيامته
وبيانهم بحديث طه قد أتى * فاقرأه تعلم نصه بروايته (١)
من يذكر الود القديم يناله * أجر عظيم سيما بأدامته
كم واجب لله قد أهملته * شكر العباد لبعضهم كعبادته
من ذا الذى أدى العبادة حقها * والجل مشغول بلهو غوايته
ياويلنا مما نرى يوم الجزا * يوم السؤال عن النعيم ولذته
ياأيها الناس اتقوا الله الذى * أنتم اليه راجعون بفطرته
لينال كل مااستحق بفعله * إما الثواب أو العقاب بشدته

الغضب عرض يتبع غليان دم القلب لارادة الانتقام والنهى عنه إنما هو نهى عن العمل بمقتضاه بمعونة الاحلام والا فهو طبيعى وكان الشعبى مولعا بهذا البيت .

ليست الاحلام فى حين الرضا * إنما الاحلام في حين الغضب

وفى بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى (ابن آدم اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت وغضب الله انتقامه ممن أراد من العباد)

ومما قاله النووى فى شرحه قوله ﷺ (لا تغضب) معناه لا تنفذ غضبك وليس النهي راجعا الى نفس الغضب لانه من طباع البشر ولا يمكن الانسان

---

(١) سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلاظله . إمام عادل . وشاب نشأ فى عبادة الله . ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا فى الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين . ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . رواه البخاري عن أبي هريرة

أوفوا بعهد الله يوف بعهدكم * كفلين حقايؤتكم من رحمته
يجعل لكم نوراً ويغفر ذنبكم * ليكون مأواكم بدار سعادته
فالى المتاب فسارعوا لينالكم * رضوانه خير النعيم بجنته
إن الجحيم أعدها لمن اشترى * دنياه بالاخرى ومات بحالته
إنى على شكر الإله محاسب * إذ كل يوم قد أرى من نعمته
واليوم (بجلى) مستشاراً قدرقى * عام أربعين وستةمن هجرته
فى تسعة لجماد أخرى وانتها * عامين تقريبا قضى بوظيفته
أعنى بمحكمة لمصر رئيسها * أهلية دلت على أهليته

دفعة وقوله عليه الصلاة والسلام «إياكم والغضب فانه جمرة تتوقد فى فؤاد ابن آدم ألم تر أن أحدكم اذا غضب كيف تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه فاذا أحس أحدكم بشىء من ذلك فليضطجع أو ليلصق بالارض» وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى علما يقربنى من الجنة و يبعدني من النار قال (لا تغضب ولك الجنة) وقال ﷺ (ان الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما يطفىء النار الماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ) وقال أبوذر الغفارى قال لنا رسول الله ﷺ (اذا غضب أحدكم وهو قائم فايجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع

وقال عيسى عليه الصلاة والسلام ليحيى بن ذكريا عليهما الصلاة والسلام (إنى معلمك علما نافعا لا تغضب فقال وكيف لى أن لا أغضب قال اذا قيل لك مافيك فقل ذنب ذكرته استغفر الله منه وان قيل لك ماليس فيك فاحمد الله اذا لم يجعل فيك ماعيرت به وهي حسنة سيقت اليك) وقال عمرو بن العاص «سألت رسول الله ﷺ عما يبعدنى عن غضب الله تعالى قال لا تغضب»

للحكم في استئناف مختلطٍ غدا * باسكندرية في محل إقامته
شكراً لمولانا ومن كان ارتقا * (نجلى) على يده بفضل عنايته
فلذى الفقار (١) واحمدٍ باشا زكى * فضل عليه لرفعه فى رتبته
وجب الثناء عليهما مع من قضى * بالعدل والانصاف بين رعيته
فبنعمة المولى عليه محدثا * شكراً لربٍّ راحمٍ بعطيته
فالطف به ربى وسدد رأيه * وارزقه في الدارين كامل عزته
فالعز فى الدنيا مع الأخرى رضاً * لمن اتقى مولاه قدر استطاعته
فالله يأبى أن يكلف عبده * مالا يطيق لضعفه ولرحمته

وقال لقمان لابنه (اذا أردت أن تؤاخي أخا فاغضبه فان أنصفك وهو مغضب والا فاحذره)

وقد ظهر ان ترك الغضب لايكون الا بترك أسبابه وهذا الحديث من جوامع الكلم فانظر كيف جمعت هذه الجملة الصغيرة تحتها معانى كثيرة وبها داوى هذا الرجل الذي كرر على النبى ﷺ طلب الوصية فلم يزده على هذا الدواء النافع له المناسب لحالته وقد كان صلى الله عليه وسلم حكيما يعطي الدواء على قدر الداء هدانا الله للسير على سيرته وحشرنا فى زمرته ونفعنا بشفاعته نسأل الله السلامة من الغضب وشره ونسأله تعالى الرضا فى كل حال

(٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتحاسدوا) الخ.

فى هذا الحديث الشريف نهى النبى ﷺ عن كبار الاخلاق الذميمة

---

(١) هما صاحبا المعالى احمد ذو الفقار باشا وزير الحقانية سابقا وأحمد زكي باشا ابو السعود الوزير الحالى

ان التكاليف التي فرضت على * ذات المكلف قد غدت فى ذمته
ومحاسب عن كلها ياويله * إن لم يقم بأدائها من نقمته
فالى المتاب عن المعاصى سارعوا * فلعلنا نُرضى الإله بطاعته
(قل ياعبادىَ) آية فيها الرجا * من قوله (لا تقنطوا من رحمته)
فى سورة (الزُّمَرِ) التى جاءت بها * تفصيلها فتدبروه لحكمته
وختامها (بالحمد) دل على الرضا * بوفاء وعد الله يوم قيامته
إيمان عبد بالإله دليله * إيمانه بكتابه وبسنته
وقيامه بصلاته وبكل ما * أمر الإله بفعله لعبادته

الشائعة الزائعة بين الناس والتي بتركها يزداد الاصلاح وتنموا ثقة الناس ببعضهم ويزدادون حبا لبعض فنهى أولا عن التحاسد وهو أن يحسد البعض الآخر بان يتمنى زوال نعمته لانه يكره أن يراه فى رخاء وسعة ورفعة سواء تمناها لنفسه أم لا ومنشأ الحسد عدم الايمان بالقضاء والقدر اذ لو اعتقد الانسان أن كل مايصل الى غيره بقضاء الله وقدره لسلم وعلم أن حسده لا يضر أخاه شيئا نعم اذا تمنى الشخص أن يكون له مثل مالاخيه من النعم ليستعين به على الخيرات ويسير فيه سير المستقيم من غير تمنى زوال نعمة أخيه عنه فلا بأس لأنها غبطة محمودة لا تذم وأقل مايترتب على الحسد التباغض بين الناس والتقاطع وقيام الحروب التى فتكت ملايين الانفس والاموال نتيجة الحسد بين الدول

(أما التناجش) فهو أن يتظاهر الانسان بالرغبة فى الشراء فيزيد فى ثمن السلعة أمام مريد الشراء لا لرغبة حقيقية ولكن ليغره حتى يشتريها بثمن عال (وأما) النهى عن التباغض فالمراد منه النهى عن الاسباب الموصلة اليه لان البغض والحب قهرى (والتدابر) هو الهجر فوق ثلاثة أيام بدون سبب

وفق إلهي المؤمنين لما أتي * فيه الصلاح لحالهم ومغبته
يا أيها الناس اتقوا يوم الجزا * يوم الذهول لهوله ولكربته
ان الذى فطر السموات العلى * والأرض حقاً فاعبدوه لنعمته
هو أنزل الماء الطهور من السما * رزقا لنا منه الحياة برحمته
لا تجعلوا لله أندادا كما * جعلوا المسيح شريكه في قدرته
من خالف الاسلام ضل عن الهدى * وله الخسار محقق بضلالته
فالطف بنا يا ربنا وأدم لنا * إيماننا بنبينا وشريعته
خير الورى طه الذى أسرى به * ليلا وقد صعد السماء بهيئته
من بعد تكريم وخير تحية * بالبشر والاحسان عاد لأمته

شرعي) أما) أهل المعاصى الذين يؤدى الاختلاط بهم الى العدوى بشرورهم فدوام قطعهم خير من وصلهم لما ورد (تقربوا الى الله ببغض أهل المعاصى وقابلوهم بوجوه متغيرة) ثم نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن عادة ذميمة اتخذها المتبايعون ديدنا لهم وهي أن يبيع المرء على بيع أخيه فيذهب الى البائع فيعرض عليه ثمنا أعلا مما عرضه المشترى وهذا يكون فى زمن الخيار أو أن يقول للمشترى افسخ البيع وأنا ابيعك بأرخص وانما يكون هذا حراما اذا تراضى المتبايعان . ثم حضه على أن يكونوا اخوانا لان المسلم أخو المسلم فلا يسوغ أن يظلمه فى شيء ولا أن يخذله فيترك نصرته فضلا عن تعمد ضرره بالنجش أو الغش ولا ان يكذبه فيخبره بالشيء على خلاف حقيقته لانه من الغش وما ألطف قول بعضهم

الصدق فى أقوالنا أقوى لنا * والكذب فى أفعالنا أفعى لنا

ثم لا يجوز أيضا أن يحقره فينظر اليه نظرة استخفاف واستصغار لقوله

بصلاة خمس قُدِّرت وبأجرها * عند الاله مضاعف فى جنته

خمسون عن خمس فكان ثوابها * عن كل فرضٍ عشرة لاقامته

أدوا الصلاة بركنها وشروطها * وكذا الزكاة فأكثروا من طاعته

إن تقرضوا المولى يضاعف قرضكم * يغفر لكم ويُمدكم بمعونته

فاغفر لنا واجعل إلهى حشرنا * معَ آل طه المصطفى وأحبته

صلى عليك الله يا نور الهدى * يا رحمة للعالمين ببعثته

من بعد ذا نُبَذٌ تراها يَبْتَنِب * أخلاق قوم والفسادَ بعلته

قد قالها الفضلاء من أهل التقى * قصدَ اتضاح الداء ثم ازالته

تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم (التقوي هاهنا) وأشار الى صدره وفى هذه الاشارة دلالة على أن القلب محل الخوف الحامل على التقوى ونفر صلى الله عليه وسلم من احتقار الشخص لاخيه المسلم بقوله (بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) والمعنى كافيه من الشر هذا فلا شر فى الاخلاق أقبح منه

ولما كان الحديث مسوقا لبيان حرمة المسلم والنهي عن انتهاكها بأى نوع من الانواع ذكر ذلك فقال (كل المسلم على المسلم حرام) وخص دمه فلا يجوز أن يسفك بغير حق وماله فلا يجوز أخذه الا بوجهه وعرضه فلا يجوز انتهاكه بحال من الاحوال ولو أن المسلمين عملوا بارشادات النبي صلى الله عليه وسلم لزادت رابطتهم وقويت شوكتهم ومانفرط عقدهم ولا توترت العلاقات بينهم فضعفوا واستضعفوا فاللهم هيىء لنا من أمرنا رشدا

وأما الحديث الثالث فظاهر المعنى وفقنا الله تعالى للعمل به وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين

فاقرأ تفز بالعلم وانصح تغتنم * خير الجزا من فضل رب بريته
ثم الصلاة على الذى فاق الورى * خَلْقا وخُلُقا قد سما بشريعته
طه النبى وآله مع صحبه * والتابعين لشرعه من أمته

الوصل العشرون

وهو تابع لوصل الاخلاق المتقدم

ويشتمل على ثلاث مقالات لبعض الافاضل وقولنا الختامي لهذا الجزء

﴿ المقالة الاولي ﴾

﴿ فى الائتلاف وزوال الهجر من بين الناس ﴾

لحضرة الاستاذ الفاضل محمود أفندى مصطفى جاد بالمعلمين العليا بمصر

روى عن أبي أيوب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا و يعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالاسلام » رواه البخارى ومسلم

الهجر سبب البغضاء والشحناء . وأصل التدابر وعلة الشقاء . فما اختلف اثنان وتهاجرا الا اتسعت بينهما هوة الخلاف وقعد كل لصاحبه بالمرصاد يكيدله ويذكر زلاته فيدب الفساد بينهما و بذلك تكثر الشرور بين الناس وتزول من بينهم المحبة والالفة وماذلك من خلق الاسلام فقد نهى صاحب الشريعة السمحاء صلى الله عليه وسلم عن ذلك بل حرم التهاجر بين الاخوين فوق ثلاث لان نفى الحل دال على التحريم ودل مفهوم الحديث على جواز الهجر ثلاثة أيام وحكمة ذلك أن الانسان مجبول على الغضب فاذا ماوقع له ما يغضبه ثارت ثائرته وتكدر مزاجه فعفى له عن هجر أخيه ثلاثة أيام ليذهب ذلك العارض تدريجا ففي اليوم الاول يسكن غضبه وفى الثانى يراجع نفسه

وفى الثالث يعتذر ومازاد على ذلك كان قطعا لحقوق الاخوة وسببا فى زيادة الخلف فان المتهاجرين يلتقيان فيعرض هذا ويحول وجهه عن أخيه ويعرض الآخر ويولى وجهه عن هذا فالسلام من أحدهما يزيل الجفوة ويذهب النفرة ويستميل القلوب النافرة. كيف لا والسلام اسم من أسماء الله ومعناه الامان.

لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وخيرهما الذى يبدأ بالسلام) لانه بابتدائه بالسلام يطلب ود صاحبه وعفوه فتصفو نفسه ويلين قلبه ويحل الوئام محل الخصام ويكون الفضل للبادىء والثواب له

قال احمد وابن القاسم إن كان يؤذيه ترك الكلام فلا يكفيه رد السلام بل لابد من الرجوع الى الحال الذى كان بينهما. وقيل ينظر الى حال المهجور فان كان خطابه بما زاد على السلام عند اللقاء مما تطيب به نفسه ويزيل علة الهجر كان من تمام الوصل وترك الهجر وإن كان لا يحتاج الى ذلك كفى السلام : وأما فوق اليوم الثالث فقال ابن عبد البر اجمعوا على أنه يجوز الهجر فوق ثلاث لمن كانت مكالمته تجلب نقصا على المخاطب له فى دينه أو مضرة تقع عليه فى نفسه أو دنياه فرب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية

وقد قال الشاعر

هجرتك لا قلى منى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الحائمات الورد لما * رأت أن المنية فى الورود

فالواجب على المسلمين أن يتحابوا فى الله وأن لا يتباغضوا وأن يغضوا الطرف عن هفوات إخوانهم وزلات من هجرهم أوخاصمهم وأن يدفعوا السيئة بالتى هى أحسن أى بالحسنى حتي يدخلوا في زمرة من مدحهم الله بقوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وفقنا الله للعمل بآداب دينه لنكون من المقبولين آمين

﴿ المقالة الثانية ﴾

﴿ لحضرة الاستاذ الفاضل الشيخ مصطفى محمد عماره ﴾

﴿ المدرس بمدرسة القربية الاميرية ﴾

﴿ الانتحار ناشيء من عدم تقوى الله ﴾

عن جندب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة) رواه البخارى

﴿ شرح الحديث ﴾

إن الذى يتعاطى سما فله عذاب فى جهنم يوم القيامة وان الذى يسقط نفسه من جبل يهوى فى جهنم بهذا السقوط ويمكث طويلا فيها والذى يقتل نفسه برصاصة أو مدية أو حجر يكون فى جهنم دائما و يكون عذابه فى قبره الى يوم القيامة بما فعل و إن الذى هجم على نفسه واستحل قتلها ولم يرض بقضاء الله وقدره حرم الله عليه الجنة وجعل النار له مأوى قال صلى الله عليه وسلم (لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه فأما محسنا فلعله أن يزداد خيراً وإما مسيئا فلعله أن يستعتب) أى يتوب الى الله و يعمل عملا صالحا و بذا ينال الدرجات العالية وقد حارب قزمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربة الابطال والشجعان وغاظ الكفار وقتلهم بسيفه فاثنى عليه الصحابة رضي الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم إنه من أهل النار - لان الله جل وعلا اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنه منافق و يتشفى من قومه وحربه مكيدة لهم وانتقاما منهم وما يحارب لاعلاء دين الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من تردى (١) من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلدا فيها أبداً ومن تحسى (٢) سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه (٣) فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجاء بها (٤) في بطنه في نار جهنم خالداً مخلدا فيها أبدا) رواه البخارى

ولذلك قتل نفسه حينما جرح ولو كان مؤمناً صالحا لرضى بهذا الجرح في سبيل الله ولكن كفره دعا الى تعجيل موته

أقرأ اليوم فى الصحف السيارة فاجد شابا مصريا قتل نفسه لانه كان يحب غادة حسناء زوجها أبوها من غيره ، ومصريا لا يتجاوز العقد الرابع من عمره قتل نفسه وزوجه وخادميه . وفتاة لم تنجح في الامتحان فتجرعت سما وأودت بحياتها وتركت لأهلها حسرة ولوعة .

وطالبا فى الجامعة المصرية هانت عليه الحياة فقتل نفسه لانه لم ينجح كاخوانه وهكذا من الحوادث المخزية والاعمال السيئة التى ألفها شباننا وتعودها أبناؤنا وسلك منهجها فلذات أكبادنا وهي عدوى من الاجانب سرت الينا وإن لذلك دواء شافيا كافيا وهى تقوى الله ، فاغرسوا فى قلوب الابناء حب الله جل وعلا وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وزودوهم بالقرآن والاحاديث النبوية يزدد يقينهم ويقوى إيمانهم وتحيا نفوسهم حياة صحيحة ويعملوا عملا صالحا وبذلك يبعدون عن الدنايا ويتجنبون الرذائل ولا يسلكون طريق الفجار الفساق ويتحلون بمكارم الاخلاق إنه ليحزننى وأيم الحق ترك أبنائنا وبناتنا أمور الدين وشعاره مع تمسكهم بالمدنية الكاذبة زاعمين أن

(١) أسقط نفسه (٢) تجرع (٣) يتجرعه (٤) يطعن

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلتقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا نادة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقال ماأجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنه من أهل النار (١) فقال رجل (٢) من القوم أنا

الدين عادات قديمة ويجب أن يترقى الناس والزمن (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) وهل من هذه المدنية التخلص من الحياة

إن الدين نظام ومدنية وأخلاق عالية وآداب سامية فهو يدعو الى حب الحياة مع العمل الصالح والاستقامة وطيب السيرة والسريرة والاعتماد على الله جل وعلا وطلب الفرج منه

مابين طرفة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

قرأت فى صحيفة الاهرام أن امرأة رأت ولدها يحتضر فحزنت وألقت بنفسها فى ناعورة (ساقية) وكان لها ولدصغير يتعقبها ولولا رحمة الله أدركت هذا الطفل ومنعته من الوقوع لكان الخطب جسيما فادحا ولولا أولو المروءة والشهامة الذين نضوا عنهم ثيابهم وتراموا في الساقية وأخرجوها وهي تنازع الحياة لماتت لانها لم تصبر ولانه لا إيمان بقلبها (قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

ايتها الحكومة الرشيدة : الدولة المصرية فى حاجة شديدة الى أبنائها وفتياتها وقد تفشي داء الانتحار فى أفرادها فهل لك أن تقيمي صروح تقوى الله فى قلوبهم وتوصي المعلمين بالتشديد فى دروس الدين . لوكان الدين

---

(١) لنفاقه في الباطن (٢) اكثم الخزاعي

صاحبه قال فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع أسرع معه قال فجرح الرجل جرحا شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالارض وذبابه بين ثديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أنك رسول الله صلي الله عليه وسلم (وقص عليه مارأى) رواه البخارى

متمثلا فى نفوس أولئك الذين حرموا أنفسهم من نسيم الحياة لما باعوها بثمن بخس فذهبوا غيرمأسوف عليهم

اللهم انا ندعوك أن تهب لنا صحة كاملة ونعمة شاملة وقوة فى الدين وصلابة فى الحق وعزة فى الحياة وسدد خطانا للنجاح حتى نرفع راية العمل الصالح واشارة الارشاد انك نعم المولى ونعم النصير . انتهي من مجلة مكارم الاخلاق الجزء العاشر ربيع الآخر سنة ١٣٤٦

﴿ المقالة الثالثة ﴾

﴿ في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

جاء بمجلة الاسلام الصادرة فى جماد الثانى سنة ١٣٤٥ تحت هذا العنوان مايأتى

بسم الله الرحمن الرحيم

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عز يز حكيم) حقا لم ير تاريخ الاسلام عصرا مثل عصرنا هذا فى ضعف اليقين وفساد الاخلاق . والحياد عن حدود الدين . وترك

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . اللذان هما سياج الاسلام . والدليل على وجود الايمان

وما من أمة ترك أهلها الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . إلا واذل الله نفوس أعزائهم . وسلب نور العلم من قلوب علمائهم . وشمل الضلال والجهل بأمور الدين والدنيا عامتهم وخاصتهم . وتسلم الشيطان قيادهم فاركسهم . حتى لا يفرقوا بين حق وباطل ورقى وانحطاط

قال الله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقد ميز الله سبحانه وتعالى المؤمنين من غير المؤمنين في سياق الآية فوصفهم بأن بعضهم أولياء بعض . وبانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وبانهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة

وقد قدم سبحانه وتعالى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الصلاة والصوم والزكاة فى الترتيب . لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا تلاشيا من امة : ترك أهلها الصلاة والصوم والزكاة بل وسائر الفضائل وانغمسوا فى الشهوات والمفاسد كما قدمنا . ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من علامات المؤمنين والمسلمين الصادقين

قال الامام الغزالى رضي الله عنه (قد فهمت من هذه الآية أن من هجر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد خرج من الايمان) ويؤيده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برىء ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه أى أنكره فقد برىء وذلك أضعف الايمان) الرواية للنسائي وهى غير رواية مسلم التى يقول فيها (بيده فان لم يستطع فبلسانه)

وهذا الحديث الصحيح يدل دلالة صريحة على أن من ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بتاتا فقد خرج من الايمان كما قال الغزالى

ويقول الله سبحانه وتعالى (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

فان قال قائل أن هذه الآية خاصة ببني إسرائيل ولاتنطبق علينا فنقول له . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليأتين على أمتي ماأتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتي أمه علانية ليكونن في أمتي من يصنع ذلك . وأن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة . قالوا وماهي قال من كان على ماأنا عليه وأصحابي) أخرجه الترمذي عن أبي عمرو وعن عائشة رضي الله عنها قالت دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت في وجهه أن حضره شيء فتوضأ وما كلم أحدا فلصقت بالحجرة أسمع مايقول فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ياأيها الناس إن الله عز وجل يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلاأستجيب لكم وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم) ومازاد عليهن حتى نزل وعن الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)

وبعد فما قول المسلمين . حماة الدين . وأتباع شريعة سيد المرسلين في أنهم تركوا ماأمروا به . واتبعوا مانهوا عنه وخالفوا شرائط الايمان وأحكام الاسلام ونبذوا صفات المسلمين وأرادوا غير سبيل المؤمنين لافرق في ذلك بين عالم وجاهل وغني وفقير وعظيم وحقير بل الكل سوية (الامن رحم ربي) في هدم آداب الدين وتسويىء سمعة المسلمين (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى)

فلا ولاية ولارعاية . ولا شفقة . ولا تعاون على بر . ولا تخاذل إثم . ولاأمر بمعروف ولا نهي عن منكر . ولاصلاة إلامن بعض الفقراء . ولازكاة في أموال الأغنياء ولاطاعة لله ورسوله فاولئك لايرحمهم الله ولاينظر نظرة إحسان إليهم

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي

ثم يقدروا على أن يغيروا ثم لا يغيرون ليوشكن أن يعمهم الله بعقاب) رواه ابو داود

وقال عليه الصلاة والسلام (لا تزال لا إله الا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها . قالوا يارسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير) رواه الاصبهانى وصححه ابن حجر

وأكبر المصيبة أنك ان أمرت أحد العامة أو الخاصة بمعروف أو نهيته عن منكر يقول لك (إنك لاتهدى من أحببت . ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) ولم يدر ذلك الجاهل أن هذه الآيات لا تتنافى مع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . وإنه بذلك يردف إثمه بمعصية تفسيره القرآن بغير علم ولا هدي من الله وإنما يقولون ذلك تخلصا من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها وكرهها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها) رواه أبو داود وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول ياأيها الناس إن تقرؤا هذه الاية ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده)

وقال عبادة بن الصامت رضى الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره . وأن لا ننازع الامر أهله إلا أن نري كفرا صراحا عندنا من الله فيه برهان . وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم

ومن بلاء هذه الامة أن المنكر يشاع والمعروف ينكر على مرأى ومسمع من أصحاب الفضيلة والسماحة والسيادة والحسب والنسب قادة الدين وخلفاء رب العالمين . وحفاظ شريعة سيد المرسلين الخ

كأن المعروف أضحى منكراً . والمنكر صار شرعا مقررا (الى أن قال) قال الله عز وجل (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس

ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون)

وقال سبحانه وتعالى فى الآية التى تلى هذه مباشرة (لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم)

وقال رسول الله ﷺ (مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم . قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه) رواه ابن حبان عن أنس

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه (إن أخوف ماأخاف على هذه الامة المنافق العليم . قالوا كيف يكون منافقا عليما : قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل)

وقال كعب الاحبار رحمه الله (يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون . ويخوفونهم ولا يخافون . وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم . ويؤثرون الدنيا على الآخرة . ويأكلون بألسنتهم ويتقربون إلى الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال . يغضب احدهم على جليسه إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن)

فاتقوا الله أيها الناس . واعلموا أن أمر هذه الامة لايصلح إلا بما صلح عليه أمر أولياؤها (واعلموا أن الاسلام دين متين سمح ليس فيه من حرج وهو صالح بتعاليمه السامية لكل زمان ومكان . لولا أنكم تدفنون أصوله وتتنابذون في فروعه . وتجرئون الغير على الطعن فيه بمثالكم السيء . وعملكم الكليل . وسلوككم المعوج

واعلموا أن الدنيا لاتساوي فى الآخرة إلا مثل حبة رمل فى صحراء واسعة

واعلموا أن الصالحات عز لاهلها في الدنيا والآخرة . والسيئات ذل لمقترفها في الدنيا والآخرة

قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون) أبو الفيض المنوفي

قال الراجى عفو ربه

فاتبع لواء الاسلام يامن يبتغى * علماً منيراً يهتدى بأنارته
واعمل لنشر لوائه مع حفظه * من شر أعداء السلام ولنصرته
وانشر نصائحه بكل موحّد * والدينُ نصحٌ فالتزم بنصيحته
ومكارم الاخلاق فاسلك نهجها * تُكرم لدى المولى وبين خليقته
فكمال حُسن المرء في أخلاقه * لا فى الجمال مجرداً أو ثروته
والربُّ يُرضى الأتقياء بفضله * ويُنيلهم درجاتهم فى جنته
أرجو بذلك عفو ربي دائما * والنفعَ للاخوان أهل ديانته
فالامر بالمعروف جاء لنفعه * والنهي جاء عن منكر لمضرته
وهما الأساس لديننا فاعمل تفز * بالخير وانصح ما استطعت بشرعته
من يكتمون البينات من الهدى * فليهموا غضب الاله بلعنته
لا تبخسَ الفضلاء أشياءً لهم * واذكر لكلٍّ فضلَه بحقيقته
وبنعمة المولى عليهم دائما * حدّثْ فذا شكرٌ له بحقيقته
من حرّم النعّم التى قد أخرِجت * للناس من فضل الإله ومنته
هى فى الحياة لكل من هو مؤمن * بالله خالصةٌ له بقيامته
إن الأُلى يخشون ربك دائما * العالمون العاملون بشرعته
مضمون ذلك قد أتى فى فاطرٍ * فاعمل بعلم واخشَ سوء عقوبته
من يبتغوا حمداً بما لم يفعلوا * فلهم عذاب مؤلم فى شدته

إني أخاف عذاب يوم جامع * للناس مشهود كما في آيته
جاءت بهود فاتلها إذ أنها * قد فصّلت نوع الجزاء بصحته
وردالحديث بأن هود أشيبت * طه كذا أخواتها من رأفته
قد قيل فيها فاستقم لنبينا * وبها الوعيد لمن نأى عن طاعته
قصّت عن الرسل الكرام أولى الهدى * ما نال كلا من أذًى في أمته
فالرسل نواب النبي محمد * فأهاله ماضرهم بأذيته
صبروا وقد صبر النبيّ علي الأذى * حتى أتي نصر الإله بعزته
فاصبر كما صبروا تفز بسعادة * ودع الشقاء لمن أساء بقسوته
والناس قد قسموا السابق علمه * قسمين قسم للجحيم بشقوته
والقسم الآخر في النعيم مخلد * وهو السعيد لعلنا من زمرته
لا تقنطي يا نفس كم من ذلة * غفرت فتوبي للإله وخشيته
قول يشابه قول من أحببته * فاجعل إلهي حشرنا بمعيته
وهو الأباصيري الذي نال الرضا * بمديح طه سيما في بردته
واغفر لنا يا ربّ وارحم ضعفنا * أنت المجيب لمن دعاك لكربته
واختم لعبدك سيد شكري بما * ترضاه من خير وكل صحابته
من ساعدوه بعلمهم وبجدّهم * في وضعه لكتابه وكتابته
والمسلمين جميعهم يا ذا العطا * وعلي الهدى ثبت قلوب أحبته
والله أسأل أن يتم بفضله * إنجاز باقي ذا الكتاب لغايته
إن كان يعلم أن فيه منافعا * في الدين والدنيا ليوم قيامته

وبختم هذا الجزء قلت مبشرا * بالفيض جا الثاني وحسن إفادته
في نصف شعبان المكرم قد بدا * عام أربعين وستة من هجرته
ويليه ثالثه اذا ماساعدت * أقدار مولانا وحسن معونته
استغفر الله العظيم مخافة * من شر صنعي واشتداد عقوبته
ثم الصلاة علي النبي وآله * ومن ابتغي فوزا بنور هدايته

﴿ تتمة ختامية ﴾

إن التتمة نورها جا ساطعاً * نور على نور بفضل هدايته
دوّنت من خبر الرسول بها ومن * أثر الصحابة ما استطعت لحاجته
وسألت ربي العفو في ديني وفي * دنياي والأخرى بواسع رحمته

روى عن النبي ﷺ أنه قال (خصلتان لاشيء أفضل منهما الايمان بالله والنفع للمسلمين) بالمقال أو بالجاه أو بالمال أو بالبدن قال رسول الله ﷺ (من أصبح لاينوى الظلم على أحد غفر له ماجني ومن أصبح ينوي نصرة المظلوم وقضاء حاجة المسلم كانت له كأجر حجة مبرورة) وقال عليه السلام أحب العباد إلى الله تعالى أنفع الناس للناس وأفضل الاعمال إدخال السرور على قلب المؤمن يطرد عنه جوعاً أو يكشف عنه كربا أو يقضى له ديناً (خصلتان لاشيء أخبث) أي أنجس (منهما الشرك بالله والضر بالمسلمين) في أبدانهم أو اموالهم فان جميع اوامر الله تعالى ترجع إلى خصلتين التعظيم لله تعالى والشفقة لخلقه كقوله تعالى (أقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وقوله تعالى اشكرلي ولوالديك . روى عن أويس القرني انه قال مررت في بعض سياحتي براهب فقلت ياراهب ماأول درجة يرقاها المريد قال رد المظالم وخفة الظهر من التبعات فانه لا يصعد للعبد عمل وعليه تبعة أو مظلمة وقال عليه الصلاة والسلام (عليكم بمجالسة العلماء) اي العاملين (واستماع كلام الحكماء) اى العاملين بذات الله تعالى المصيبين في أقوالهم وأفعالهم (فأن الله تعالى يحي

القلب الميت بنور الحكمة) اى العلم النافع (كما يحيي الارض الميتة بماء المطر) قال النبي ﷺ (سيأتي زمان على أمتى يفرون من العلماء والفقهاء فيبتليهم الله بثلاث بليات اولها يرفع الله البركة من كسبهم والثانية يسلط الله تعالى عليهم سلطاناً ظالماً والثالثة يخرجون من الدنيا بغير إيمان

(وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه من دخل القبر بلا زاد) أي من العمل الصالح) فكأنما ركب البحر بلا سفينة) اى فيغرق اغراقا لاخلاص له إلا بمن ينقذه كما قال ﷺ ماالميت فى قبره إلا كالغريق المغوث أى الطالب لأن يغاث

(وعن عمر رضى الله عنه) نقل عن الشيخ عبد المعطي السملاوي ان النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام صف لى حسنات عمر فقال لو كانت البحار مداداً والشجر أقلاما لما حصرتها فقال صف لى حسنات أبى بكر فقال عمر حسنة من حسنات ابى بكر (عز الدنيا بالمال وعز الآخرة بصالح الاعمال)

(وعن عثمان رضى الله عنه هم الدنيا ظلمة فى القلب وهم الاخرة نور فى القلب)

(وعن على رضى الله عنه) وكرم الله وجهه (من كان فى طلب العلم كانت الجنة فى طلبه ومن كان فى طلب المعصية كانت النار فى طلبه) اي من اشتغل بالعلم النافع الذى لا يجوز للبالغ العاقل جهله كان في الحقيقة طالباً للجنة ولرضاء الله تعالى ومن كان مريداً للمعصية كان في الحقيقة طالباً للنار ولسخط الله تعالى اهـ بتصرف من كتاب نصائح العباد اللهم إنا نسئلك الجنة وما قرّب اليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء الثانى فى ١٥ شعبان سنة ١٣٤٦ هـ و ٧ فبراير سنة ١٩٢٨ م ويليه إن شاء الله الجزء الثالث وأوله الوصل الوحد والعشرون فنسألك اللهم كما سهلت فيما مضى أن تسهل فيما بقى وأن تجعله كتابا نافعاً لكل من قرأه من رجال ونساء وبنين وبنات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٩	١٤	سيروا	سيروا
٢٢٣	٢٢	العقد	الفقيد
١٣٢	١٥	يضرب	يضر
١٣٢	١٧	دينو نتك	دينو نتك
٢٤٦	١٩	تشبيه	شبيه
٢٥٢	١٨	باع لسهر	بالسهر
٢٥٢	١٨	يمن	يمنع
٢٥٣	١٧	تنظيم	تعظيم
٢٦٠	١٢	وتعاوانهم	وتعاونهم
٢٥٧	٣	سه‌في‌ودرو	ودروسه في أزهر
٢٧٨	١١	شيا ننا	شبا ننا

شكر وثناء

يشكر المؤلف حضرات أصحاب الفضيلة الاساتذة الشيخ على حواش والشيخ جاد سليمان والشيخ حسنين خليفة على ما قدموا من مساعدة فى تحضير هذا الكتاب كما يشكر حضرة الشيخ عيسى وهدان على مجهوده العظيم ويثنى الثناء المستطاب على حضرات عمال (مطبعة التضامن الاخوى) خصوصا رئيسها المفضال (حافظ افندى محمد داود) على همته ويقظته وتضحيته حتى استطاع انجاز طبع هذا الكتاب وفق المرام والله المسئول أن يجزى الجميع خير الجزاء ؟

السيد شكرى باشا

١٥ شعبان سنة ١٣٤٦ ﻫ و ٧ فبراير سنة ١٩٢٨ م